

في أفضل الأذكار

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي الأندلسي

المتوفى سنة ٦٧١هـ

بعناية

بشير محمد عيون

الناشر

مكتبة دار البيان

ص.ب ٢٨٥٤ – دمشق

التوزيع

مكتبة المؤيد

ص.ب: ١٠ – الطائف

طبعات الكتاب

الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥٥هـ بعناية « محمد أمين الخانجي » رحمه الله .
الطبعة الثانية دمشق ١٣٩٢هـ بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله .
الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٧هـ بعناية بشير عيون .

الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله رب العالمين *الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين* إياك نعبد وإياك نستعين* اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ آمين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، في العالمين ، إنك حميد مجيد .

وبعد فإن هذا القرآن هو الكتاب الذي أوجد أمة بعد ضياع ووحدها بعد شتات وأعزها بعد ذل إلى أن بلغ شأوها ما بين المحيطين سيادة عدل وإيمان ورحمة وإحسان شملت أمماً شتى وأقواماً من كل لسن وصقع .

وما زال هذا القرآن رغم كرور الأيام وتوالي الأحداث يشكل الأمان والعاصم لسلامة الأمة من الضياع والهلاك والانمحاق وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ، ولن تضلوا بعده أبداً**»[1] .

ولما كان للقرآن الكريم هذا الشأن العظيم احتفى المسلمون به كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم إذ هو أساس وجودهم والهدى الذي وحد فكرهم ووجدانهم وسلوكهم وأعرافهم فصنعهم أحسن صنعة وصبغهم أحسن صبغة ومن أحسن من الله صبغة لقوم يوقنون .

ورحم الله الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ورضي الله عنه إذ أمر الصحابة بجمع الناس على كتاب الله تعالى والسنن الجامعة والكف عن تحديثهم بكل ما سمعوه وكان قصده ـ والله أعلم ـ رضي الله عنه أن يجمع المسلمين الجدد على منهج واحد يبدؤون به فيشكل في عقولهم ميزان الفكر الذي يتحاكمون إليه فإن أحكموا ذلك فلا يضيرهم شيء باذن الله تعالى[2] .

---

(١) أخرجه الطبراني بسند صحيح ، انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٧١٢) .

(٢) إن توحيد المناهج يوحد الأفكار ويقارب بين العقول والفهوم وقد تنبه الاستعمار لهذه الفكرة ففرض مناهجه على مدارسنا كي يجعل عقول أبنائنا أقرب إلى تفكيره منها إلى تفكير أمتنا .

نعم كان البدء بكتاب الله تعالى هو الذي أوجد الوحدة الفكرية في جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فليس غريباً إذن أن لا نسمع عن أحد منهم أنه شذ في فكره أو في اجتهاده عن دائرة الاسلام ولا عن أحد منهم أنه ابتدع بدعة أساء فيها إلى الدين بل كان كتاب الله تعالى هو النهج الذي يسيرون في يسره وسماحته .

أما نحن فإذا أراد أحدنا أن يتعلم شيئاً من دينه فإنه يبدأ بكتاب للكاتب فلان او علّان وآخر ما يرجع اليه هو القرآن بل يقرأه ابتغاء الثواب فقط وهكذا تفرق أمرنا قدداً وتبددت قوتنا بدداً وأصبح كل فريق منا بما عندهم فرحون هذا يتعصب لمذهبه وهذا يتعصب لطريقته وهذا يتعصب اشيخه وكلٌ جعل ما يتعصب له هو الميزان الذي يتحاكم إليه فإذا تليت عليهم آية من كتاب الله تعالى ترى كل واحد يفسرها على هواه كي لا تصطدم بآرائه وأفكاره .

وإذا أردنا وحدة توحد عقول المسلمين وقلوبهم فما علينا إلّا أن نعود إلى كتاب ربنافنجعل منه البداية والميزان والمنهج فنحكمه في كل شؤوننا . .

وعلى طريق العودة الى هذا الكتاب القدسي الكريم لا بد لنا من أن نتعامل معه بإجلال وتعظيم يليقان به لذلك اهتم علماؤنا الأجلاء بشرح وتوضيح ما ينبغي علينا إزاء كتاب ربنا من آداب أثناء تلاوته وحمله وفهمه وتدبره ومن أجود ما صنف في هذا الباب كتاب « التذكار إلى أفضل الأذكار » للإمام المفسر أبي عبد اللّٰه محمد بن أحمد القرطبي صاحب « الجامع لأحكام القرآن » فقد استوفى في مصنفه الكلام على بيان آداب حملة القرآن وكان كتابه إماماً ومرجعاً لمن جاء بعده كالنووي في « التبيان »[1] والزركشي في « البرهان » والسيوطي في « الاتقان » .

وحباً في خدمة كتاب الله تعالى والدعوة اليه قمنا بإخراج كتاب القرطبي للناس في طبعة علمية أنيقة تعين القارىء وتهديه السبيل لأفضل الأذكار .

عملنا في الكتاب :

١ ـ سبق أن نشرت دار البيان هذا الكتاب بتحقيق شيخنا الكبير الأستاذ عبد القادر الأرنؤوط حفظه اللّٰه تعالى ونفع به[2] وزيادة في خدمة الكتاب استوفينا تخريج أحاديثه تخريجاً مفصلاً وترجمنا لأعلامه ترجمة موجزة مفيدة وألحقنا بالكتاب فهارس للأحاديث والأعلام والمواضيع تيسر على القارىء الرجوع إلى أي موضوع في الكتاب بأيسر السبل وأسرع الطرق ولا نزعم لعملنا الكمال إنما نريد الإصلاح ما استطعنا واللّٰه من وراء القصد والحمد للّٰه رب العالمين .

وقد ساعد في تحقيق الكتاب الأستاذ حسن السماحي فجزاه الله خيراً .

دمشق غرة رمضان المبارك سنة ١٤٠٧

أيار ١٩٨٧

بشير محمد عيون

---

(١) نشرنا كتاب النووي « التبيان في آداب حملة القرآن » بتحقيقنا في طبعة أنيقة .

(٢) عام ١٩٧٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أفضل نبي أرسله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد .

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ . وقد قال الله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] وقال سبحانه : ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ [الرعد : ٣١] وقال جل جلاله : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [الإسراء : ٩] وقال أيضاً : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾

[الاسراء : ٨٢] وقال : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ، ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادَوْن من مكان بعيد ﴾ [فصلت : ٤١ - ٤٤] .

وإن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وخصه بكتاب﴿عزيزلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد﴾ ، [فصلت : ٤٢] ، ﴿لو أنزل هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ [الحشر : ٢١] ، فيه شفاء ورحمة وهدى للمؤمنين ، وجعله ختاماً لكتبه ورسالاته ، منزلاً لخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر .

وجاء السلف الصالح رضوان الله عليهم ومن بعدهم الأئمة الأعلام والمجتهدون ، فأخذوا يستخرجون أسرار هذا القرآن ، ويستنبطون منه الأدلة والأحكام لحياتهم الدنيوية والأخروية بما لديهم من العلم والمعرفة والتأويل ، مستلهمين بذلك حديث رسول الله ﷺ ، وقد صنفوا بذلك كتباً ورسائل في هذا الباب ، منهم الامام النووي رحمه الله الذي صنف كتاب « التبيان في آداب حملة القرآن » إلا أن كتابنا هذا : « التذكار في أفضل الأذكار » جاء جامعاً لكثير من العلوم والفضائل والأذكار التي لم تتوفر في غيره ، كما قال ابن فرحون في كتاب « الديباج » في ترجمة الامام القرطبي : وقد وضعه المؤلف على طريقة « التبيان » للنووي ، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً ، وها نحن نضع اليوم بين يدي القراء هذا السفر العظيم لينهلوا من علومه الوافرة ومعارفه الزاخرة بأمور الدنيا والآخرة ، إذ كان حصيلة ما أثمر صدر المؤلف من معارف وعلوم ، وقد جعله في أربعين باباً ، صدره بأن القرآن كلام الله

تعالى غير مخلوق ، وبين تنزيل القرآن وترتيب سوره وآيه ، وأن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، ثم ذكر ما جاء في فضل القرآن وعلوه على سائر الكتب المنزلة ، وأن القرآن أعظم الذكر ، وأخذ في بيان فضل من أعطي القرآن وعمل به ، ومنزلة الماهر بالقرآن ، وأن القرآن حجة لك أو عليك ، ثم ذكر الآداب التي ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه بها ، وما جاء في الأمر بتعليم كتاب الله تعالى والتمسك به ، وتلاوة القرآن وختمه في الصلاة وغيرها ، وما يستحب فيه ، وما جاء من الأدعية عند ختم القرآن ، وما يجوز من السؤال بالقرآن عند تلاوته وما لا يجوز، وذكر الأمر بتعاهد القرآن ، وما جاء في ثواب من قرأ القرآن فأعربه ، وفضل قراءة السر على الجهر ، وأن تعليم القرآن أفضل الأعمال ، ثم ذكر ما جاء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، وترتيل القراءة والترسل فيها ، وما ورد في حسن الصوت بالقرآن ، وترك الترجيع والتطريب فيه ، وما جاء في معنى التغني بالقرآن ، وأنكر القراءة التي تقرأ في مجالس الملوك والجنائز، ثم ذكر أخيراً الآداب التي تلزم حامل القرآن فجعلها خمسين أدباً ، وذكر ما جاء في أن القرآن شافع مشفع ، وبين عظيم ذنب من حفظ القرآن ونسيه ، وختم كتابه في التنبيه على الأحاديث الموضوعة في فضل سور القرآن وآيه ، وذكر بعض ما ورد من الأخبار الصحيحة في ذلك ، فكان بذلك تذكاراً لأولي الألباب في معرفة أفضل الأذكار الواردة عن النبي المختار صلى الله تعالى عليه وعلى آله صلاة متلازمة بدوام الليل والنهار .

عملنا في الكتاب :

لقد طبع هذا الكتاب القيم سنة **١٣٥٥** هـ وعلق عليه في بعض المواطن الشيخ أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي رحمه الله ، وحقق فيه بعض النصوص ، ولكن تبين لنا أثناء مراجعة الكتاب أنه لا يخلو من بعض التصحيفات والتحريفات المطبعية ، ولم نجد له أصلاً

نرجع إليه ، فكان لا بد من الرجوع في كثير من المواطن إلى المصادر التي نقل عنها المؤلف رحمه الله مادة كتابه ، وخاصة تفسيره المعروف بـ« جامع الأحكام » لتصويب بعض العبارات الغامضة ، ورقمنا الآيات ، وخرجنا أحاديثه ، وخاصة ما كان منها ضعيفاً ، وشرحنا بعض الألفاظ ، وترجمنا بعض الأعلام وأسماء بعض الكتب الغريبة ، فكان بذلك خيراً من طبعته الأولى فيما نظن ، والله تعالى الموفق .

وقد ساعد في ذلك كله الاستاذ إبراهيم الأرناؤوط جزاه الله تعالى خيراً .

وشكر الله مسعى صاحب مكتبة دار البيان بدمشق السيد بشير عيون الذي كان السبب في إعادة نشر هذا الكتاب القيم .

هذا وإنا لنرجو الله تعالى أن نكون قد خدمنا هذه الطبعة الجديدة ببعض ما تستحق ، والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق

غرة جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢٩ آذار ١٩٧٩ م

عبد القادر الأرناؤوط

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح - بسكون الراء - الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر .

ولادته :

ولد في قرطبة من بلاد الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري تقريباً وتلقى بها ثقافة واسعة في الفقه والنحو والقراءات ، ودرس البلاغة وعلوم القرآن واللغة ، ثم وفد إلى مصر كما وفد إليها غيره من علماء الأندلس ، واستقر في الصعيد بمنية ابن الخصيب يقضي وقته بين العبادة والتأليف .

أساتذته :

سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب « المفهم في شرح مسلم » ، وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي ، وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد البكري وغيرهم .

تلامذته :

لم يذكر من ترجم له التلاميذ الذين أخذوا عنه ، وتخرجوا عليه ، وإن كنا نجزم بأن كثيراً من أبناء عصره توافدوا إليه ، وتعلموا منه ، وأفادوا من

معرفته الشيء الكثير ، لأنه رحمه الله كان دائرة معارف أهل عصره ، فيبعد جداً أن يعزف الناس عنه ، ولا يفيدوا منه .

حياته :

كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا ، أوقاته عامرة ما بين توجه وعبادة، وتصنيف وتأليف ، وجمع وتحقيق ، وكان مطرحاً للتكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية .

أقوال العلماء فيه :

قال الذهبي في « تاريخ الاسلام » : العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الامام القرطبي : إمام متفنن ، متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه ، ووفور عقله وفضله ، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ، وله كتاب « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » ، و « التذكرة » وأشياء تدل على إمامته ، وذكائه ، وكثرة اطلاعه . رحل وكتب وسمع ، وكان يقظاً فهما ، حسن الحفظ ، مليح النظم ، حسن المذاكرة ، ثقة حافظاً .

مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة ، منها

كتاب « جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمن من السنة وآي الفرقان » في تفسير القرآن يقع في عشرين مجلداً طبع دار الكتب المصرية ، وهو قمة كتبه وتآليفه ، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والأعراب والناسخ والمنسوخ .

٢ ـ « الانتهار في قراء أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز » .

٣ ـ كتاب « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » .

٤ ـ كتاب « شرح التقصي» .

٤ ـ كتاب « قمع الحرص بالزهد والقناعة ، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة » .

٥ ـ كتاب « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة » .

٦ ـ وأرجوزة جمع فيها أسماء النبي ﷺ .

٧ ـ « التذكار في أفضل الأذكار » وهو كتابنا هذا ، وغيرها من التآليف والتعاليق المفيدة .

وفاته :

توفي رحمه الله بمنية ابن الخصيب في صعيد مصر ، ودفن بها في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأعلى مقامه في الجنان .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل الزاهد الورع الأوحد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في الدارين بمنه وكرمه آمين :

الحمد لله الذي جعل القرآن لنا طريقاً إليه وسبيلاً ، وأقام لنا على معرفته برهاناً واضحاً ودليلاً ، وبعث به إلينا محمداً نبيه ﷺ معلماً ومبيِّناً ورسولاً ، وجعله معجزة له ما بقي الدهر سرمداً طويلاً ، وحفظه فلم يقدر مبطل ولا معاند أن يحدث فيه تغييراً ولا تبديلاً ، صلى الله عليه وعلى آله مدى الدهر بكرة وأصيلاً .

وبعد : فلما كان القرآن الذي هو كلام ربنا ، ومعجزة نبينا ، ومنبع العلوم ، ومعدن المعارف والفهوم ، كان على العاقل العالم المؤمن المسلم الدَّيِّن الموحد قراءته ودراسته ، وتفهمه وتلاوته ، وعلى قدر قراءته وتلاوته وتفهمه يكون عمله وإيمانه وإسلامه وتوحيده وفضله كله ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان قراءة القرآن أفضل الأعمال ، وأسنى المقامات والأحوال ، وأشرف الأذكار والأقوال .

وقد جاء من السنة في ذلك ما يدل على ذلك ، فرأيت أن أكتب في ذلك كتاباً وجيزاً يحتوي على فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به وحرمته ، وحرمة القرآن وكيفية تلاوته والبكاء عنده ، وفضل من قرأه معرباً[1]

(١) انظر الباب الخامس والعشرون ص :

وذم من قرأه رياءً وعُجباً ، إلى غير ذلك مما يضمنه الكتاب ، حسبما هو مبين في أبواب .

وكان المقصد الأول تخريج أربعين حديثاً عن النبي ﷺ ، لما رواه يحيى بن عبد الله بن بكير ، قال : حدّثنا مالك بن أنس ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَفِظَ عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثاً مِنَ السُّنَّةِ حَتَّىٰ يُؤَدِّيها إِلَيْهِمْ ، كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً يَوْمَ القِيَامَةِ »(١) .

قال أبو عمر : هذا أحسن إسناد جاء به هذا الحديث ، ولكنه غير محفوظ ، ولا يعرف من حديث مالك . وقال أبو علي بن السكن : وليس يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ من وجه ثابت .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى :

قلت : ولكنه من أجلها بادر طلاب الخير الراغبون في اكتساب الأجر إلى تخريجها ، فرأيت من سبق من أئمتنا العلماء والسادة الفضلاء رضوان الله عليهم قد خرَّجوا من ذلك كثيراً في العبادات وفضل الجهاد ، وقضاء الحاجات ، وفضل الصلاة على النبي ﷺ ، إلى غير ذلك من الترغيب والترهيب ، والأحاديث المسلسلات (٢) .

---

(١) رواه ابن عبد البر في كتاب العلم ١ / ٤٣ من حديث عبد الله بن مسلم بن قاسم ، عن يعقوب ابن اسحاق العسقلاني . ويعقوب بن اسحاق كذاب ، واتهم بوضع أحاديث ، منها حديث الباب ، كما قال الحافظ في « لسان الميزان » .

نقول : وقد روي الحديث أيضاً من حديث علي وعمر وأنس وابن عباس وابن مسعود ومعاذ وأبي الدرداء وأبي سعيد ، قال النووي : طرقه كلها ضعيفة ، وقال الحافظ ابن حجر : خرجها ابن الجوزي في « العلل » بيون ضعفها كلها ، قال الحافظ : ثم جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة .

(٢) انظر الأربعين النووية ص٧ ـ ١٠ ط دار الكتاب العربي بالقاهرة بتحقيق رضوان محمد رضوان .

فاستخرت الله سبحانه في ذلك ، وسألته التيسير عليَّ في ذلك ، فيسر لي تخريج أربعين باباً في فضل كتابه العزيز وقارئه ومستمعه والعامل به ، وسميته :

« كتاب التذكار ، في أفضل الأذكار » .

وهو سبحانه المسؤول أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه بمنه وكرمه ولطفه ، وأن ينفعني به ووالديَّ ، ومن قرأه وسمعه آمين ، وهذه تسمية أبوابه :

الباب الأول : في أن القرآن كلام الله عزّ وجلّ غير مخلوق .

الباب الثاني : في تنزيل القرآن وأسمائه وترتيب سوره وآيه .

الباب الثالث : في أن القرآن أُنزل على سبعة أحرف .

الباب الرابع : في فضل القرآن .

الباب الخامس : في علو القرآن على سائر الكتب المنزلة .

الباب السادس : فيما جاء من تفضيل القرآن بعضه على بعض ، ويتصل به الكلام في تفضيل الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين .

الباب السابع : في أن القرآن أفضل الذكر إذا عمل به .

الباب الثامن في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . . الآية [فاطر : ٣٢] .

الباب التاسع : في فضل من أُعطي القرآن وعمل به .

الباب العاشر : في مثل من قرأ القرآن وعمل به .

الباب الحادي عشر : في الماهر بالقرآن .

الباب الثاني عشر : في أن القرآن حجة لك أو عليك .

الباب الثالث عشر : في الآداب التي ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ بها .

الباب الحادي والثلاثون : في ترتيل القرآن والترسل والإنكار على من هذَّ فيها .

الباب الثاني والثلاثون : في حسن الصوت بالقرآن وترك الترجيع والتطريب ، وما للعلماء في ذلك .

الباب الثالث والثلاثون : في الآداب التي تلزم قارىء القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته .

الباب الرابع والثلاثون : فما جاء في حامل القرآن من هو؟ وفيمن عاداه .

الباب الخامس والثلاثون : في البكاء والخشوع عند تلاوة القرآن وسماعه وفيما يحمل على ذلك .

الباب السادس والثلاثون : في الصعق والغشية عند سماع القرآن وتلاوته والحكم في ذلك .

الباب السابع والثلاثون : فيما جاء أن القرآن شافع مشفَّع .

الباب الثامن والثلاثون : في تحذير أهل القرآن من العجب والرياء .

الباب التاسع والثلاثون : في عظم ذنب من حفظ القرآن ونسيه .

الباب الموفي أربعين : في التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن ، وذكر ما ورد من الأخبار في ذلك ، وذكر بعض منافعه على ما تراه مبيناً إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

* * *

الباب الأول

في أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق

قال الله عز وجل : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ [الزمر : ٢٨] قال ابن عباس ومالك بن أنس : غير مخلوق . وهذا إجماع .

وقد جاء من أخبار الآحاد في ذلك ما يدل على ذلك . من ذلك :

حديث ابن مسعود ، رواه أبو الأحوص عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ »[١] وروى الأوزاعي[٢] عن حسان بن عطية ، عن أبي الدرداء قال : قلت :

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي في « تاريخه » ١/٣٦٠ في ترجمة محمد بن أحمد بن المهدي ، وقال : هذا الحديث منكر جداً ، وفي اسناده مجهولون . وقال الذهبي في « الميزان » : هو موضوع على مجالد .

وقد نص البيهقي في « الأسماء والصفات » على أنه لم يصح شيء من طرق الحديث وأن أسانيده مظلمة لا ينبغي أن يحتج بشيء منها ، ولا يستشهد به ، والمؤلف رحمه الله تعالى كثير النقل من هذا الكتاب ، فلعله لم ير هذا فيه ، واغتر مع ذلك بكثرة الطرق التي رآها في « الإبانة » لأبي نصر السجزي « والسنة » لابن شاهين ، وهما من أكابر الحفاظ ، وليس نغتر بذلك إلا بعيد عن هذا الشأن ، فإن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث باسناده فقد برئوا من عهدته ، وأسندوا أمره الى النظر في اسناده ، كما نص عليه الحافظ في ترجمة الطبراني من « اللسان » ، ومع هذا فقد عاب ذلك عليهم بعض المتأخرين ، بل منهم من أسرف فضعف من أجل ذلك ، ولما ترجم الذهبي في « الضعفاء » لابن منده وابي نعيم الحافظين الثبتين من أجل كلام كل واحد منهما في الآخر . قال بعد أن رده : ولا أعلم لهما ذنباً أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها ، هذا مع ايرادهما الأحاديث بأسانيدها الى مقام الجمع والرواية ، فكيف بايرادها معلقة عند الاحتجاج والاستدلال .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي أبو عمرو ، امام الديار الشامية في عصره

يا رسول الله ! القرآن مخلوق ؟ فقال ﷺ : « القُرْآنُ كَلامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ »[٣] .

وروى ابن لهيعة ، عن قيس الثمالي ، عن أبي هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه ، إذ قام مستوفزاً فقال : « يَا بِلالُ نَادِ : الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ » فنادى بالصلاة ، فاجتمع المهاجرون والأنصار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : إنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ الله عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ خَرَجَ وَإلَيْهِ يَعُودُ » . فقيل : يا رسول الله تخوفت علينا ؟ فقال : « لاَ ، وَلَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدِي أَقْوَامٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ . وَكَذَبُوا ، يَلْقَوْنَ الله كَذَّابِينَ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَهُوَ فِي النَّارِ »[٤] .

وروى كهمس بن الحسن أبو الحسن[١] عن الحسن البصري ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَهُوَ مَخْلُوقٌ غَيْرَ الله والقُرآنِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَلامُهُ ، مِنْهُ بَدَأَ وَإلَيْهِ يَعُودُ ، وَسَيَجِيءُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُونَ : القُرْآنُ

في الفقه والزهد سنة ٨٨ هجرية ولد في بعلبك . ونشأ في البقاع ، وسكن في بيروت وتوفي بها رحمه الله سنة ١٥٧ هـ .

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » في ترجمة منصور بن ابراهيم القزويني ، من حديث أبي علي بن هارون قال : حدثنا أبو نصر منصور بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك القزويني بالفسطاط ، قال : حدثنا أبو سليمان ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم الدمشقي عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن حسان بن عطية عن أبي الدرداء . . . فذكره . نقول : وفي سنده ضعف وانقطاع.

(٤) وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وله طريق أخرى من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، ورواه ابن عدي عن أحمد بن محمد بن حرب عن محمد بن حميد ، وهما كذابان وبهما أعله ابن الجوزي .

(١) هو كهمس بن الحسن التميمي أبو الحسن البصري . توفي سنة ١٤٩ هـ رحمه الله .

مَخْلُوقٌ ، فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ بالله العَظِيمِ ، وَطَلُقَتْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ مِنْ سَاعَتِهِ ، لِأَنَّهُ لَا ينبغي لِمُؤْمِنَةٍ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ كَافِرٍ إلَّا أَن تَكُونَ الْمَرْأَةُ سَبَقَتْهُ بِالقَوْلِ »[1] .

قال المؤلف رضي الله عنه : ذكر هذه الاحاديث بإسناده الامام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي[2] في كتاب الإبـانة عن مذهب السلف الصالح في القرآن ، وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان» له وهي عزيزة الوجود ، قلما توجد في كتاب ، ومعرفتها تساوي رحلة ، وأهل السنة مطبقون على القول بها .

قال عبد الله بن المبارك : سمعت الناس منذ تسعة وأربعين سنة يقولون : من قال : إن القرآن مخلوق ، فامرأته طالق ثلاثاً بتة . قلت : ولم ذلك ؟ قال : لان امرأته مسلمة ، ومسلمة لا تكون تحت كافر .

وروى أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين[3] من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبيد بن عبد الغافر[4] وكان مولى للنبي ﷺ

---

(١) ذكره الخطيب في « التاريخ » ١٢/١٤٢ من رواية يحيى بن رزين حدثنا عثمان بن عمرو بن فارس حدثنا كهمس به . ثم قال : وابن رزين ، ذاهب الحديث واتهمه به ابن الجوزي .

(٢) في الأصل السجستاني والتصويب من كتب الرجال والتراجم والسجزي من حفاظ الحديث أصله من سجستان ونسبته إليها على غير قياس سكن مكة وتوفي بها سنة ٤٤٤ هـ وله كتب .

(٣) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين ، صاحب التصانيف ومحدث العراق ، ولد سنة ٢٩٧ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٣٨٥ هـ .

ومؤلفاته تبلغ ثلاث مئة وثلاثين مصنفاً منها « التفسير الكبير » ألف جزء و« المسند » ألف وثلاث مئة جزء ، و« التاريخ » مئة وخمسون جزءً ، و« الزهد » مئة جزء و« السنة » .

(٤) وقيل : عبد الله بن عبد الغافر ، ذكره الحافظ في « الإصابة » بكلا الاسمين ، وفي الأصل « عبد الغافر » والتصويب من كتب الرجال .

عتاقة ، عن النبي ﷺ قال : « إِذَا ذُكِرَ الْقُرْآنُ فَقُولُوا : كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ » . قال أبو حفص : هذا قول أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضي الله عنهم ، وهو قول جماعة الصحابة والتابعين من أهل العلم كابراً عن كابر ، وقرناً بعد قرن ، وخلفاً عن سلف ، وما نعلم أحداً من الأئمة ممن تقدم أو تأخر ، لا صحابي ، ولا تابعي ، ولا فقيه ، ولا مقرىء ، ولا أحد ممن نسب إلى الإمامة بالعلم قال بغير هذه المقالة ، ولا خالف هذه المقالة ، إلا من عرف بسقوط العدالة والذم وله اللعنة .

* * *

بيان ما أشكل من قوله ﷺ : « مِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ » .

قال البيهقي : قوله : «منه خرج». فمعناه : منه سمع ، وبتعليمه تعلم ، وبتفهيمه فهم .

وقوله : « وَإِلَيْهِ يَعُودُ » فمعناه : وإليه تعود تلاوتنا لكلامه ، وقيامنا بحقه ، كما قال : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ الصَّالِحُ ﴾[٣] [فاطر : ١٠] على معنى القبول له ، والاثابة عليه . وقيل : معناه : هو الذي تكلم به ، وهو الذي أمر بما فيه ، ونهى عما حظر فيه . وإليه يعود : هو الذي يسألك عما أمرك به ونهاك عنه .

وروى ابن لهيعة عن خالد بن يزيد ، عن أبي هلال وهو سعيد ، عن ثابت ، عن عبد الله بن عمرو قال : « لَا تقوم السَّاعَةُ حتىٰ يَرْجِعَ الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ نَزَلَ ، لَهُ دوي حَوْلَ الْعَرْشِ كَدَوِّي النَّحْلِ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ :

---

(٣) قال ابن كثير : يعني الذكر والتلاوة والدعاء ، قاله غير واحد من السلف والعمل الصالح يرفعه ، والعمل الصالح : أداء الفرائض واجتناب المحارم .

مَالَكَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ! مِنْكَ خَرَجْتُ ، وَإِلَيْكَ أَعُودُ ، أُتْلَى وَلاَ يُعْمَلَ بِي ، أُتْلَى وَلاَ يُعْمَلَ بِي » ، ذكره الوائلي أبو نصر في كتاب « الإبانة » وقال : هذا الحديث لم نكتبه إلا من هذا الوجه عن ابن لهيعة ، والله أعلم[1] .

وقد ذكر بعض أهل العلم المتبعين : أن الاحاديث الواردة في القرآن مما حكي فيه نطق منسوب إلى القرآن ، أن المراد به ثواب القرآن ، وممن قال ذلك أبو عبيد[2] .

تنبيه : قوله ﷺ : « كُلُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَهُوَ مَخْلُوقٌ غَيْرَ اللهِ والقُرآن » . مثل قوله تعالى : ﴿ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] فـ« ما » في الآية والحديث بمعنى الذي ، وهي متناولة لمن يعقل وما لا يعقل من غير تخصيص فيها بوجه ، لأن كل من في السموات والأرض وما فيهما وما بينهما خلق الله تعالى وملك له ، وإذا كان ذلك كذلك يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض ، إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو محدوداً ، ولو كان ذلك لكان محدَثاً ، وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق[3] .

وعلى هذه القاعدة قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك :

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبة للديلمي . نقول : وابن لهيعة ضعيف .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي اللغوي الفقيه المحدث صاحب المصنفات (١٥٧ ـ ٢٢٤ هـ) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في سورة الأعراف: ٥٤ عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ ﴾ مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً إمرارها جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر الى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، وليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

١٦ ، ١٧] وقوله ﷺ للجارية : « أَيْنَ اللهُ » ؟ قالت : في السماء[1] ولم ينكر عليها ، وما كان مثله ليس على ظاهره ، بل هو مؤول تأويلات صحيحة ، قد أبداها كثير من أهل العلم في كتبهم[2]، وقد بسطنا القول في هذا بكتاب « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى » عند قوله تعالىٰ : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ [طه : ٥] .

فصل

لا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السنة ، أن القرآن اسم لكلام الله عز وجل الذي جاء به محمد ﷺ ، معجزة له غابر الدهر ، وأنه محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسنة ، مكتوب في المصاحف ، معلومة على الاضطرار سوره وآياته ، مبرَّآت من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته ، فلا يحتاج في تعريفه بحدٍّ ، ولا في حصره بعدٍّ ، وأنه له نصف وربع . فنصفه من آخر سورة ﴿ الكهف ﴾ إلى آخر سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ وربعه من أول سورة ﴿ص﴾ إلى آخر ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ وله مع ذلك خمس ، وسبع ، وتسع ، وعشر . وفي الكتابة الموجودة في المصحف وفي القراءة الموجودة بالألسنة ستة آلاف آية ومائتا آية وآية . وفيها من الحروف ثلاثمائة ألف حرف وأحد عشر ألفاً ومائتان وخمسون حرفاً ، وحرف .

وكلام الله القديم الذي هو صفته ، لا نصف له ، ولا ربع ، ولا خمس ، ولا سبع ، ولا هو ألوف ، ولا مئون ، ولا آحاد ، وإنما هو صفة

---

(١) هو جزء من حديث طويل ، رواه مالك في « الموطأ » ٢/٧٧٦ و٧٧٧ في العتق ، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، ومسلم رقم (٥٣٧) في المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، وأبو داود رقم (٩٣٠) في الصلاة : باب تشميت العاطس في الصلاة ، والنسائي ٣/١٤ ـ ١٨ في السهو : باب الكلام في الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٥/٤٤٨ و٤٤٩ .

(٢) انظر « اجتماع الجيوش الاسلامية » لابن القيم ، و« العلو للعلي العظيم » للذهبي

واحدة ، لا ينقسم ولا يتجزأ ، وهذا مما يدل على أن التلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء ، فإن القراءة عند أهل الحق أصوات القراء ونغماتهم ، وهي اكتساباتهم التي يؤمرون بها في حال ، إيجاباً في بعض العبادات ، وندباً في كثير من الأوقات ، ويزجرون عنها إذا أجنبوا ، ويثابون عليها، ويعاقبون على تركها .

وهذا مما اجتمع عليه المسلمون ، ونطقت به الآثار ، ودل عليه المستفيض من الأخبار ، ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من اكتساب العباد ، ويستحيل ارتباط التكييف والترغيب والتضعيف بصفة أزلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات ، والقراءة هي التي تستطاب من قارىء ، وتستبشع من آخر ، وهي الملحونة والقويمة والمستقيمة ، وتنزَّه عن كل ما ذكرنا الصفة القديمة ، ولا يخطر لمن لازم الانصاف أن الأصوات التي يبح بها حلقه ، وتنتفخ على مستقر العادة بها أوْدَاجه ، وتقع على الايثار والاختيار محرَّفاً وقويماً ، وجهْوَرياً رخيماً ، ليس كلاماً لله تعالى ، إذ هي مخلوقة مبتدعة ، والمفهوم منها كلام الله القديم الأزلي الذي تدل عليه العبارات وليس منها ، وهو غير حالٍّ في القارىء ولا موجود فيه . وسبيل القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو ، كسبيل الذكر والمذكور ، فالذكر يرجع إلى قول الذاكر ، والرب المذكور المسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد .

هذا ما ذكره في هذا الباب علماؤنا رحمة الله عليهم ، وقد زدناه بياناً في الكتاب « الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى » .

واختلف هل القرآن مشتق ، أم لا ؟ .

فقال الفقيه الإمام الشافعي[1] رضي الله عنه : سمى الله تعالى كلامه قرآناً

---

(١) هو محمد بن ادريس الهاشمي القرشي المطلبي ناصر السنة أحد الأئمة في الفقه واللغة والحديث ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وكان ذكياً مفرطاً ،له تصانيف كثيرة ،ومناقبه أكثر من أن تحصى توفي بمصر سنة ٢٠٤ ودفن بالقرافة .

بمثابة اسم علم لا يسوغ إجراؤه على موجب اشتقاق ، ويجوز أن يقال أيضاً : سمي كلام الله قرآناً من حيث إنه يتلى ويقرأ بأصوات تنتظم وتتوالى وتتعاقب ، وينصرم المتقضي منها ، فسمي الكلام القديم قرآناً من حيث إنه مقروء ومتلو بما فيه من الاجتماع والتوالي والتعاقب ، وهو قراءة المقرئين وأصوات التالين .

وقال ابن إسحاق صاحب «المغازي»[1] : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

الْحَمْدَ للَّهِ رَبِّيْ لَا شَرِيْكَ لَهُ ... ذِيْ الحَوْلِ وَالْقُوَّةِ الْمُسْتَرْزَقِ الْبَاْقِيْ

الْقَاْهِرِ الْمُنْزِلِ الْقُرْآنَ نَدْرُسَهُ ... فِيْهِ أَحَاْدِيْثُ عَنْ مُوْسَىٰ وَإِسْحَاقِ

عَلَىٰ نَبِيٍ مِنْ الأَخْيَاْرِ مُؤْتَمَنٍ ... يَأْتِيْ عَلَىَ كُلِّ تَنْزِيْلٍ بِمِصْدَاْقِ

صَدَّقْتُ بِالْحَقِّ مِنْهُ وَاسْتَجَبْتُ لَهُ ... وَمَاْ رَكِبْتُ عَلَىٰ الْعَمْيَاء أَوْرَاْقِيْ

وقال أيضاً رضي الله عنه :

فَقَدْنَاْ الْوَحْيَ إِذْ وَلَّيْتَ عَنَّا ... وَوَدَّعَنَاْ مِنْ اللَّهِ الْكَلَاْمُ

سِوَىٰ مَاْ قَدْ تَرَكْتَ لَنَاْ رَهِيْناً ... تَوَاْرَثَهُ الْقَرَاطِيْسُ الْكِرَاْمُ

فَقَدْ أَوْرَثْتَنَاْ مِيْرَاْثَ صِدْقٍ ... عَلَيْكَ بِهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَاْمُ

قال المؤلف : الصحيح : أن القرآن مشتق من : قرأت الشيء : إذا جمعته ، وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلاً قط ، وما قرأت جنيناً ، أي : لم تضم رحمها على ولد ، قاله الجوهري .

وقال أبو عبيدة[2] : سمي القرآن قرآناً ، لأنه يجمع السور فيضمها .

---

(١) هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني ، صاحب المغازي ، من أهل المدينة ، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار ، توفي رحمه الله سنة ١٥١ هـ . وانظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » وقد جمعه ابن سيد الناس ترجمة واسعة في مقدمة كتابه « عيون الأثر » وذكر أقوال العلماء فيه مدحاً وقدحاً ، فارجع اليه ص ١/ ٨ - ١٧ .

(٢) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري ابو عبيدة النحوي ، من أئمة العلم بالادب واللغة (١١٠ - ٢٠٩) مولده ووفاته بالبصرة ، له مؤلفات كثيرة منها « مجاز القرآن » .

وقال الهروي : سمي به لأنه جمع فيه القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ،وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وتحذف الهمزة فيقال : قريت الماء في الحوض . وقوله تعالى : ﴿ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ﴾ [القيامة : ١٧] أي قراءته . قال الشاعر .

ضَحُّوا بِأَشْمَطُ عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ   يُقَطِّعِ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرآناً

أي : قراءة . ومنه : ﴿ وَقُرآنَ الفَجْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي : قراءة الفجر .

وحكي عن الشافعي رحمه الله تعالى : أن القرآن اسم علم لكتاب الله تعالى غير مشتق كما ذكرنا ، وكذلك التوراة والإنجيل . والصحيح الاشتقاق في الجميع ، والله أعلم .

* * *

البابُ الثَّاني

في تنزيل القرآن وأسمائه، وترتيب سوره وآيه

سمى الله سبحانه عزّ وجلّ وعلا كتابه العزيز بأسماء عديدة : كتاباً ، ومتشابهاً ، ونبأً ، ومثانيَ ، وقرآناً ، وفرقاناً ، وحقاً ، ونوراً ، وسراجاً ، ومبيناً ، وبياناً، وبينة ، وهدى ، وبشرى ، وموعظة ، وذكرى ، ومباركاً ، وعلماً ، وحكمة ، ورحمة ، ونعمة ، وشفاءً ، وكلاماً ، وكلماً ، وقيلاً ، وقولاً ، وحديثاً ، وأمراً ، وفصلاً ، وفضلاً ، ومصدقاً ، وصدقاً ، وتصديقاً ، ومهيمناً ، وصراطاً ، وحبلاً ، وشرفاً ، وآياتٍ ، وروحاً ، وعلياً ، وبشيراً ، ونذيراً ، وحكيماً ، وكريماً ، وعظيماً ، ومجيداً ، وعزيزاً ، وتنزيلاً ، وصحفاً مطهرة ، وتذكرة .

قال المؤلف رحمه الله : هذا الذي تحصَّل لي من أصل أسمائه من الكتاب . وفي حديث ابن مسعود : « مأدبة ، نافع ، عصمة ، نجاة » . وسيأتي ،وفي حديث أبي شريح الخزاعي: « سبب » ، وسيأتي . وسمي أيضاً « توراة » ذكره القاضي عياض في كتاب « الشفا »(١) .

قال الله تعالى : ﴿ حَم* تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الَّرحيم ﴾ [فصلت : ١ - ٢] وقال : ﴿ تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحيم ﴾ [يس : ٥] وقال : ﴿ حم * والكِتابِ المبين * إنَّا أنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ ﴾ [الدخان : ١ - ٣] يريد ليلة القدر .

كما قال : ﴿ إنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾ [القدر : ١] وقال الشعبي : المعنى : إنا ابتدأنا إنزاله إلى سماء الدنيا في ليلة القدر .

وقال : ﴿ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] فبين

---

(١) « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » صلى الله عليه وسلم .

سبحانه الزمن الذي أُنزل فيه القران .

واختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا وعلى النبي ﷺ على ثلاثة أقوال ، فروي أنه نزل كما جاء في الأخبار : أنه نزل لأربع وعشرين من شهر رمضان ، أي ليلة خمس وعشرين .

وقيل في تفسيره : كان ينزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في كل ليلة قدر ما ينزل على النبي ﷺ في السنة إلى الليلة التي تليها ، فينزِّل جبريل ذلك نجوماً بأمر الله تعالى فيما بين الليلتين من السنة ، إلى أن نزل القرآن كله من اللوح المحفوظ في عشرين ليلة ، وعلى النبي ﷺ في عشرين سنة .

وقيل : بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، ووضعه في بيت العزة ، وأملاه جبريل على السفرة ، ثم كان جبريل ينزله على النبي ﷺ نجوماً نجوماً ، وكان بين أوله وآخره ثلاثة وعشرون سنة . قاله ابن عباس (١) .

وحكى الماوردي عن ابن عباس قال : نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر ، وفي ليلة مباركة .

ذكر المروزي (٢) في كتابه « قيام الليل » عن جرير بن حازم ، قال : إنه قرأ في كتابٍ من كتب أبي قلابة (٣) : أن التوارة أنزلت لليلة ست من رمضان ،

---

(١) ذكره الحاكم في « المستدرك » ٢ / ٣٠وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) هو محمد بن نصر المروزي أبو عبد الله ، امام في الفقه والحديث ، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام .ولد ببغداد سنة ٢٠٢ ونشأ بنيسابور ، ورحل رحلة طويلة استوطن بعدها سمرقند ، وتوفي بها رحمه الله سنة ٢٩٤ هـ ، من كتبه « قيام الليل » و« السنة » . الليل » .

(٣) هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي أبو قلابة ، تابعي ، ثقة ، فاضل .

وأن الزبور أنزل لاثنتي عشرة ليلة من شهر رمضان بعد التوراة بألف وخمسمائة عام ، وأن الانجيل أنزل لثمان عشرة ليلة من رمضان بعد الزبور بألف عام ، وأن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين بعد الانجيل بثمانمائة عام ، جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ عشرين سنة [1] .

قال القاضي أبو بكر بن العربي [2] : هذا باطل ، ليس بين جبريل وبين الله واسطة ، ولا بين جبريل ومحمد ﷺ واسطة . وقال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

قال المؤلف رضي الله عنه : فهذه ثلاثة أقوال . أشهرها : أوسطها ، والأول غريب يستظرف ، ذكره الحَلِيمي [3] في كتاب «منهاج الدين» [4] ،

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » : حكاه الماوردي ، وهذا غريب . والقرآن نزل بعد الانجيل بست مئة سنة .

(٢) هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي ، أبو بكر العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) صاحب تصانيف جليلة منها « عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، و« العواصم من القواصم » و« احكام القرآن » في التفسير .

(٣) الحليمي ، بفتح الحاء وكسر اللام ، وهو الحسين بن الحسن بن محمد بن حكيم البخاري الجرجاني أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، قاضٍ ، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، مولده في جرجان ، ووفاته في بخارى (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) له « المنهاج في شعب الايمان » ، وهو متقدم على البيهقي صاحب « شعب الايمان » .

(٤) في « شعب الايمان » وهو كتاب جليل فيه أحكام كثيرة ، ومسائل فقهية ، مما يتعلق بأصول الايمان ، رتبه مؤلفه على سبعة وسبعين باباً ، على أن للإيمان بضعاً وسبعين شعبة ، قال الحافظ في « الفتح » : ووقع في « المنهاج » للحليمي أن جبريل كان ينزل منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدر الى السماء الدنيا قدر ما ينزل به على النبي ﷺ في تلك السنة إلى ليلة القدر التي تليها إلى أن أنزله كله في عشرين ليلة من عشرين سنة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا . وهذا أورده ابن الأنباري من طرق ضعيفة ومنقطعة أيضاً .

والثالث : ضعيف ، والله أعلم .

واختلف أيضاً في كم نزل القرآن من المدة ، فقيل : في خمس وعشرين سنة ، وقال ابن عباس ، في ثلاث وعشرين . وقال أنس : في عشرين ، وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله ﷺ .

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذه الأقوال الثلاثة ثابتة في « صحيح مسلم»[١] .ورأيت لأبي جعفر النحاس [٢] في كتاب « معاني القرآن » له قولاً رابعاً : أنه ﷺ توفي وهو ابن اثنتين وستين سنة ، ورأيت أيضاً للبيهقي [٣] في كتاب « دلائل النبوة » : أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ونصف سنة .

ولا خلاف أن مبدأ نزول القرآن بمكة ، وأن منه مكياً ومدنياً ، وأن ترتيب سورة وآية توقيف .

وذكر أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري [٤] في كتاب « الرد على من خالف مصحف عثمان رضي الله عنه »له : أن الله الذي لا إله إلا هو تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن كل عيب ، أنزل القرآن جملة الى سماء

---

(١) لم أجده في « صحيح مسلم » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي المصري مفسر أديب مولده ووفاته بمصر سنة ٣٣٨ هـ « وصنف « تفسير القرآن » و« إعراب القرآن » و« ناسخ القرآن ومنسوخه » و« معاني القرآن » و« شرح المعلقات التسع » .

(٣) هو أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ، صاحب « السنن الكبرى » و« دلائل النبوة » و« شعب الإيمان » و« الأسماء والصفات » وغيرها من المصنفات الجليلة . (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) .

(٤) المتوفى سنة ٣٢٨ هـ من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار . له « شرح المفضليات » رواها عن أبيه ، و« شرح القصائد السبع الطوال » و« الأضداد » .

الدنيا ، ثم فرق على النبي ﷺ عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية ، فاتساق السور ، كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد ﷺ خاتم النبيين عن رب العالمين . فمن أخر سورة مقدمة ، أو قدم وأخر ، فهو كمن أفسد نظم الآيات ، وغير الحروف والكلمات ، ولا حجة على أهل الحق في تقديم ﴿ البقرة ﴾ على ﴿ الأنعام ﴾ ، و﴿ الأنعام ﴾ نزلت قبل ﴿ البقرة ﴾ ، لأن رسول الله ﷺ أُخذ عنه هذا الترتيب ، وهو كان يقول : « ضَعُوا هَذِهِ السُّورَةُ مَوْضِع كَذَا وَكَذَا مِنَ القُرْآنِ » وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات .

حدثنا حسن بن الحباب ، حدّثنا أبو هاشم ، حدّثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : آخر ما نزل من القرآن ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قل الله يُفْتِيكُمْ في الكلالة ﴾ [1] [النساء : ١٧٦] قال أبو بكر بن عياش : وأخطأ أبو إسحاق ، لأن محمد بن السائب حدّثنا عن أبي السائب ، عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن : ﴿ واتَّقُوا يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى الله ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] فقال جبريل للنبي ﷺ : يا محمد ضعها في رأس ثمانية[2] ومائتين من البقرة [3] .

---

(١) أنظر البخاري ٨/٢٠١ في تفسير سورة النساء ، باب يستفتونك ، قل : الله يفتيكم في الكلالة .

(٢) كذا في النسخ المطبوعة ، ولعلها ثمانين ، والآية في ثمانين ومائتين من البقرة .

(٣) روى البخاري ٨/١٥٣ في تفسير سورة البقرة باب ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ من حديث الشعبي عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا . قال الحافظ في « الفتح » كذا ترجمه المصنف بقوله : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ . وأخرج هذا الحديث بهذا اللفظ ، ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس ، فإنه جاء

وذكر ابن وهب [1] في « جامعه » قال : سمعت سليمان بن بلال يقول : سمعت ربيعة يسأل : لم تقدمت ﴿ البقرة ﴾ و﴿ آل عمران ﴾ وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ، وإنما نزلتا بالمدينة ؟ فقال ربيعة : قد قدمتا ، وألف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك ، فهذا مما ينتهي إليه ولا يسأل عنه .

وقال مكي [2] رحمه الله : إن ترتيب الآيات والسور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ ، ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة ﴿ براءة ﴾ تركت بلا بسملة وقال القشيري أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم [3] : والصحيح : أن البسملة لم تكتب في ﴿ براءة ﴾ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة .

قال المؤلف رضي الله عنه : والمعنى في ذلك والله أعلم على ما ذكره بعض العلماء : أنه كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه ، كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا في أوله بسملة ، فلما نزلت سورة ﴿ براءة ﴾ بنقض العهد الذي كان بين النبي ﷺ

عنه ذلك من هذا الوجه، وجاء عنه من وجه آخر : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ﴾ أخرجه الطبري .

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري أبو محمد (١٢٥ ـ ١٩٧ هـ) فقيه من الأئمة ، من أصحاب مالك ، جمع بين الفقه والحديث والعبادة ، له كتب ، منها « الجامع » في الحديث وهو مطبوع

(٢) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ابو محمد (٣٥٥ ـ ٤٣٧ هـ) مقريء ، عالم بالتفسير والعربية ، له عدة كتب في القراءات والتجويد منها « الكشف عن القراءات السبع » و« التبصرة » و« الإبانة عن القراءات » وغيرها .

(٣) المتوفى سنة ٥١٤ هـ ، واعظ من علماء نيسابور من بني قشير ، والده عبد الكريم صاحب « الرسالة القشيرية » المشهورة .

والمشركين ، نزلت بغير بسملة ، وبعث بها النبي ﷺ مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقرأها عليهم في الموسم ، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عاداتهم في نقض العهد من ترك البسملة ، والله أعلم .

وللعلماء في ترك البسملة في سورة ﴿ براءة ﴾ خمسة أقوال ، ذكرناها في كتاب « جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان [1] » وذكرناها أيضاً في كتاب « الانتهاز في قراء أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز » نذكر منها هنا قولين :

أحدهما : ما ذكرناه

والآخر : أن ذلك كان عن اجتهاد من عثمان كما ذكره النسائي في كتابه بإسناده عن يزيد الفارسي [2] . قال : قال لنا ابن عباس : قُلْتُ لِعُثْمَانَ : مَا حَمَلَكُمْ إِلَىٰ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَىٰ ﴿ الأَنْفالِ ﴾ وَهِيَ مِنَ المَثَانِي [3] ، وَإِلَىٰ ﴿ بَراءَةَ ﴾ وَهِيَ مِنَ المِئِينَ ، فَقَرَنْتُم بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ تَكْتُبُوا [بَيْنَهُمَا] سَطْرَ « بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ ، فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ عُثْمان : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ [مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ ، وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتِ العَدَدِ] فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ عِنْدَهُ فَيَقُولُ : « ضَعُوا هَذِهِ الآيَاتِ ، فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا » ، [وإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآية ، فيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا] وَكَانَتِ ﴿الأنفال﴾ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ ، وَ﴿بَرَاءَةُ﴾ مِنْ أَوَاخِرِ مَ نَزَلَ مِنَ القُرْآن ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِها ، [فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا] وَقُبِضَ

(١) انظر تفسير القرطبي ٨/٦١ .

(٢) في المطبوع : الرقاشي .

(٣) المثاني : هي السور التي تقل آياتها عن المئتين وتزيد على المفصل .

رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يُبين لَنَا أَنَّها مِنْهَا ، فَمِنْ ثَمَّ قَرَنْتُ بَيْنَهُما ، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ « بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » [فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ] (*) (١) .

قال علماؤنا : وفي قول عثمان : وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه ، وأن ﴿ براءة ﴾ وحدها ضمت إلى ﴿ الأنفال ﴾ من غير عهد من النبي ﷺ لما عاجله من الحِمام(٢) قبل تبيينه ذلك ، وكانتا تدعيان القرينتين ، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما الى الأخرى للوصف الذي لزمهما من الاقتران ، والله أعلم .

* * *

(*) الزيادات من « سنن الترمذي » .

(١) وهو في « الكبرى » للنسائي ورواه أحمد في « المسند » ١/٥٧ وأبو داود رقم (٧٨٦) في الصلاة : باب من جهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، والترمذي رقم (٣٠٨٦) في التفسير : باب ومن سورة التوبة ، وصححه ابن حبان (٤٥٢) والحاكم ٢/٢٢١ ووافقه الذهبي .

(٢) الحمام ، بكسر الحاء : الموت .

الباب الثّالث

في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف

ثبت ذلك في « صحيح مسلم »[1] وغيره من حديث أُبِّي بن كعب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ حسبما ذكرناه في كتاب « جامع أحكام القرآن » .

وثبت في الأمهات « الموطأ » و « الصحيحين » وأبي داود والنسائي وغيرها من المصنفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم ، وفيه أَنَّ هٰذا القُرْآن أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّر مِنْهُ [2] .

واختلف العلماء في المراد بالسبعة الأحرف على أقوال عديدة جماعها خمسة وثلاثون قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي [3] ، ذكرنا منها

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٢٠) في الصلاة : باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٤٧٧) و(١٤٧٨) في الصلاة : باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف ، والترمذي رقم (٢٩٤٥) في القراءات : باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، والنسائي ١٥٣/٢ و١٥٤ في افتتاح الصلاة : باب جامع ما جاء في القرآن .

(٢) رواه الموطأ ٢٠١/١ في القرآن ، باب ما جاء في القرآن، ورواه البخاري ٢٠/٩ و٢١ في فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف وباب من لم ير بأساً أن يقول : سورة كذا ، وفي الخصومات : باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ فاقرؤوا ما تيسر منه ﴾ ورواه مسلم رقم (٨١٨) في الصلاة : باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، وأبو داود رقم (١٤٧٥) في الصلاة : باب انزل القرآن على سبعة أحرف ، والترمذي رقم (٢٩٤٤) في القراءات : باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، والنسائي ١٥٠/٢ ـ ١٥٢ في افتتاح الصلاة باب جامع القرآن .

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » أنه تتبع مظانها في « صحيح ابن حبان » فلم يقف عليها فيه ، ولعله ذكرها في غير الصحيح ، كما أوصل سنن الصلاة إلى ستمائة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب مخصوص .

في مقدمة « جامع أحكام القرآن » خمسة أقوال ، وتلك أمهاتها ، وإليها يرجع جلها [1] ، نذكر منها هاهنا قولاً واحداً وهو أحسنها إن شاء الله تعالى ، وهو الذي عليه أكثر أهل العلم : كسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن وهب ، والطبري ، والطحاوي وغيرهم : أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة ، نحو : أقبل ، وتعال ، وهلم .

قال الطحاوي : وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة ، قال : جاء جبريل الى النبي ﷺ فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده . حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأ فكل شافٍ كافٍ ، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة على نحو : هلم ، وتعال ، وأقبل ، واذهب ، وأسرع ، وعجل [2] .

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأ[3] ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا ﴾ [الحديد : ١٣] ، للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا .

وبهذا الاسناد عن أبيٍّ أنه كان يقرأ ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فيه ﴾ [البقرة ٢٠] مرُّوا فيه ، سعوا فيه . وفي البخاري ومسلم قال الزهري : إنما

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١/٩١ .

(٢) ذكره الطحاوي في «مشكل الآثار» ٤/١٩١ ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٤١ و٥١ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧/١٥١ ونسبه لأحمد والطبراني وقال : وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ وقد توبع وبقية رجال احمد رجال الصحيح .

(٣) كان السلف يستعملون لفظ « وقرأ فلان » كذا بمعنى « فسَّر » .

هذه الأحرف في الأمر الواحد لا تختلف في حلال ولا في حرام[1] .

قال الطحاوي : إنما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، لأنهم كانوا أميين ، لا يكتب الا القليل منهم ، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول الى غيرها من اللغات ، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب ، وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله ﷺ ، فقرؤوا بذلك على تحفظ ألفاظه ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها . قال أبو عمر بن عبد البر[2] : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد .

قال المؤلف رضي الله عنه : ونحو هذا ذكره القاضي أبو بكر ابن الطيب ، وأن ذلك كان مطلقاً ، ثم نسخ ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف ، وقد قيل : إن المراد بالسبعة الأحرف قراءة القراء السبعة التي يقرأ بها ، وهو قول باطل بما ثبت من الاجماع على جواز القراءة بها[3]،وقد بينا بطلانه بما نشأ من الاختلاف في

---

(١) هي فقط عند مسلم برقم (٨١٩) في صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف .

(٢) هو بقية كلام الطحاوي فلعل المؤلف نقله بواسطة ابن عبد البر فظن انه من كلامه راجع ٤/١٩٠ من « المشكل » .

(٣) أطال ابن الجزري إيراد الدلائل على بطلان هذا القول من بعد القراءات ، حتى حكى عن أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز الاسكندري أنه جمع في كتابه « الجامع الأكبر والبحر الأزخر » سبعة آلاف رواية وطريق . ثم قال ابن الجزري : وإنما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن

القراءة بين الناس قبل جمع عثمان المصحف في مقدمة « جامع احكام القرآن » .

* * *

القراءات الصحيحة هي التي في « الشاطبية » و« التيسير » وأنها هي المشار إليها بقوله ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » حتى إن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً ، وربما كان كثير مما لم يكن في « الشاطبية » و« التيسير » وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير ، مما فيها ، وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وسمعوا قراءة السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار اليها ، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء ، وخطؤوه في ذلك ، وقالوا : ألا أقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بين مراده ليخلص من لا علم له من هذه الشبهة ، وانظر بقية كلامه رحمه الله تعالى ص ٥١ ـ ٦٣ .

الباب الرَّابع
في فضل القرآن وأن عند قراءته تفتح أبواب السماء

قال العلماء : من فضل كلام القرآن أنه كلام رب العالمين غيرمخلوق، كلام من ليس كمثله شيء ، وصفة من ليس له شبيه ولا ند ، ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله ليتدبروه وليعتبروه وليتذكروا ما فيه من طاعته ، وعبادته ، وأداء حقوقه ، وفرائضه ، لضعفت ، ولاندكت بثقله ، أو لتضعضعت له ، وأنى تطيقه وهو يقول تعالى جده وقوله الحق : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعَاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ الله ﴾ [الحشر : ٢١] فأين قوة القلوب من قوة الجبال ؟ ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلاً منه ورحمة .

الترمذي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا أَذِنَ اللهُ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا ، وَإِنَّ البرَّ لَيُذَرُّ عَلَى رَأْسِ العَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلاَتِهِ ، وَمَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إلى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ » قال أبو النضر : يعني القرآن . قال : حديث غريب[1] . وروي مرسلاً[2] .

---

(١) في المطبوع : حديث حسن غريب ، وما أثبتناه موافق لنسخ الترمذي المطبوعة .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩١٣) في فضائل القرآن : باب رقم ١٧ ،ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٢٦٨ قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ،وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر عمره . نقول : وفيه ايضاً ليث بن أبي سليم وهو ضعيف . وقال الترمذي : وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلاً . نقول : وقد رواه الحاكم ١/٥٥٥ وصححه ووافقه الذهبي من حديث زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «انكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه « يعني القرآن » انظر « الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (١٩٥٧) .

وروى أبو محمد الدارمي السمرقندي ، وأبو داود الطيالسي[1] في « مسنديهما » وأبو بكر الأنباري في كتاب « الرد » له ، عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ! ﷺ يقول : « سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ » قلت : يا رسول الله : وما المخرج منها ؟ قال : « كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، فِيهِ نَبَأُ مِنْ قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ ، مَنْ تركَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله ، وَمَنِ اتَّبَعَ الهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله ، فَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ ، وَنُورُهُ المُبِينُ ، وَالذِّكْرُ الحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ ، وَلَا تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الآرَاءُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ ، وَلَا يَمَلُّهُ الأَتْقِيَاءُ ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾ مَنْ عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ ، وَمَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ حكم بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ » لفظ الدارمي ، وخرجه أبو عيسى الترمذي وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حمزة الزيات[2] وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال[3] وأسند أبو بكر بن الانباري ،

---

(١) لم نجده في « مسند الطيالسي » ، ولعله يريد « مسند أحمد » ، فالحديث عنده ، وتسمية « سنن الدارمي » مسنداً لا يخفى ما فيه .

(٢) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات ، بل قد رواه عند أحمد ١/٩١ ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث ،وعن الدارمي رقم (٣٣٣٤) محمد بن سلمة عن أبي سنان سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن الحارث ، وقد ارتفعت جهالة إسناده التي يريد بها الترمذي : أبا المختار الطائي ، وابن أخي الحارث الأعور ، ولكن بقي الكلام في الحارث الأعور .

(٣) رواه الدارمي في « سننه رقم (٣٣٣٤) في فضائل القرآن : باب فضل من قرأ القرآن ، والترمذي رقم (٢٩٠٨) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل القرآن ، ورواه أيضاً أحمدفي « المسند » ١/٩١ واسناده

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مَأْدُبَةُ اللهِ ، فَتَعلَّمُوا مِن مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينِ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةُ مِن تَمسَّكَ بِهِ ، وَنجاةُ مَنِ اتَّبعَهُ ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمْ ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبْ ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبَهُ ، وَلاَ يَخْلَقَ عَنْ رَدٍّ ، فَاتْلُوهُ، فَإِنَّ الله يَأْجُرُكُمْ عَلَىٰ تِلاَوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَّا إِنِّي لاَ أَقُولُ : آلم حَرْفُ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ ، وَأَلِفٌ وَلاَمٌ وَمِيمٌ ثَلاَثُونَ حَسَنَةً[١] . وَلاَ أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ واضِعاً إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ الأُخْرَىٰ يَدْعُ أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ البَقَرَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سورة البَقَرَةِ ، وَإِنَّ أَصْفَرَ[٢] البُيُوتِ لَجَوْفٌ صفْر مِنْ كِتَابِ اللهِ » .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريبه» عن عبد الله قال : « إِنَّ القُرْآنَ مَأْدَبَةُ اللهِ ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ فَهُوَ آمِنٌ »[٣] قال : وتأويل الحديث أنه شبَّه القرآن

= ضعيف جداً ، من أجل الحارث الأعور ، قال الحافظ ابن كثير في « فضائل القرآن » ص ١٥ : والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور ، وقد تكلموا فيه ، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده ، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا ، قال : وقصاري هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وقد وهم بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن، ويشهد لبعضه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، يريد الحديث الذي بعده .

(١) ورواه أيضاً الى هنا الحاكم في « المستدرك » ١/٥٥٥ وصححه وتعقبه الذهبي بابراهيم الهجري وهو ضعيف ، ورواه الدارمي في « سننه » موقوفاً على عبد الله بن مسعود ، رقم (٣٣١٨) في فضائل القرآن : باب فضل من قرأ القرآن ، وذكره ابن كثير في « التفسير » ونسبه للقاسم بن عبيد من حديث إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ وقال : هذا غريب من هذا الوجه ، ولكن له شاهد من وجه آخر .

(٢) في « الترغيب والترهيب » للمنذري ٢/٢١٢ : إن أصغر بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث له ٤/١٠٧ وفي « فضائل القرآن » انظر فضائل القرآن لابن =

بصنيع صنعه الله عز وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه. يقال : مَأْدُبة ومَأْدَبة ، فمن قال : مأْدُبَة أراد الصنيع يصنعه الانسان فيدعو إليه الناس ، ومن قال : مأْدَبة فإنه يذهب به إلى الأدب يجعله مفعلة ، ويحتج بحديثه الآخر « إِنَّ هَـذا القُـرْآنُ مَأْدَبَـةُ اللهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَـأْدَبَتِهِ » وكـان الأحمر[1] يجعلهما لغتين بمعنى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره . والتفسير الأول أعجب إلي ، وروى سفيان عن ليث قال : تفتح أبواب السماء لخمسة : نزول الغيث ، وقراءة القرآن ، ولقاء الزحف ، والأذان ، والدعاء[2] .

* * *

كثير ص ١٠ ورواه الدارمي رقم (٣٣٢٥) في فضائل القرآن : باب فضل من قرأ القرآن ، واسناده صحيح .

(١) هو خلف بن حيان الأحمر ، عالم بالأدب وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب ، له « ديوان شعر » و« كتاب جبال العرب » و« مقدمة في النحو » توفي في البصرة سنة ١٨٠ هـ .

(٢) وورد نحوه في المرفوع عن ابن عمر بسند ضعيف .

الباب الخامس
في علو القرآن على سائر الكتب المنزلة

قال الله تعالى : ﴿ وَإنَّه في أُمِّ الكِتَابَ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] وقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالَحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَينَ يَدَيهِ من الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٥١] . قال علماؤنا : أي عال عليه ، وعلوه على سائر كتب الله تعالى ـ وإن كان الكل كلام الله تعالى ـ بأمور :

أحدها : بما زاد عليها من السور ، فقد جاء في الحديث الصحيح أن نبينا ﷺ خص بسورة الحمد ، وخواتيم سورة البقرة على ما يأتي . وفي « مسند الدارمي » عن عبد الله قال : إنَّ السَّبْعَ الطِّوَال مِثْل التَّوْرَاةِ ، وَالمِئِين مِثْل الإنْجِيلِ ، وَالمَثَانِي مِثْل الزَّبُورِ ، وَسَائِرَ القُرْآنِ بَعْدُ فَضْلٌ [١] .

والأمر الثاني : أن جعله الله قرآناً عربياً مبيناً ، وكل نبي قد بين لقومه بلسانهم ، كما أخبر الله عز وجل ، ولكن للسان العرب مزية في البيان .

والثالث : أن جعل نطقه وأسلوبه معجزاً ، وإن كان الاعجاز في سائر كتب الله من حيث الإخبار عن المغيبات والإعلام بالأحكام المبينات وسنن الله المشروعات وغير ذلك ، وليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود ، فكان أعلى منها بهذه المعاني وأمثالها ، ولهذا المعنى الإشارة بقوله الحق : ﴿ وإنَّهُ في أُمِّ الكِتَاب لَدَيْنَا لعَليٌّ حَكِيمٌ ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ ما نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ

---

(١) رواه الدارمي في « سننه » رقم (٣٤٠٣) في فضائل القرآن : باب فضائل الأنعام والسور ، من حديث المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود موقوفاً ، وإسناده منقطع ، المسيب ابن رافع لم يدرك عبد الله بن مسعود ، وروايته عنه مرسلة .

بخَيْرٍ مِنْهَا أو مِثْلَها﴾ [البقرة : ١٠٦] أي : بأنفع لكم أيها الناس في عاجل إن كانت النساخة أخف ، أو في آجل إن كانت أثقل ، أو بمثلها إن كانت مستوية ، فيكون علوه راجعاً الى الزيادة في التصديق والبيان . وكونه معجزاً يصدق من جاء به ، ويصدق ما قبله من الكتب والرسل مع أنه ناسخ لها .

وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

* * *

الباب السّادس

فيما جاء من تفضيل القرآن بعضه على بعض

اختلف أهل الحق في تفضيل بعض السور على بعض والآي، وتفضيل أسماء الله تعالى بعضها على بعض. وقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَو مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] يثبت جواز كل واحد من القولين. فقال قوم: لا فضل لبعض على بعض، لأن الكل كلام الله عز وجل، وكذلك أسماؤه لا مفاضلة بينها، ذهب إلى هذا الشيخ أبو الحسن الأشعري[1]، والقاضي أبو بكر ابن الطيب، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، وجماعة من الفقهاء. وروي معناه عن مالك. قال يحيى بن يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها، وقال عن مالك في قول الله عز وجل: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] قال: محكمة مكان منسوخة، وروى ابن كنانة مثل ذلك كله عن مالك.

واحتج هؤلاء بأن قالوا: إن الأفضل يشعر بنقص المفضول، والذاتية في الكل واحدة، وهي كلام الله، وكلام الله تعالى لا نقص فيه.

قال البستي: ومعنى قوله ﷺ: « مَا فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ مِثْل أُمِّ القُرآنِ »[2] إن الله تعالى لا يعطي لقارىء التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما

---

(١) هو علي بن اسماعيل بن اسحاق أبو الحسن الأشعري الذي ينسب اليه مذهب الأشاعرة (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ) من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الاشعري له « مقالات الاسلاميين » و« الإبانة عن أصول الديانة » وهي من مطبوعات مكتبة دار البيان بدمشق.

(٢) سيأتي تخريجه في الصفحة ٤٨. رقم (٣).

يعطي لقاريء أُمِّ القُرْآنِ ، إذ الله بفضله فضَّل هذه الأمة على غيرها من الأمم ، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه ، وهو فضل منه لهذه الأمة . قال : ومعنى قوله لأبي سعيد ابن المعلى : « لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَم سُوْرَةٍ فِي القُرآنِ ، قال : الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ . . . » الحديث[1] ، وسيأتي أنه أراد به في الأجر ، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض ، وقول قوم بالتفضيل ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وإلهكُم إلَهٌ وَاحِدٌ لا إلَه إلاَّ هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ ﴾ [البقرة : ٦٣] وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص ، من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس مثلاً موجوداً في ﴿ تَبَّتْ يدا أَبي لَهبٍ ﴾ [المسد : ١] وكذلك ليس مدلول ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ ﴾ [الحديد : ٣] كمدلول ﴿ ومِنَ الضَّأْنِ اثنين وَمِنَ المَعْزِ اثْنَينِ ﴾ [الانعام : ١٤٤] ولا مدلول ﴿ وَيجْعَلونَ للهِ البَنَاتِ ﴾ [النحل :٥٧] وما كان مثلهما. فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة كما قلناه في الباب قبل ، وهذا هو الحق وإن كان قد تقدم بأن لقاريء القرآن بكل حرف عشر حسنات ، لكن إن حصل التساوي في دخول الجنان ، فالتفاوت متحقق في الدرجات لتفاوتهم في المعارف والفهومات .

ومن قال بالتفضيل إسحاق بن راهويه[2] وغيره من العلماء والمتكلمين ، وهو اختيار الحَليمي والقاضي أبي بكر بن العربي وابن

---

(١) سيأتي تخريجه في الصفحة التى بعدها .

(٢) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي أبو يعقوب بن راهويه ، حاكم خراسان في عصره ونظير الامام أحمد بن حنبل (١٦١ ـ ٢٣٨ هـ) .

الحصار[1] وغيرهم ، لحديث أبي سعيد بن المعلى خرجه البخاري . قال : كنت أصلي في المسجد ، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت : يا رسول الله ! إني كنت أصلي ، فقال : « أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿ اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دعاكُم ﴾ [الأنفال : ٢٤] ؟ ثم قال : « لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرآن قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ » ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن ؟ قال : ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآن العَظِيم الَّذِي أُوتِيتُهُ »[2] .

وحديث أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإنْجِيل مِثْلَ أُمِّ القُرآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي ، وَهِيَ مُقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيَنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ » أخرجه الترمذي ، وهو في « الموطأ » مرسل ، وقد رواه يزيد بن زريع ، قال : حدثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ على أُبي وهو يصلي . . . الحديث ، بمعناه ، وخرجه الترمذي قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء ، وقال : هذا

---

(١) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي أبو الحسن الحصار فقيه إشبيلي الأصل ، توفي سنة ٦١١ هـ .

(٢) رواه البخاري ٨/١١٩ و١٢٠ في التفسير : باب ما جاء في فاتحة الكتاب ، وفي تفسيره سورة الأنفال : باب ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ وفي تفسير سورة الحجر : باب ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ ، وفي فضائل القرآن : باب فاتحة الكتاب ، وأبو داود رقم (١٤٥٨) في الصلاة باب فاتحة الكتاب ، والنسائي ٢/١٣٩ في الافتتاح : باب تأويل قول الله عز وجل : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ ، وابن ماجه رقم (٣٧٨٥) في الأدب : باب ثواب القرآن .

حديث حسن صحيح[1] .

وفي الباب عن أنس بن مالك[2]، وفي البخاري ومسلم عن أبي بن كعب أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَا أُبَيُّ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَعْظَمُ » ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : « يَا أُبَيُّ أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ ، قال : قلت : ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ قال : فضرب في صدري وقال : « لِيَهْنِكَ العِلْمُ يَا أَبَا المُنْذِرِ »[3] .

قال ابن الحصار : عجبي ممن يذكر الاختلاف مع هذه النصوص . وقال ابن العربي : قوله : «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثلها»، وسكت عن سائر الكتب ، كالصحف المنزلة والزبور وغيرها ، لأن هذه المذكورة أفضلها ، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل ، كان أفضل الكل ، كقولك : زيد أفضل العلماء ، فهو أفضل الناس .

وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها ، حتى أن قيل : جميع القرآن فيها ، وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن ، ومن شرفها أن الله قسمها بينه وبين عبده ، ولا تصح القربة إلا بها ، ولا يلحق عمل

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ١/٨٣ في الصلاة : باب ما جاء في أم القرآن ، ورواه الترمذي رقم (٣١٢٤) في التفسير : باب ومن سورة الحجر ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٣٥٧ و٤١٢ و٥/١١٤ ، والنسائي ٢/١٣٩ في الافتتاح : باب تأويل قول الله عز وجل ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ . ورواه ابن حبان رقم (١٧١٤) « موارد » ، والحاكم ١/٥٥٧ و٥٥٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه ابن حبان رقم (١٧١٣) « موارد » ، والحاكم ١/٥٦ وصححه وأقره الذهبي . نقول : وفي الباب أيضاً عن عقبة بن عامر رواه أحمد في المسند ٤/١٥٨ .

(٣) رواه مسلم رقم (٨١٠) في صلاة المسافرين : باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٥٨ و١٢٣ ، وأبو داود رقم (١٤٦٠) في الصلاة : باب ما جاء في آية الكرسي ، ولم نجده عند البخاري كما ذكر المصنف .

بثوابها ، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم[١] ، كما صارت ﴿ قُل هُوَ اللهُ أَحَدُ ﴾ تعدل ثلث القرآن[٢] ، إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ ﴾ فيها التوحيد كله ، وبهذا المعنى وقع البيان في قوله ﷺ : « أَيُّ آيَةٍ فِي القُرْآنِ أَعْظَمُ» ؟ قال : ﴿ اللهُ لا إِلَه إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ وإنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها ، كما صارت في قوله ﷺ : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنا وَالنَّبِيُّونَ مِنَ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكُ لَهُ »[٣] أفضل الذكر لأنها كلمات حوت جميع العلوم في التوحيد ، والفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والتذكير ، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى .

وقال الحَليمي : وقد يقال : سورة خير من سورة ، وآية خير من آية ، بمعنى أن القارىء يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ، وهو الاحتراز مما يخشى ، والاعتصام بالله تعالى مما يكره ، وذلك كقراءة آية الكرسي ، وسورة الاخلاص والمعوذتين ، وخاتمة سورة البقرة ونحو ذلك مما جاء فيه التحرز من المكاره .

وقد يقال : إن الناسخة خير ، أي العمل بها خير بالناس ، وأعود عليهم ، وعلى هذا يقال : آيات الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، خير من آيات القصص ، لأن القصص إنما أريد به تأكيد الأمر والنهي ، والانذار

---

(١) انظر تفسير « سورة الفاتحة » لابن القيم وهي من مطبوعات « مكتبة دار البيان بدمشق » .

(٢) انظر كتاب « جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبره به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » . و« تفسير سورة الاخلاص » كلاهما لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهي من مطبوعات « مكتبة دار البيان بدمشق » أيضاً .

(٣) رواه مالك في « الموطأ »١/ ٢١٤ و٢١٥ في القرآن: باب ما جاء في الدعاء ، وفي الحج : باب جامع ، الحج ، والترمذي رقم (٣٥٧٩) في الدعوات : باب رقم ١٣٣ ، وهو حديث حسن .

والتبشير ، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون عن القصص ، فكان ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجري مجرى الأصل خيراً لهم مما يجعل تبعاً لما بدا منه .

قال المؤلف رضي الله عنه : وإذا تقرر القول بالتفضيل على الصحيح من القولين، فكذلك القول في تفضيل الأنبياء عليهم السلام . قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : **٢٥٣**] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الاسراء : **٥٥**] ، فكذلك منهم رسل ، وأولـو عزم ، ومنهم من اتخذ خليلاً ، وكلم تكليماً ، ورفع بعضهم درجات ، كما أخبر ، وذلك بزيادة الأحوال والخصوص والكرامات ، والألطاف المتواليات ، والمعجزات المتباينات .

وأما النبوة في نفسها ، فلا تتفاضل ، إذ هـي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، وإنما التفاضل بأمور اخر زائدة عليها ، وهذا القول أحسن ما قيل في هذا ، والله أعلم . وأنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ على ما قررناه في كتاب « جامع أحكام القرآن » من سورة البقرة ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض ، إنما هو بما منح من الفضائل ، وأعطى من الوسائل .

وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال : إن الله تعالى فضل محمداً على الأنبياء ، وعلى أهل السماء ، فقالوا : يا ابن عباس بم فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله تعالى قال : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إني إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلك نَجْزِيه جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالمين ﴾ [الأنبياء : **٢٩**] وقال لمحمد ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١و٢] قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [ابراهيم : **٤**] وقال لمحمد ﷺ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [سبأ : ٢٨] فأرسله الى الجن والإنس ، ذكره الدارمي أبو محمد في « مسنده »[١] ، والقاضي عياض في كتاب « الشفاء » له .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : خير بني آدم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، وهم أولو العزم من الرسل .

وهذا نص من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين ، ومعلوم أن من أُرسل أفضل ممن لم يرسل ، فإن من أرسل فضل غيره بالرسالة ، واستووا في النبوة ، إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم وإخراجهم من ديارهم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والشعبي ، ومجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] هو محمد ﷺ .

قال ﷺ : « بُعِثْتُ إلىٰ الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرة شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَأُعطِيتُ الشَّفاعة»[٢] .

ومن ذلك القرآن العظيم الذي أعجز الأولين والآخرين ، فلم يقدروا على أن يأتوا بمثله ، وبقي معجزة غابر الدهر ، بخلاف معجزات الأنبياء عليهم السلام ، فإنها انقرضت بانقراضهم .

---

(١) رواه الدارمي في « سننه » رقم (٤٧) في المقدمة : باب ما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل ، واسناده حسن .

(٢) رواه مسلم رقم (٥٢١)(٣) في المساجد في فاتحته من حديث جابر ، ورواه أحمد في « المسند » ٣٠١/١ من حديث ابن عباس و ٤١٦/٤ من حديث أبي موسى الأشعري و١٤٥/٥ و١٤٨ و١٦١ و١٦٢ من حديث أبي ذر . ورواه أيضاً الدارمي رقم (٢٤٧٠) في السير : باب الغنيمة لا تحل لأحد من قبلنا من حديث أبي ذر أيضاً .

ومنها انشقاق القمر[1]، وتكليمه الشجر[2]، وإطعامه الخلق العظيم من تميرات[3]، ودرور شاة أم معبد بعد جفاف[4]، ونبع الماء من بين أصابعه[5]، الى غير ذلك من المعجزات التي لم يعطَها نبي ، ولم يسمع بنبي نبع الماء من بين أصابعه إلا نبينا محمد ﷺ .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم والترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والبخاري ومسلم والترمذي من حديث أنس ، والترمذي من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، وانظر « جامع الأصول » ١١/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨ ، الأرقام : (٨٩٣٣) و (٩٩٣٤) و (٨٩٣٥) و (٨٩٣٦) و (٣٩٣٧) .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٣٠١٢) في حديث جابر رضي الله عنه ، وقصة أبي اليسر الطويل ، قال : ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعه باداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطيء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى احداهما أفأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش ، الذي يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادي علي بإذن الله » فانقادت معه . . . » الحديث بطوله .

وهناك روايات أخرى للحديث تدل على إيتان الشجرة إليه ورجوعها إلى مكانها ، كما في رواية أحمد عن طلحة بن نافع ، والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ومن حديث بريدة رضي الله عنه عند البزار ، وهو حديث صحيح بشواهده .

انظر « شرح الزرقاني على المواهب اللدنية » ٥/ ١٢٩ ـ ١٣٢ و« شرح السنة » للبغوي ١٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٧) (٤٥) في الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر روايات الحديث في « الاصابة » ١٣/ ٢٨٩ .

(٥) رواه البخاري ٦/ ٤٢٩ في أحاديث الأنبياء : باب علامات النبوة في الاسلام ، وفي المغازي : باب غزوة الحديبية ، وفي تفسير سورة الفتح ،وفي الأشربة : باب شرب البركة والماء المبارك ، ومسلم رقم (١٨٥٦) في الامارة : باب استحباب مبايعة الامام الجيش عند إرادة القتال .

ثم هو أعظم الناس أُمة ، وختم به النبيون ، وذكر البيهقي في حديث الاسراء عن الربيع بن أنس ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في هذه الآية : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الاسراء : ١] . . . الحديث ، وفيه قال : « ثُمَّ أُتي أَرْواحُ الأَنْبِيَاءِ فَاثْنَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، قالَ : فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي اتَّخَذَنِي خَلِيلاً ، وَأَعْطَانِي مُلْكاً عَظِيماً ، وَجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتاً يُؤْتَمُّ بِي ، وَأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ ، وَجَعَلَها عَلَيَّ بَرْداً وَسَلَاماً . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي كَلَّمَنِي تَكْلِيماً ، وَاصْطَفَانِي بِكَلِمَاتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ نَجِيّاً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ التَّوْراةَ ، وَجَعَلَ هَلَاكَ آلِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ يَدِيَّ ، وَنَجَّى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ يَدَّي . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي خَوَّلَنِي مُلْكاً عَظِيماً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الزَّبُورَ ، وَألانَ لِيَ الحَدِيدَ ، وَسَخَّرَ لِيَ الطَّيْرَ وَالجِبَالَ ، وَآتانِي الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ . ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي سَخَرَ لِي الرِّياحَ وَالجِنَّ وَالإِنْسَ ، وَسَخَّرَ لي الشَّيَاطِينَ ﴿ يَعْمَلُونَ [لَهُ] مَا يَشَاءُ مِنَ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ . . ﴾ إلى آخر الآية [سبأ : ١٣] ، وَعَلَّمَنِيَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَكُلَّ شَيْءٍ ، وأسَالَ لي عَيْنَ القِطْرِ ، وَأَعْطَانِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي . ثُمَّ إِنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَنِي التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ، وَجَعَلَنِي أُبرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ ، وَأُحْيي المَوْتَىٰ بِإذْنِهِ ، وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَأَعاذَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْشَيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ ، ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : كُلُّكُمْ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ ، وَإِنِّي مُثْنٍ عَلَىٰ رَبِّي ، فَقَال : الحَمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلْناسِ ، بَشيراً وَنَذِيراً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ القُرْآنَ فِيهِ تِبْيانُ=

كُلِّ شَيْءٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي وَسَطاً ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي ، وَجَعَلَنِي فَاتِحاً وَخَاتِماً ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِهٰذَا فَضَلَكُم مُحَمَّدٌ »[1] . ؟

وروى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ ، آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ » . . . وذكر الحديث[2] .

* * *

---

(١) ذكره ابن كثير في « التفسير » ١٣٦/٥ ، وزاد نسبته لابن جرير من حديث علي بن سهل ، حدّثنا حجاج ، حدّثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة ، وقال : وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة ، حدّثنا علي بن سهل ، وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد الله رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمّد الشعراني ، عن جده ، عن إبراهيم بن حمزة الزبيري ، عن حاتم بن إسماعيل ، حدّثني عيسى بن ماهان ـ يعني أبا جعفر الرازي ـ عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . . . فذكره ، وقال ابن كثير : وأبو جعفر الرازي قال الحافظ أبو زرعة الرازي : يهم في الحديث كثيراً . والظاهر أنه سيء الحفظ ففيما تفرد به نظر ، وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء ، والله أعلم .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦١٨) في المناقب باب رقم ٣ ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٣ و ١٤٤ وابن ماجه رقم (٤٣٠٨) في الزهد باب ذكر الشفاعة ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٥٧١) .

الباب السّابع

في أن القرآن أفضل الذكر اذا عمل به

قال سفيان الثوري رضي الله عنه : سمعنا أن قراءة القرآن أفضل الذكر إذا عمل به .

قال الترمذي الحكيم محمد بن علي وأجاد : ما غاص قائل هذا القول ، لأن الذكر هوشيء يبتدعه العبد من تلقاء نفسه من علمه بربه ، والقرآن هو شيء قد تكلم به الرب تبارك وتعالى ، فإذا تلاه العبد ، فإنما يتكلم بشيء قد كان عند الرب سبحانه وتعالى ، ولم يخلق منذ نزل إلى العباد ، ولا يخلق ولا يتدنس ، فهو على طراوته وطيبه وطهارته وله كسوة ، والذكر الذي يذكره العبد مبتدعاً من عند نفسه لا كسوة له . وأيضاً هو الذي يؤلفه العبد ، وليس أعلم ـ لأنه مشتمل على جميع الذكر من تهليل ، وتذكير ، وتحميد ، وتسبيح ، وتمجيد ، وعلى الخوف والرجاء ، والدعاء والسؤال ، والأمر بالتفكر في آياته ، والاعتبار بمصنوعاته ، الى غير ذلك مما شرح فيه من واجبات الأحكام ، وفرق فيه بين الحلال والحرام ، ونص فيه من غيب الأخبار ، وكرر فيه من ضرب الأمثال والقصص والمواعظ للأفهام حسب ما قال وقوله الحق : ﴿ مَا فَرَّطْنا في الكِتَاب مِنْ شَيءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] فمن وقف على ذلك وتدبره ، فقد حصَّل أفضل العبادات ، وأسنى الأعمال والقربات ، ولم يبق عليه ما يطالب به بعد ذلك من شيء .

وقد روى الترمذي في «جامعه»[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٧) في فضائل القرآن ، باب رقم ٢٥ ، ورواه الدارمي رقم (٣٣٥٩) في فضائل القرآن : باب فضل كلام الله على سائر الكلام ، ورواه البيهقي في « شعب الايمان » . . . وفيه عطية العوفي وهو ضعيف ، قال الحافظ في « الفتح » : قوله : باب فضل

قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ الرَّبُّ تَبارَكَ وتَعَالَى : مَنْ شَغَلَهُ قِراءَةُ القُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلينَ ، قال : وَفَضْلُ كَلَامِ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ الله عَلَىٰ خَلْقِهِ »[1] قال : هذا حديث حسن غريب ، وهذا نص في الباب لا يحتمل التأويل ، وهو يفسر قوله تعالى في الحديث الآخر : « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرَي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلينَ »[2] . فأخبر ﷺ أنه من قرأ القرآن واشتغل به عن الدعاء أعطاه الله تعالى أفضل سؤال سأله أحد من خلقه . وروي « مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ القُرْآنِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوابِ الشَّاكِرِينَ » خرجه ابن شاهين وأبو حفص

القرآن على سائر الكلام : هذه الترجمة لفظ حديث أخرج الترمذي معناه من حديث أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الرب عز وجل : من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه » ورجاله ثقات إلا عطية العوفي ، ففيه ضعف ، وأخرجه ابن عدي من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة مرفوعاً : « فضل القرآن على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه » . وفي اسناده عمر بن سعيد الأشج وهو ضعيف ، وأخرجه ابن الضريس أيضاً من وجه آخر عن شهر بن حوشب مرسلاً ورجاله لابأس بهم ، وأخرجه يحيى بن عبد الحميد الحماني في مسنده من حديث عمر بن الخطاب . وفي اسناده صفوان بن أبي الصهباء مختلف فيه ، وأخرجه ابن الضريس أيضاً من طريق الجراح بن الضحاك عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رفعه : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ثم قال : « وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وذلك أنه منه .

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للبخاري في « خلق أفعال العباد » عن عمر ، والبيهقي عن جابر . ورواه أيضاً بمعناه الدارمي رقم (٣٣٥٩) في فضائل القرآن : فضل كلام الله على سائر الكلام ، وأبو نعيم في « الحلية » ١٠٦/٥ من حديث أبي سعيد الخدري ..

(٢) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » وزاد نسبته لابن الأنباري في « الوقف » وأبو نعيم في « المعرفة » وأبو عمرو الداني في « طبقات القراء » من حديث أبي سعيد .

عمر بن أحمد [١] .

وذكر الوائلي من حديث بقية بن الوليد : عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا تَكَلَّمَ العِبَادُ بِكَلَام أَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ كَلَامِهِ ، وَمَا تُقُرِّبَ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بشيء أحب إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ » قال الوائلي : هذا حديث فيه إرسال [٢] ، وعطية من التابعين تابعي ، ولكن الرواة مشاهير ، وبقية إذا روى عن مشاهير كان حجة [٣] .

وعن فروة بن نوفل قال : سمعت خباب بن الأرت وأقبلت معه من المسجد إلى منزله ، فقال لي : إن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّكَ لَا تَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ .

قال المؤلف رضي الله عنه : رواه الترمذي مرفوعاً بمعناه من حديث ، أبي أمامة وقد تقدم في الباب الرابع [١] .

وروي عن أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه أنه قال : رأيت رب العزة في المنام ، فقلت : يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ فقال : كلامي يا أحمد ، فقلت : يا رب بفهم أو بغير فهم ؟ فقال : بفهم وبغير فهم . نقل هذه الرؤ يا عنه كبار العلماء .

---

(١) اسناده منقطع : عطية بن قيس تابعي لم يدرك النبي ﷺ ، وبقية ابن الوليد صدوق كثير التسوية والتدليس عن الضعفاء ، وقد رواه هنا بالعنعنة ، ولكن للحديث شواهد ينهض بها .

(٢) بقية حجة اذا صرح بالتحديث سواء روى عن المشاهير أو غيرهم ، أما إذا روى بالعنعنة كما هنا فلا .

(٣) وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» ١ / ٣٧٠ وذكر ابو حاتم الرازي : أن بقية بن الوليد كان يروي عن شيوخ ما لم يسمعه فيظن أصحابه أنه سمعه . فيروون عنه تلك الأحاديث ويصرحون بسماعه لها من شيوخه ولا يضبطون ذلك » .

(٤) انظر التعليق ص : (٣٩) .

وقد روى الثقفي[1] أبو عبد الله القاسم بن الفضل[2] من حديث ابن عمر قال : « سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل عند الله ، قال : « قِرَاءَةُ القُرْآنِ فِي الصَّلاةِ ، ثُمَّ قِرَاءَةُ القُرآنِ فِي غَيرِ الصَّلاةِ . . . » الحديث ، وسيأتي مسنداً إن شاء الله .

وروى ابن وهب عن قرة بن عبد الرحمن ، والنهد بن منصور ، أن عبد الله بن شراحيل حدّثهما ، أنه سمع عقبة بن عامر يقول : أيما راكب قرأ كان ردفه ملك ، وأيما راكب تغنى كان ردفه شيطان .

وروى الطبري[3] في كتاب « آداب النفوس » قال : حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال ثنا سلمة[4] ، عن هلال بن يساف ، عن سمرة بن جندب ، أن نبي الله ﷺ قال : « خَيْرُ الكَلَامِ أَوْ خَيْرُ العَمَلِ أَرْبَعٌ إلاَّ القُرآن ، وَهُنَّ مِنَ القُرآنِ : لا إلَه إلاَّ الله ، والحَمْدُ لله ، وسُبْحانَ الله ، والله أَكْبَرُ »[5] وقال منصور[6] عن هلال بن يساف عن الربيع بن عميلة عن سمرة عن النبي ﷺ بمثله ، غير أنه قال : « لَا يَضُرُّكَ

---

(١) في الأجزاء المشهورة بالثقفيات .

(٢) هو القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفي الأصبهاني أبو عبد الله محدث فاضل مسند من أهل أصبهان (٣٩٧ ـ ٤٨٩ هـ) .

(٣) هو محمد بن جرير أبو جعفر الطبري امام المفسرين والمؤرخين المحدث المقريء الفقيه جامع العلوم ، صاحب التصانيف العظيمة . ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ له « جامع البيان في تأويل أي القرآن » وهو أجل كتب التفسير على الإطلاق ، و« أخبار الأمم والملوك » ويعرف بتاريخ الطبري ، و« تهذيب الآثار » و« اختلاف الفقهاء » وغيرها كثير .

(٤) هو سلمة بن كهيل .

(٥) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ٤٧٦/٣ ونسبه لابن النجار ، و« تاريخ بغداد » والديلمي في « مسند الفردوس » من حديث أبي هريرة . قال المناوي في « فيض القدير » ٤٧٦/٣ : قال الديلمي : وفي الباب عن أبي ذر وسمرة بن جندب وهو بمعنى الذي بعده .

قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٧٩) : صحيح .

(٦) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي .

بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ »[1] .

قال الطبري : وحدثني أبو عبد الرحيم البرقي قا ل : حدّثني عمر ـ يعني ابن أبي سلمة ـ قال : سألت الأوزاعي عن قراءة القرآن ، أعجب إليك أم الذكر ؟ فقال : سل أبا محمد ـ يعني سعيداً[2] ـ فسألته ؟ فقال : بل القرآن ، فقال الأوزاعي : إنه ليس شيء يعدل القرآن ، ولكن إنما كان هدي من سلف يذكرون الله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

قال المؤلف رضي الله عنه : قول سعيد بن المسيب حسن جداً ، وقد أقر الأوزاعي بذلك، وإن كان ذكر أن هدي السلف الذكر قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، فلعل « يذكرون » بمعنى يقرؤ ون ، بدليل ما ذكرنا ، وقد سمي الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز ذكراً ، فقال : ﴿ وَهَذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء : ٥٠] وقال جل وعز : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] .

وذكر الطبري قال : حدّثني العباس بن الوليد العذري ، قال : أخبرني أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : حدّثني حسن بن الحسن ، قال : حدّثني عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أتينا أم الدرداء نتحدث إليها ،

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » بالسند نفسه رقم (٢١٣٧) في الآداب : باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة ، بلفظ « أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت » ورواه ابن ماجه رقم (٣٨١٣) من طريق سلمة بن كهيل عن هلال بن يساف عن سمرة بن جندب بلفظ : « أربع أفضل الكلام لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد سيد التابعين ، وأحد الفقهاء المشهورين بالمدينة (١٣ ـ ٩٤ هـ) جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع .

قال : ثم قلت : يا أُم الدرداء ! لعلنا أمللناك ؟ قالت : أمللتموني والله ، لقد التمست العبادة في كل شيء ، فما وجدت شيئاً أشفى لنفسي من مجلس ذكر . قال : ثم اختبأت ، ثم قالت لرجل : اقرأ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص : ٥١] فدل هذا الخبر على أن الذكر هو القرآن كما ذكرنا ، وقد رواه الأوزاعي .

قال الطبري : وحدثنا موسى بن عبد الرحمن الكندي ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن هارون بن أبي وكيع[1] عن أبيه ، عن ابن عباس أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : ذِكْرُ الله أَكْبَرُ ، مَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله تَعَالَىٰ يَدْرُسُونَ كِتَابَ الله وَيَتَعَاطُونَهُ بَيْنَهُمْ إلَّا كَانُوا أَضْيافَ الله تَعَالَىٰ ، وَأَظَلَّتْ عَلَيْهُمُ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِها مَا دَامُوا فِيهِ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِه[2] .

قال المؤلف رضي الله عنه : فهذا ابن عباس قد فسر الذكر بقراءة القرآن كما بينا ، وقد رواه مسلم في « صحيحه » بمعناه مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ[3] كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّر الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقاً إلىٰ الجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهُمُ ،

---

(١) هو هارون بن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني أبو عبد الرحمن بن أبي وكيع الكوفي .

(٢) وإسناده حسن .

(٣) في نسخ مسلم المطبوعة : عن مؤمن .

السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »[1] .

قال الطبري : وحدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : حدّثنا أبو تميمة أنه سمع كعباً يقول : ثلاث من عمل بواحدة منهن دخل الجنة ، رجل شهد بأساً من بأس المسلمين فصبر حتى قتل أو فتح الله على المسلمين ، ورجل قعد في حلقة فقرأ عليهم القرآن فحمدوا ربهم عز وجل،ثم دعوا ربهم عز وجل على أثر ذلك،فيقول الله للملائكة:على ما اجتمع هؤلاء وهو أعلم ؟ ولكن يريد أن يكونوا شهداء ، فيقولون : أي رب ! أنت أعلم ، فيقول : إني أعلم ولكن أنبئوني بعلمكم ؟ فيقولون : يسألونك أن تدخلهم الجنة وتزحزحهم عن النار ، فيقول : أشهدكم أني قد أوجبت لهم الجنة ، وزحزتهم عن النار . ورجل قام من دفئه ومن فراشه ، ولعله أن يكون قد قام من عند امرأته في ليلة قرَّة[2] فإن كان جنباً اغتسل ، وإن لم يكن جنباً توضأ وأحسن وضوءه ، فقام ، فقرأ ودعا ربه عز وجل ، فيقول الله للملائكة : ما أقام عبدي من دفئه وفراشه ؟ فيقولون : يا رب خوَّفته عذابك ورغَّبته في رحمتك، وهو يستجير من عذابك ، ويرجو رحمتك ، فيقول أشهدكم أني قد أجرته مما يخاف ، وأوجبت له ما يرجو[3] .

قال المؤلف رضي الله عنه : ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي ، فهو

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (١٤٢٥) في الحدود : باب ما جاء في الستر على المسلم ، ورقم (١٩٣١) في البر والصلة باب ما جاء في الستر على المسلم ، ورقم (٢٩٤٦) في القراءات : باب رقم ١٣ .

(٢) أي باردة .

(٣) وإسناده إلى كعب الأحبار صحيح .

مرفوع[1] وقد ثبت معناه في غير ما حديث مرفوعاً والحمد لله . وقال سهل بن عبد الله التستري في قوله تعالى : ﴿ ولكِنَّ الله يَمنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم : ١١] قال : بتلاوة القرآن .

قال المؤلف رضي الله عنه : ما أحسن ما قال ، فإن القرآن حوى جميع العلوم كما ذكرنا ويأتي ، فمن قرأه قراءة تدبر وتفهم ، وعمل بمقتضاه فقد حصل الغاية القصوى التي ليس لأحد وراءها مرمى ، وقال تعالى : ﴿ الَّذينَ آتَيْنَاهُم الكِتَابَ يَتْلونه حقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١] قال أهل التأويل : يتَّبعونه حق اتباعه ، باتباع الأمر والنهي ، فيحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بما تضمنه ، قاله عكرمة وغيره .

قال عكرمة : أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ والقَمَرِ إذَا تَلاَهَا ﴾ [الشمس : ٢] أي : تبعها ، فهو معنى قول ابن عباس ، وابن مسعود رضي الله عنهما .

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : من يتبع القرآن يهبط به الى رياض الجنة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها ، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها .

وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ : كَانَ إذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ ، وَإِذا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ تَعوَّذَ ، من حديث حذيفة وغيره[2] وسيأتي . وقال

---

(١) هذا مقيد بما إذا ورد عمن لم يأخذ من أهل الكتاب ، أما من أخذ عنهم مثل كعب الأحبار ، فليس لموقوفه حكم الرفع ، لاحتمال أن يكون من الاسرائيليات ، وقد ورد نحوه مرفوعاً ، كما ذكر المؤلف .

(٢) رواه مسلم والنسائي وغيرهما من حديث حذيفة رضي الله عنه ، ويأتي ص (١٥٤) .

الحسن ، هم الذين يعملون بمحكمه ، ويؤمنون بما تشابه منه ، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه .

وخرج أبو داود عن معاذ الجهني ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ وَالِداهُ تاجاً يَوْمَ القِيامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنَ مِن ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بالذَّي عَمِلَ هَذا »[1] .

وخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ الله [بِهِ] الجَنَّةَ ، وشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتُوجِبُوا النَّارَ »[2] .

قال المؤلف رضي الله تعالى عنه : هذا الحديث وإن كان في إسناده مقال على ما يأتي ، فإن العلماء مجمعون على القول به ، فإن المطلوب العمل بما يقرأ ويتلى .

وقد روى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلًا فَاسِقاً يَقْرَأُ القُرْآنَ لاَ يَرْعَوِي إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ »[3] فبين ﷺ أن المقصود العمل كما بينا .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٤٥٣) في الصلاة : باب في ثواب قراءة القرآن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/٤٤٠ والحاكم وصححه ١/٥٦٧ وتعقبه الذهبي بأن فيه زبان بن فائد ليس بالقوي . فالحديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٧٤) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٧) في فضائل القرآن : باب رقم ١٣ ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١/١٤٨ و١٤٩ . وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وحفص بن سليمان الراوي لهذا الحديث ليس بالقوي يضعف في الحديث . فالحديث ضعيف جداً كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٧٣) .

(٣) رواه النسائي ٦/١٢ في الجهاد : باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/٤٢ و٥٨ وفيه أبو الخطاب المصري وهو مجهول ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٢/٦٧ ووافقه الذهبي ، وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢١٥٨) : ضعيف .

وقال مالك رحمه الله تعالى : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه .

وقال عبد الله بن مسعود : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ، ولكن إقامة حدوده .

وروى شريك عن أبي إسحاق ، عن شداد بن أوس : قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاَثٌ غُرباء : قُرآنٌ فِي قَلْبِ رجُلٍ فَاجِرٍ ، وَمُصْحَفٌ فِي بَيْتٍ لَا يُقْرَأُ فِيهِ ، وَصَالِحٌ مَعَ الظَّالِمِينَ » [1] .

وروى شقيق بن سلمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا بَالُ أَقْوَامٌ يُشَرِّفُونَ المُتْرَفِين ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِالعَابِدِينَ ، وَيَعْمَلُونَ بالقُرْآنِ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ تركُوهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ ، وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، يَسْعَوْنَ فِيمَا يُدْرَكُ بِغَيْرِ السَّعِي مِنَ القَدَرِ المَقْدُورِ ، وَالأَجَلُ المَكْتُوب ، وَالرِزْق المَقْسُوم ، وَلَا يَسْعَوْنَ فِيمَا لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالسَّعِي مِنَ الخَيْر المَوْفُورِ ، وَالسَّعْي المَشْكُور ، وَالتِّجَارَةُ الَّتِي لَا تَبُورُ » خرجه أبو نعيم الحافظ[2] .

---

(١) في « الحلية » ٤/١٠٩ و١١٠ و٥/٩٨ و٧/٢٠٥ من حديث عمر بن يزيد الرفاء البصري عن شعبة عن عمرو بن مرة عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود ، وقال أبو نعيم : غريب من حديث شعبة لا يعرف عنه راو إلا عمر بن يزيد ، نقول : وعمر بن أبو حفص البصري عن شعبة . قال الذهبي في « الميزان » : قال أبو حاتم : يكذب ، وقال ابن عدي : أحاديثه شبه الموضوع .

(٢) ذكر السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « الغرباء في الدنيا أربعة . . . » الحديث ونسبه للديلمي في « مسند الفردوس » وابن لال من حديث أبي هريرة وزاد فيه : « ومسجد في نادي قوم لا يصلي فيه » قال المناوي : وفيه عبد الله بن هارون الصوري . قال الذهبي في « الذيل » : لا يعرف .

وروي عن النبي ﷺ: «مَنْ أَطَاعَ الله فقد ذَكَرَ الله وَإِنْ أَقَلَّ صَلاَتَهُ وَصَنِيعَهُ لِلخَيْرِ ، وَمَنْ عَصَىٰ الله فَقَدْ نَسِيَ ذِكْرَ اللهِ وَإِن أَكْثَرَ صَلاَتَهُ وَصَوْمَهُ وَصَنِيعَهُ لِلْخَيْرِ » ذكره أبو عبد الله محمد بن خويز منداد[1] في « أحكام القرآن » له . وذكره أيضاً أبو بكر محمد بن عبد الله العامري الواعظ في « شرح الشهاب » له ، ولفظه عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ أَطَاعَ الله فَقَدْ ذَكَرَهُ وَإِنْ كَانَ سَاكِتاً ، وَمَنْ عَصَىٰ الله فَقَدْ نَسِيَهُ وَإِنْ كَانَ قَارِئاً مُسَبِّحاً »[2] .

قال المؤلف رضي الله تعالى عنه : هذا والله أعلم لأنه كالمستهزىء والمتهاون ، وممن اتخذ آيات الله هزواً . وقال العلماء في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً ﴾ [البقرة : ٢٣١] لا تتركوا أوامر الله فتكونوا مقصرين لاعبين ، قالوا : ويدخل في هذه الآية الاستغفار من الذنب قولاً مع الإصرار فعلاً ، وكذا كل ما كان في هذا المعنى ، والله أعلم .

* * *

---

(١) فقيه أصولي مالكي عراقي، من آثاره «أحكام القرآن» وهو كتاب كبير في الخلاف، وله كتاب في أصول الفقه ، توفي رحمه الله سنة ٣٩٠ هـ تقريباً .

(٢) لقد أورده السيوطي في « الجامع الكبير » بلفظ : « من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن » ، ونسبه للحسن بن سفيان والطبراني ، وابن عساكر عن واقد مولى رسول الله ﷺ كما نسبه لسعيد بن منصور والبيهقي في « شعب الايمان » عن ابن أبي عمران مرسلاً ، قال الهيثمي : وفيه الهيثم بن جماز ، وهو متروك .

ونسبه الألباني للطبراني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٤٤٦) وقال : حديث ضعيف .

البابُ الثّامن

في قوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ [فاطر : ٣٢]

أورثنا : أعطينا ، والميراث : عطاء حقيقة أو مجازاً ، فإنه يقال فيما صار للإنسان بعد موت آخر ، والكتاب هنا يراد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده على ما ذكرناه في الباب قبل.

واختلف أهل التأويل في الظالم لنفسه ، والمقتصد، والسابق ، على أقوال ثلاثة :

الأول : أن الناجي هو المقتصد والسابق ، وأن قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها ﴾ [فاطر : ٣٣] للمقتصد ، والسابق ، هذا يروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة . وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] قال : كافر[١] وروى الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٢٣] إلى آخر الآية قال : هذا مثل قوله عز وجل : ﴿ فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ * وَأَصحَابُ

(١) والقول الأول هو الصواب : قال ابن كثير في « التفسير » : والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً .

السابقون من الناس كلهم . قال عكرمة : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ كما قال : ﴿ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] وقال الحسن وقتادة : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ قال : المنافق .

والقول الثاني ما قاله سهل بن عبد الله : إن السابق : العالم ، والمقتصد: المتعلم ، والظالم : الجاهل . وقال ذو النون المصري : الظالم : الذاكر الله بلسانه فقط ، والمقتصد : الذاكر بقلبه ، والسابق : الذي لا ينساه . وقيل : الظالم : التالي للقرآن ولا يعمل به . والمقتصد : التالي للقرآن ويعمل به ، والسابق : القارىء للقرآن العامل به والعالم به . وقيل : السابق : الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن ، والمقتصد : الذي يدخل وقد أذن ، والظالم : الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة ، لأنه ظالم لنفسه الأجر ، فلم يحصل لها ما حصل غيره . وقال بعض أهل العلم في هذا : السابق : الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين ، والمقتصد : الذي إن فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت ، والظالم : الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة ، وقيل غير هذا من الأقوال .

قال المؤلف رضي الله عنه : وبالجملة : فهما طرفان ، وواسطة فالمقتصد : اللازم للقصد ، وهو ترك الميل ، فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين ، فهو فوق الظالم لنفسه ، ودون السابق للخيرات . قال الله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ فجمعهم في الدخول لأنه ميراث ، والعاق والبار في الميراث سواء إذا كانا معروفي النسب ، فالعاصي والمطيع مُقِرَّان بالرب ، وعلى هذا : الفرق الثلاث ناجية إن شاء الله تعالى ، وهو قول عمر ، وعثمان ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة رضي الله عنهم ، ومن التابعين : إبراهيم النخعي ، وكعب الأحبار وغيرهما .

قال عثمان : هم أهل ديننا ، يعني الظالم لنفسه .

وقال عمر : سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له[1] .

وقال أبو الدرداء : السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يحاسب حساباً يسيراً ، والظالم لنفسه يؤخذ منه ثم ينجو[2] . فذلك قوله تعالى : ﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَن ﴾ [فاطر : ٣٤] وقال كعب : هذه الأمة على ثلاث فرق ، كلها في الجنة ، ثم تلا ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] إلى قوله : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر : ٣٣] فقال : دخلوها ورب الكعبة . وبعد هذا للكفار ، وهو قوله تعالى : « والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ [فاطر : ٣٦] .

وخرج أبو داود الطيالسي في « مسنده » قال : حدثنا الصلت بن دينار أبو شعيب، قال: حدثنا عقبة بن صبهان الهنائي، قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . . . ﴾ الآية ، فقالت لي : يا بني كل هؤلاء في الجنة ، أما السابق بالخيرات : فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ ، شهد له رسول الله ﷺ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٣٩ : رواه سعيد بن منصور عن فرج ابن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عمن سمع عمر . . . فذكره موقوفاً ، نقول : وذكره السيوطي في « الدر المنثور » من رواية سعيد بن منصور ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والبيهقي في « البعث » عن عمر رضي الله عنه موقوفاً ، ولم يثبت في المرفوع وإن رواه بعضهم .

(٢) كذا ذكره المصنف هنا موقوفاً على ابي الدرداء ، وقد جاء عن أبي الدرداء مرفوعاً من طرق يشد بعضها بعضاً كما قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » ، رواه أحمد في « المسند » عن أبي الدرداء مرفوعاً ، والحاكم في « المستدرك » ٤٢٦/٢ وابن أبي حاتم في التفسير ، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد ، ومن حديث أسامة بن زيد عند الطبراني .

بالحياة والرزق ، وأما المقتصد : فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه : فمثلي ومثلك . قال : فجعلت نفسها معنا[1] .

وقال أبو إسحاق السبيعي : أما الذي سمعناه من ستين سنة ، فكلهم ناج .

وروى أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال : « كُلُّهُمْ فِي الجَنَّةِ »[2] .

وقد روي مرفوعاً عن عمر[3] وأبي الدرداء[4] بمثل ما ذكرناه عنهما .

والتقدير على القول : أن يكون الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر ، والمقتصد : قال محمد بن يزيد : هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها ، فيكون ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ عائداً على الجميع على هذا الشرح والتبيين ، ويكون مفعول الاصطفاء مضافاً حذف كما حذف المضاف في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ أي : الذين اصطفينا دينهم ، فبقي اصطفيناهم ، فحذف العائد إلى الموصول ، كما حذف في قوله : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُم ﴾ [هود ٣١] أي : تزدريهم ، فالاصطفاء إذاً موجه إلى دينهم ، كما

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ٢٢/٢ « منحة المعبود » في التفسير : باب في سورة فاطر ، ورواه أيضاً الحاكم في « المستدرك » ٤٢٦/٢ وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : الصلت بن دينار ، قال النسائي : ليس بثقة ، وقال أحمد : ليس بالقوي ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وزاد نسبته للطبراني وقال : فيه الصلت بن دينار ، وهو متروك .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ونسبه للطبراني وقال : وفيه محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وهو سيىء الحفظ .

(٣) لم يثبت مرفوعاً عن عمر رضي الله عنه .

(٤) وقد تقدم تخريجه قريباً .

قال : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

قال أبو جعفر النحاس : وقول ثالث : يكون الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته ، فيكون ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ ، للذين سبقوا بالخيرات لا غير . وهذا قول جماعة من أهل النظر ، لأن الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى .

قال المؤلف رضي الله عنه : القول الوسط : أعلاها وأصحها إن شاء الله تعالى ، لأن الكافر والمنافق لم يصطفوا ولا اصطفى دينهم . وقال ﷺ : « مَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ ، مَثَلُ الرِّيحَانَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ »[1] على ما يأتي . فأخبر أن المنافق يقرؤه ، وأخبر الحق سبحانه وتعالى بأن المنافق في الدرك الأسفل من النار ، وكثير من اليهود والنصارى يقرؤ ونه .

وفي حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ : « وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَيُحْبَسُ فِي المَوْقِفِ ، وَيُوَبَّخْ وَيُقْرَعْ ثُمَّ يُدْخَلُ الجَنَّةَ ، فَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا : ﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ﴾ . وفي لفظ آخر : « وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأُوْلَئِكَ يُحْبَسُونَ فِي طُولِ المَحْشَرِ ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ يَتَلافَاهُمْ[2] اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، فَهُمُ

---

(١) رواه البخاري ٩/٥٥ في فضائل القرآن : باب فضل القرآن على سائر كلام الله ، ومسلم رقم (٧٩٧) في الصلاة المسافرين : باب فضيلة حافظ القرآن، والترمذي رقم (٢٨٦٩) في الأمثال : باب ما جاء في مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء ، وأبو داود رقم (٤٨٣٠) في الأدب : باب من يؤمن أن يجالس ، والنسائي ٨/١٢٤ و١٢٥ في الإيمان : باب مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق ، وابن ماجه رقم (٢١٤) في المقدمة : باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ، من حديث أبي موسى الأشعري وقد ذكره المصنف في أول الباب العاشر وسيأتي بتمامه ، فليراجع هناك ص : (٧٨) .

(٢) قوله « يتلافاهم » كذا في الأصل و« المسند » والذي في « الدر المنثور » للسيوطي ٥/٢٥١ و« مجمع الزوائد » ٧/٩٥ : يتلقاهم .

الَّذِينَ يَقُولُونَ : ﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ﴾ [فاطر : ٣٤] إلى قوله : ﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيها لُغُوبٌ ﴾ [فاطر : ٣٥][١] .

قال المؤلف رضي الله عنه : ومن دخل النار من القراء الموحدين ، فإنه يخرج منها بالشفاعة ، ويدخل الجنة على ما قررناه في كتاب « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة »[٢] .

وقد روى أبو محمد عبد الغني الحافظ من حديث مقاتل بن حيان قال : حدثني شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ـ أَوْ جَمَعَ القُرْآنَ ـ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، إِنْ شَآءَ عَجَّلَهَا لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَآءَ ادَّخَرَهَا لَهُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ »[٣] . وهذا عام في كل مسلم قرأ القرآن ، إذ الكافر والمنافق ليست لهما عند الله دعوة مستجابة تدخر ، والله أعلم .

وروى ابن لهيعة ، حدثنا مشرح بن هاعان ، قال : سمعت عقبة بن

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥ / ١٩٨ وقال الهيثمي في « المجمع » ٩٥/٧ : رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح وهي هذه ، إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي .

(٢) التذكرة للقرطبي . ص ٤٢٧ .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ٥٠٦/٢ ونسبه لابن مردويه في « التفسير » من حديث جابر ورمز له بالضعف . وذكره الهيثمي في « المجمع » ١٦٣/٧ ونسبه للطبراني وقال : وفيه مقاتل بن دواك دوز ، فإن كان مقاتل بن حيان كما قيل ، فهو من رجال الصحيح ، وإن كان ابن سليمان فهو ضعيف وبقية رجاله ثقات .

وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٩١٨) : ضعيف .

نقول : وفي الباب عن أبي أمامة مرفوعاً عند البيهقي في « شعب الايمان » بلفظ : « إن لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فتستجاب له » .

عامر يقول : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ كَانَ القُرْآنُ فِي إهَابٍ لَمْ تَأْكُلْهُ النَّارُ »[1]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وجه هذا عندنا أن يكون أراد بالإهاب : قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن .

قال أبو جعفر الطحاوي : تكلم أهل العلم في هذا الحديث ، فقالت طائفة : معناه : أن من كان معه القرآن وقاه الله من النار كما وقى إبراهيم الخليل عليه السلام من النار ، فالمعنى المراد بذكر الإهاب : الانسان . وقالت طائفة أخرى : الإهاب المذكور في هذا الخبر : هو الذي يكتب فيه القرآن ، أي إهاب كان ، فإذا ألقي في النار وفيه القرآن ، وقى الله تعالى القرآن ونزهه عن النار ، فيرفعه من الإهاب ، فتحرق النار الإهاب وهو خال من القرآن لا قرآن فيه ، والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ . ولم يذكر أبو جعفر اختياراً في ذلك ، واختاره غيره : أن معنى الحديث راجع إلى معنى قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها ﴾ ، وأن أحداً منهم لا تمسه النار يوم القيامة ، والإهاب : الانسان ، وأن الثلاثة الأصناف من حملة القرآن لا تحرقهم النار إن شاء الله تعالى .

قال المؤلف رضي الله تعالى عنه : الأحاديث الثابتة ترد هذا القول على ما دلت عليه من إدخال من قرأ القرآن النار من الموحدين الذين قرؤوه وحفظوه ولم يعملوا به ، ثم يخرجون بالشفاعة .

* * *

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/١٥١ و١٥٥ ، والدارمي رقم (٣٣١٣) في فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن . وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف . وذكره الهيثمي في « المجمع » ١٥٨/٧ من حديث عقبة بن عامر وعصمة بن مالك معاً وزاد نسبته للطبراني وقال : فيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك ، ورواه ابن عدي والبيهقي في « الشعب » من حديث عصمة وذكر الحديث الذهبي في « الميزان » وعدّه من بلايا عبد الوهاب بن الضحاك . وابن عدي عن سهل بن سعد ، ورواه البغوي في « شرح السنة » .

الباب التّاسع

في فضل من أعطي القرآن وعمل به

روى الدارمي أبو محمد في « مسنده » عن وهب الذماري أنه قال : « مَنْ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهارِ وَعمِلَ بِمَا فِيهِ وَمَاتَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ السَّفَرَةِ وَالأَحْكَامِ »[1] قال سعد : السفرة : الملائكة ، والأحكام : الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وروى ابن لهيعة عن أيوب عن أبي العالية قال : حدثنا عيلان بن المغيرة وعمر بن مضر قالا : ثنا عبد الله بن صالح قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن جرير بن حازم ، عن حميد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ جمَعَ القُرْآنَ مَتَّعَهُ اللَّهُ لِعَقْلِهِ حَتَّىٰ يَمُوتَ »[2] .

وأسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في كتاب « الرد » له ، عن أبي أمامة الحمصي قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أُعْطِيَ ثُلُثَ القُرْآنَ فَقَدْ أُعْطِيَ ثُلُثَ النُّبُوَةِ ، وَمَنْ أعْطِيَ ثُلْثَي القُرْآنَ فَقَدْ أُعْطِيَ ثُلُثَيْ النُّبَوةِ ، وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ فَقَدْ أُعْطِيَ النُّبُوَةَ كُلَّهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ ، وَيُقَالُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ : اقْرَأْ وَارْقَ ، فَيَقْرَأ آيَةً وَيَصْعُدُ دَرَجَةً حَتَّىٰ يُنْجِزَ مَا مَعَهُ مِنَ

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٣٧٢) في فضائل القرآن : باب فضل من يقرأ القرآن ويشتد عليه ، وإسناده حسن .

(٢) وإسناده ضعيف ، وقد ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ٦/١١٤ ونسبه لابن عدي . قال المناوي في « فيض القدير » : قال ابن الجوزي في « العلل » قال ابن عدي : لا يرويه عن جرير غير رشدين ، ورشدين قال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك .

قال الألباني في « الأحاديث الضعيفة » رقم (٢٧١) : موضوع .

الْقُرْآنِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اقْبِضْ ، فَيَقْبِضُ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : أَتَدْرِي مَا مَعَكَ فِي يَدَيْكَ ؟ فَإذا فِي يَدِهِ الْيُمْنَىٰ الخُلْدُ ، وفِي يَدِهِ الْيُسْرَى النَّعِيمُ »[1] .

قال أبو بكر : حدثنا إدريس بن خلف ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عياش ، عن تمام ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَخَذَ ثُلُثَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ فَقَدْ أَخذَ ثُلُثَ النُّبُوَةِ ، وَمَنْ أَخَذَ نُصْفَ القُرآنِ وَعَمِلَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ نُصْفَ النُّبُوَةِ ، وَمَنْ أَخَذَ القُرْآنَ كُلَّهُ فَقَدْ أَخذَ النُّبُوَةَ كُلَّهَا »[2] .

قال : وثنا محمد بن يحيى المروزي ، قال : حدثنا محمد ـ وهو ابن سعد ـ أنه قال : حدثنا الحسين ، عن حفص ، عن كثير بن زاذان ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَتَلاهُ وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عشرةٍ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ كُلٌّ قَدْ وَجَبَتْ لَه النَّارُ »[3] .

قال المؤلف رضي الله عنه : خرجه أبو عيسى الترمذي قال : ثنا علي بن حجر ، قال : حدثنا حفص بن سليمان ، عن كثير بن زاذان ، عن عاصم ، عن علي رضي الله عنه ، وقد تقدم متنه ، وفيه « فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ » . قال أبو عيسى : وليس إسناده بصحيح ، وحفص بن سليمان أبو عمر بزاز كوفي ضعيف يضعف في الحديث .

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » وزاد نسبته للبيهقي وابن عساكر . وقال السيوطي : وأورده ابن الجوزي في « الموضوعات » فلم يصب . نقول : ورواه الخطيب في « تاريخه » ١٢/٤٤٦ من حديث ابن عمر ، وفيه قاسم بن إبراهيم الملطي ، وهو ضعيف .

(٢) وهو مرسل ، وتمام بن نجيح الأسدي ضعيف .

(٣) تقدم تخريجه ص (٦٣) وأنه ضعيف جداً .

وخرج أبو نصر الوائلي في كتاب « الإبانة » له : أخبرنا أحمد بن محمد ابن الحاج، قال : ثنا محمد بن أحمد ـ هو الماعوني ـ قال: ثنا محمد بن علي ابن الحسين القاضي ، قال : ثنا عقبة بن مكرم ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عبيد الله بن أبي حميد الهذلي ، قال : ثنا أبو مليح الهذلي ، قال : ثنا معقل بن يسار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اعْمَلُوا بالقُرْآنِ ، أَحِلُّوا حَلاَلَهُ ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَاقْتَدُوا بِهِ ، وَلاَ تَكْفُرُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ ، فَمَا تَشَابَهَ عَلَيْكُمْ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ أُولِي العِلْمِ مِنْ بَعْدِي كَيْما يُخْبِرُونَكُم ، وَآمِنُوا بالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، وَالزَّبُورِ ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ ، وَلِيَسَعْكُمُ القُرْآنَ وَمَا فِيهِ مِنَ البَيَانِ ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ : وشاهد مُصَدَّقٌ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ ، أَلاَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ سُورَةَ البَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ ، وَأُعْطِيتُ طَه والطَّوَاسِينَ مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَأُعْطِيتَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ وَخَوَاتِيمَ البَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ ، وَأُعْطِيتُ المُفَصَّلَ نَافِلَةً » . قال الوائلي : وهذا غريب[1] .

فصــل

قال علماؤنا : من أعطاه الله القرآن وأنعم به عليه ويسره له ليتعلمه ويقرأه فقد أشركه مع نبيه عليه السلام في علمه في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ [النساء : ١١٣] وإن كان

---

(١) ورواه الحاكم مختصراً ١/٥٥٩ و٥٦١ وصححه ، وتعقبه الذهبي وقال : عبيد الله بن أبي حميد ، قال أحمد : تركوا حديثه . ورواه أيضاً ابن مردويه في « تفسيره » وأبو ذر الهروي في « فضائله » والبيهقي في « شعب الايمان » . نقول : وعبيد الله بن أبي حميد قال البخاري : منكر الحديث يروي عن أبي المليح « عجائب » ، وقال النسائي : متروك .

لم يشركه معه في جهة الإيتاء والتعليم ، فإن لم يعظم المنعم عليه هذه النعمة ، فهو من أجهل الجاهلين .

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ رُبْعَ القُرْآنِ فَقَدْ أُوتِيَ رُبْعَ النُّبُوَةِ ، وَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ ، فَقَدْ أُوتِيَ ثُلُثَ النُّبُوَةِ ، وَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَيْ القُرْآنَ ، فَقَدْ أُوتِي ثُلُثَيْ النُّبُوَةِ ، وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ ، فَقَدْ أُوتِيَ جَمِيعَ النُّبُوَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَىٰ إلَيْهِ »[1] .

ويحتمل أن يكون معنى أوتي جميع النبوة ، أي : جمع في صدره جميع ما أنزل الله على نبيه ، ولكنه لا يوحي إليه .

[قال المؤلف رحمه الله] : ويختلف القول فيه بين العامل به وبين من لا يعمل به ، كما دل عليه حديث هذا الباب ، والباب بعد هذا ، مع قوله ﷺ : « تَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَإذا عَلِمْتُوهُ ، فَلَا تَأْكُلُوا بِه ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَغْلوا فِيهِ »[2] . وهذا قريب من معنى قوله ﷺ : « فَأَحَلُّوا حَلالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ » .

وروى سفيان الثوري ، عن واصل ، عن إبراهيم قال : قالت امرأة لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، ولثدي أرضعك . قال : لمن قرأ القرآن ثم اتبع ما فيه .

وروي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ

---

(١) وهو حديث ضعيف وقد تقدم ص (٧٣ ـ ٧٤) .

(٢) رواه أحمد في « مسند » ٤٢٨/٣ و٤٤٤ ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني بلفظ : « اقرؤ وا القرآن ، واعملوا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » ورجاله ثقات ، وقد ذكره الحافظ في « الفتح » ٨٧/٩ وقال : وسنده قوي .

انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٦٠) .

قال : سمعته يقول : « ثَلاَثَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ كُثْبَانِ المِسْكِ ، لَا يُحْزِنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ : رَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ مُحْتَسِباً وَأَمَّ قَوْماً مَحْتَسِباً ، وَرَجُلٌ أَذَّنَ مُحْتَسِباً ، وَرَجُلٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ »[1] .

* * *

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » بهذا اللفظ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وعزاه لابن النجار . ورواه بمعناه أبو نصر السجزي في «الابانة» والخطيب في « تاريخه » ٣٥٥/٣ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري معاً . ورواه أيضاً بمعناه من حديث ابن عمر ، أحمد والترمذي والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » و « الصغير » وأبو نعيم في « الحلية » وهو حديث حسن بشواهده .

الباب العاشِر
في مثل من قرأ القرآن ، ومثل من قرأه وعمل به

« مسلم » عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ ، مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ ، مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » وفي رواية : « مَثَلُ الفَاجِرِ » بدل « المُنَافِقِ » ، وقال البخاري : « مَثَلُ المُؤمِنِ الَّذِيَ يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلَ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَعْمَلَ بِهِ كَالتَّمْرَةِ . . . » وذكر الحديث(١) .

وذكر أبو بكر الأنباري : وقد أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني ، حدثني يحيى بن عبد الحميد ، قال : حدثنا هشيم ، وأخبرنا إدريس ، حدثنا خلف ، حدثنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، أن أبا عبد الرحمن السلمي ، كان إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ، ووضع يده على رأسه وقال له : يا هذا اتق الله ، فما أعرف أن أحداً خير منك إن عملت بالذي علمت .

وعن أبي نضرة أن رجلًا من التابعين كالن إذا جلس إليه أصحاب رسول الله ﷺأعجبهم مجلسه وحديثه، فقالوا يوماً: إن مثل القرآن مثل المطر حلو طيب طهور مبارك أنزله الله تعالى فأصاب به الشجرِ حلوه ومره ، فزاد الحلوة حلاوة إلى حلاوتها ، والمرة مرارة إلى مرارتها ، وكذلك القرآن هدى وشفاء للذين آمنوا . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت : ٤٤] انتهى .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وقد تقدم تخريجه في الصفحة (٧٠) .

الباب الحَادي عشَر
في الماهر بالقرآن

« مسلم » عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « المَاهِرُ بالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَام البَرَرَةِ، والَّذي يَقْرأ القُرْآن وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْه شَاقٌ لَهُ أَجْرَانِ »(١) .

فصــل

قال علماؤنا رضي الله تعالى عنهم : التتعتع في القرآن : هو التردد فيه عياً وصعوبة ، وهذا والله أعلم عند التعلم ، وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ، ودرجة الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متتعتعاً عليه ، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة ، والله أعلم .

قال المؤلف رضي الله عنه: ولا يكون ماهراً بالقرآن حتى يكون عالماً بالفرقان ، وذلك بأن يتعلم أحكامه ، فيفهم عن الله تعالى مراده ، وما فرض عليه ، ويعرف المكي من المدني ، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام ، وما ندبهما إليه في آخر الإسلام ، وما افترض في أول الإسلام ، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره ، ويعرف الإعراب والغريب ، فذلك يسهّل عليه معرفة ما يقرأ ، ويزيل عنه الشك فيما يتلو ، ثم ينظر في السنن

---

(١) رواه البخاري ٨/٥٣٢ في تفسير سورة عبس ، ومسلم رقم (٧٩٨) في صلاة المسافرين : باب فضيلة حافظ القرآن . ورواه أيضاً أحمد في المسند » ٦/٩٨ و١٧٠ و٢٢٩ و٢٢٦ ، والترمذي رقم (٢٩٠٦) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل قارىء القرآن ، وأبو داود رقم (١٤٥٤) في الصلاة : باب في ثواب قراءة القرآن ، وابن ماجه رقم (٣٧٧٩) في الأدب : باب ثواب القرآن .

وفي رواية أبي داود والترمذي « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به . . . » وليس فيه لفظة « يتتعتع » ، وقال أبو داود : « وهو يشتد عليه » .

المأثورة الثابتة عن النبي ﷺ ، فبها يصل الطالب إلى مراد الله عز وجل ، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً .

وقد قال الضحاك في قوله عز وجل : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الكِتَابَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] قال : حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً .

وذكر ابن أبي الحواري قال : أتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة ، فوقفنا على الباب ، فلم يأذن لنا بالدخول ، فقال بعض القوم : إن كان خارجاً لشيء فسيخرج لتلاوة القرآن ، فأمرنا قارئاً يقرأ ، فطلع علينا من كُوَّةٍ ، فقلنا : السلام عليك ورحمة الله ، فقال : وعليكم السلام ، فقلنا : وكيف أنت يا أبا علي ؟ وكيف حالك ؟ قال : أنا من الله في عافية ، ومنكم في أذى ، وإن ما أنتم فيه حدث في الإسلام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ما هكذا كنا نطلب العلم ، ولكنا كنا نأتي المشيخةَ ، فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم ، فنجلس دونهم ، ونسترق السمع ، فإذا مر الحديث سألناهم إعادته وقيدناه ، وأنتم تطلبون العلم بالجهد ، وقد ضيعتم كتاب الله ، ولو طلبتم كتاب الله ، لوجدتم فيه شفاءً لما تريدون . قال : قلنا : قد تعلمنا القرآن ، قال : إن في تعلمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم ، قلنا ، كيف يا أبا علي ؟ قال : لن تعلَّموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة . ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنَ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ ، وَهُدَىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس ، ٥٧ و٥٨] .

قال المؤلف رضي الله : فإذا حصلت هذه المراتب لقاريء القرآن كان ماهراً ، وهو الكمال . والماهر : الحاذق بالشيء ، والعالم به ، وأصله الحذق بالسباحة ، ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى تخلص النية لله عز وجل عند طلبه أو بعد طلبه ، فقد يبتدىء الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا ، فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين له أنه على خطأ في اعتقاده ، فيتوب من ذلك ، ويخلص النية لله عز وجل ، فينتفع بذلك ويحسن حاله .

قال الحسن : كنا نطلب العلم للدنيا فيجرُّنا إلى الآخرة .

وقال سفيان الثوري : قال حبيب بن أبي ثابت : طلبنا هذا الأمر وليست لنا فيه نية ، ثم جاءت النية بعدُ .

* * *

الباب الثاني عشر

في أن القرآن حجة لك أو عليك

« مسلم » عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ ، وَالحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ الله والحَمْدُ لله تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَـةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِياءٌ ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدو فَبائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا »[1] .

قال المؤلف رضي الله عنه: القرآن حجة لمن عمل به واتبع ما فيه، وحجة على من لم يعمل به ، ولم يتبع ما فيه ، فمن أوتي علم القرآن فلم ينتفع به ، وزجرته نواهيه فلم يرتدع ، وارتكب من المآثم قبيحاً ، ومن الجرائم فضوحاً ، كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه . وفي الخبر عن أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«من تعلَّم القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ وَلَمْ يَأْخُذَ بما فِيهِ وَحَرَّفَهُ ، كَانَ لَهُ شَفِيعاً وَدَليلاً إلى جَهَنَّمَ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ القُرْآن وَأَخَذَ بِمَا فِيهِ ، كَانَ لَهُ شَفِيعاً وَدَليلاً إلى الجَنَّةِ »[2] .

وخرج ابن شاهين من حديث محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣) في الطهارة : باب فضل الوضوء ،والترمذي رقم (٣٥١٢) في الدعوات : باب رقم ٩١، والنسائي ٥/٥-٦ في الزكاة : باب وجوب الزكاة ، إلى قوله : « أو عليك » .وأحمد في « المسند » ٣٤٢/٥ ،والدارمي رقم (٦٥٩) في الوضوء :اب ماجاء في الطهور .

(٢) ذكره السيوطي في «الجامع الكبير » مختصراً من رواية ابن عساكر عن أبي هدبة عن أنس رضي الله عنه بلفظ : « من تعلم القرآن وعلمه وأخذ بما فيه كان له شفيعاً ودليلاً الى الجنة » نقول : وأبو هدبة هو ابراهيم بن هدبة ، قال النسائي وغيره : متروك ، وقال الخطيب البغدادي : حدث عن أنس بالأباطيل ، وقال أبو حاتم وغيره : كذاب .

شعيب ، عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأْتِي القُرْآنُ إلى الَّذي حَمَلَهُ فأَطاعَهُ في صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَيأْخُذْ بِيَدِهِ حَتَّى يَأْتِي رَبَّهُ ، فَخَيْرُ حَامِلٍ حَفِظَ حُدُودِي ، وَعَمِلَ بِفرائِضِي ، وَعَمِلَ بَطَاعَتِي ، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي ، فَلا يَزَالُ يُقْذَفُ دُونَهُ بِالحُجَجِ حَتَّى يُقَالُ لَهُ : فَشَأْنُكَ بِهِ ، قال : فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ لاَ يَدَعَهُ حَتَّى يَسْقِيهُ بِكَأْسِ الخُلْدِ ، وَيُتَوِّجَهُ تاجَ المُلْكِ ، قال : وَيَأْتِي صَاحِبَهُ الَّذي حَمَلَهُ فَأَضاعَهُ ، فَيأْخُذ بِيَدِهِ حَتَّى يـأْتِيْ رَبَّهُ ،عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَصِيرُ لَهُ خَصِيماً ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إيَّايَ ، فَشَرُّ حَامِلٍ ، ضَيَّعَ حُدُودِي ، وَتَرَكَ فَرَائِضِي ، وَاجْتَنَبَ طَاعَتِي ، وَعَمِلَ بِمَعْصِيتي ، فَلَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالحُجَجِ حَتَّى يُقَالُ لَهُ : فَشأْنَكَ بِهِ ، فَيأْخُذ بيده، فَلَا يَدَعَهُ حَتَّى يَكُبَّهُ عَلَى مِنْخِرِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ »[1] .

* * *

(١) وفيه عنعنة ابن اسحاق، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٦٠ ونسبه للبزار وقال: فيه محمد بن اسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس ، وبقية رجاله ثقات .

الباب الثالث عَشَر

في الآداب التي ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه بها

فأول ذلك : أن يخلص في طلبه لله عز وجل ، كما ذكرنا ، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره ، في الصلاة وغيرها على ما يأتي .

وينبغي له أن يكون لله حامداً ، ولنعمه شاكراً ، وله ذاكراً ، وعليه متوكلاً ، وبه مستعيناً ، وإليه راغباً ، وبه معتصماً ، وللموت ذاكراً ، وله مستعداً .

وينبغي له أن يكون خائفاً من ذنبه ، راجياً عفو ربه ، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه ، إذا لا يعلم بم يختم له ، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه لحسن الظن بالله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : « لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله تَعَالَىٰ » خرجه مسلم وغيره [1] أي : أنه يرحمه ويغفر له .

وينبغي له أن يكون عالماً بأهل زمانه ، متحفظاً من سلطانه ، ساعياً في خلاص نفسه ، ونجاده مهجته ، مقدِّماً بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه ، مجاهداً لنفسه في ذلك ما استطاع .

وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه ، واستعمال تقوى الله تعالى ، ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه .

وقال ابن مسعود : ينبغي لقارىء القرآن ، أن يعرف بليله إذا الناس

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٧٧) في الجنة : باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى ، وأحمد في « المسند » ٣/٢٩٣ و٣١٥ و٣٢٥و٣٣٠ و٣٣٤ و٣٩٠ ، وأبو داود رقم (٣١١٣) في الجنائز : باب ما يستحب من حسن الظن بالله تعالى عند الموت ، وابن ماجه رقم (٤١٦٧) في الزهد : باب التوكل واليقين ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وببكائه اذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ،وبخشوعه إذا الناس يختالون ،وبحزنه إذا الناس يفرحون .

وقال عبد الله بن عمرو : لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ، ولا يجهل مع من يجهل ، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن، لأن في جوفه كلام الله تعالى .

وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات ويقل الضحك في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه ،ويأخذ نفسه بالحلم والوقار .

وينبغي له أن يتواضع للفقراء ، ويتجنب التكبر والإعجاب ، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة ، ويترك الجدال والمراء ، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب .

وينبغي أن يكون ممن يؤمن شره ، ويرجى خيره ، ويسلم من ضره ، وأن لا يسمع ممن نمَّ عنده ، ويصاحب من يعاونه على الخير ، ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق ، ويزينه ولا يشينه .

* * *

البابُ الرّابع عَشر

في الأمر بتعليم كتاب الله تعالى واتباع ما فيه والتمسك به

قال الله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] وقال تعالى ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذي أُوْحِيَ إليْكَ مِنْ رَبِّكَ ... ﴾ الآية [الزخرف : ٤٣] . وقال تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٣] .

« أبو داود » عن نصر بن عاصم الليثي قال : أتينا اليشكري[1] في رهط من بني ليث ، فقال : من القوم ؟ فقلنا : بنو الليث ، أتيناك نسألك عن حديث حذيفة ؟ فقال : أقبلنا مع أبي موسى قافلين ، وغلت الدواب بالكوفة ، قال : فسألت أبا موسى أنا وصاحب لي ، فأذن لنا ، فقدمنا الكوفة ، فقلت لصاحبي : أنا داخل المسجد ، فإذا قامت السوق ، خرجت إليك ، فدخلت المسجد ، فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل ، قال : فقمت عليهم ، فجاء رجل ، فقام إلى جنبي ، قال : فقلت : من هذا ؟ قال : أبصري أنت ؟ قلت : نعم ، قال : قد عرفت ، ولو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا ، هذا حذيفة ، قال : فدنوت منه ، فسمعت حذيفة يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، وعرفت أن الخير لن يسبقني . قال : فقلت : يا رسول الله ! أبعد هذا الخير شر ؟ قال : «يا حُذَيْفَة تَعَلَّم كِتَابَ الله وَاتَّبِعْ ما فِيهِ» ثلاث مرات. قلت: يا رسول الله! أبعد هذا الخير شر؟ قال : « فِتْنَةٌ وَشَرٌّ » . قلت يا رسول الله ! ابعد

---

(١) هو سبيع بن خالد ، ويقال : خالد بن خالد ، ويقال : خالد بن سبيع اليشكري البصري ، روى عن حذيفة رضي الله عنه .

هذا الخير شر؟ قال: « هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ[1] وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ[2] فِيهَا أَوْ فِيهِمْ » . قلت: يا رسول الله! الهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ مَا هِي؟ قال: « لا تَرْجِعُ قُلوب أَقْوام عَلَىٰ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْه » . قلت يا رسول الله! أبعد هذا الخير شر؟ قال « فِتْنة عَمْياء صَمَّاء عَلَيْها دُعاةٌ عَلَىٰ أَبْواب النَّار فَإِن مُتَّ يا حُذَيفَة وَأَنْت عَاضٌ عَلَىٰ جَذْلٍ[3] ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتبعَ أَحَدُهُمْ »[4] .

وخرج أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدّثنا أبو خالد الأحمر عن عبد الحميد بن جعفر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « أَبْشِرُوا ، أَبْشِرُوا ؟ أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله » ؟ قالوا: نعم، قال: « فإِنَّ هَذا القُرْآنُ سَبَبٌ ، طَرَفُهُ بِيَدِ الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَطَرَفَه بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَداً »[1] .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنَ الآخَرِ ، كِتَابُ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ ، طَرَفُهُ فِي يَدِ الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَطَرَفُهُ فِي أَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ،

---

(١) أي: صلح على بقايا من الضغن.

(٢) أي: اجتماع على أهواء مختلفة، أو عيوب مؤتلفة.

(٣) أي: أصل شجر.

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٢٤٦) في الفتن والملاحم: باب ذكر الفتن ودلائلها، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٣٨٧ و٤٠٣، وفي سنده سبيع بن خالد اليشكري لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي، وباقي رجاله ثقات. ورواه البخاري ومسلم بنحوه باختلاف في بعض ألفاظه، انظرها في « جامع الأصول » رقم (٧٥٠٩).

(١) ورواه ابن حبان من طريق أبي بكر بن أبي شيبة رقم (١٧٩٢) « موارد الظمآن »، وهو حديث صحيح. كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٧١٣).

أَلَا وَعِتْرَتِي »[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « قَدْ خَلَّفْتُ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا ، وَعَمِلْتُمْ بِمَا فِيهِمَا : كِتَابَ الله ، وَسُنَّتِي » خرجهما الوائلي رحمه الله في كتاب « الإبانة » من طرق[2] .

* * *

(١) ورواه أحمد في « المسند » ٣/ ٥٩ من حديث الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد، والترمذي رقم(٣٧٩٠)في المناقب: باب مناقب أهل بيت النبي بإسنادين أحدهما: عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد ، والثاني : عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

ورواه الترمذي من حديث جابر رقم (٣٧٨٨) في المناقب : باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ . وقال الترمذي : وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد .

فالحديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٤٥٤) .

(٢) ورواه أيضاً مالك في « الموطأ » ٢/ ٨٩٩ بلاغاً في القدر ، والحاكم في « المستدرك » ١/ ٩٣ وغيرهما ، وهو حديث حسن .

الباب الخامس عشر

في أن أفضل الخلق إيماناً من عمل بكتاب الله عزّ وجلّ

أبو داود الطيالسي[1] عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال : « أَتَدْرُونَ أَيُّ الخَلْقِ أَفْضَلُ ؟ » قلنا : الملائكة ، قال : « وَحَقٌّ لَهُمْ ، بَلْ غَيْرَهُمْ » قلنا : الأنبياء ، « وَحَقٌّ لَهُمْ ، بَلْ غَيْرَهُم » ثم قال رسول الله ﷺ : « أَفْضَلُ الخَلْقِ إيماناً أَقْوَامٌ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ يُؤْمِنُونَ بي وَلَمْ يَرَوْنِي ، يَجِدُونَ وَرَقاً فيعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ ، فَهُمْ أَفْضَلُ الخَلْقِ إيماناً »[2] .

وروى صالح بن جبير عن أبي جمعة قال : قلنا : يا رسول الله ، هل أحد خير منا ؟ قال : « نَعَمْ قَوْمٌ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ فَيَجِدُونَ كِتَاباً بَيْنَ لَوْحَيْنِ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي » . قال أبو عمر بن عبد البر : أبو جمعة له صحبة ، واسمه جيب بن سباع ، وصالح بن جبير من ثقات التابعين .

قال المؤلف رحمه الله : أنبأنا الشيخ المسن الراوية الحاج أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح عرف بابن رواح بمسجده بثغر الاسكندرية حماه الله ، والشيخ الفقيه الامام مفتي الأنام أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي بمنية بني خصيب على ظهر النيل بها إجازة ، قالا جميعاً : أنا الشيخ الامام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السِلفي الأصفهاني، قال : أنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن محمد بن

---

(١) كذا في المطبوع . ولم نجده عند أبي داود الطيالسي كما ذكر المصنف ، وقد ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للحاكم .

(٢) وإسناده ضعيف ، ويشهد لبعضه الذي بعده .

أحمد بن محمود الثقفي بأصبهان ، قلل : أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي ـ إملاءً ـ قال : نا بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي ، قال : أنا أبو صالح واسمه عبد الله بن صالح قال : حدّثني معاوية بن صالح ، عن صالح بن جبير أنه قال : قدم علينا أبو جمعة الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ ببيت المقدس ليصلي فيه ، ومعنا رجاء بن حيوة يومئذ ، فلما انصرفنا خرجنا لنشيعه ، فلما أردنا الانصراف قال : إن لكم عليَّ جائزة وحقاً ، أحدِّثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ، قال : فقلنا: هات رحمك الله ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ ومعاذ معنا عاشر عشرة ، فقلنا : يا رسول الله ! هل من قوم أعظم منا أجراً ؟ آمنا بك واتبعناك ؟ قال : « مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَرَسُول الله ﷺ بَيْنَ أَظْهرِكُمْ ، يَأْتِيكُمُ الوَحْيَ مِنَ السَّمَاءِ ، بَلَىٰ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِن بَعْدِكِمْ يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْكُمْ »(١) .

قال الثقفي : أبو جمعة الأنصاري : اسمه : حبيب بن سباع ويقال : جنيد بن سباع ، وقع لنا عالياً ، ما كتبناه إلا من حديث صالح بن جبير عنه .

---

(١) إسناده ضعيف ، فيه بكر بن سهل الدمياطي ، قال النسائي : ضعيف ، ومحمد بن صالح أبو صالح كاتب الليث فيه مقال ، قال الحافظ في « الإصابة » في ترجمة أبي جمعة الأنصاري : وله شاهد من طريق أسيد بن عبد الرحمن عن صالح بن جبير بغير إسناده ، أخرجه أحمد والدارمي وصححه الحاكم ، وقال الحافظ في « الفتح » : وروى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال : قال أبو عبيدة : يا رسول الله أأحد خير منا ، أسلمنا معك وجاهدنا معك ؟ قال : « قوم يكونون بعدكم يؤمنون بي ولم يروني » . قال الحافظ : وإسناده حسن وصححه الحاكم .

فصـل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : أعلم ﷺ أن من اتبع القرآن ومواعظه حالة الفترة ، واقتفى العلم والسنن عند ظهور البدع ، لا يقصر حاله عن حال الصِّدِّيقين ، ولا تنزل درجته عن درجات الصحابة والتابعين ، والله أعلم .

* * *

البابُ السادس عشر

فيما جاء في تلاوة القرآن في الصلاة ، وأنها أفضل العبادات من الأعمال

تقدم من حديث أبي أمامة ، عن النبي ﷺ : « مَا أَذِنَ الله لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِن رِكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا . . . » الحديث (١) .

وفي « مسند أبي داود الطيالسي » عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمَائِةِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ المُقْنْطِرِينَ » (٢) وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان .

وروى سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : إذا قام الرجل من الليل فتسوك ، ثم توضأ ، قام الملك خلفه ، ودنا واستمع ووضع فاه على فمه ، فلا يقرأ من آية إلا دخلت جوفه » (٣) .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة (٣٩) رقم (٢) .

(٢) رواه أبو داود في « سننه » رقم (١٣٩٨) في الصلاة : باب تحزيب القرآن ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٦٦٢) « موارد » وابن السني مختصراً رقم (٧٠٣) في « عمل اليوم والليلة » باب قراءة ألف آية ، وإسناده جيد كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٦٤٢) .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » من حديث جابر مرفوعاً ونسبه للبيهقي في « شعب الإيمان » ، وتمام والضياء بلفظ : « إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليستك ، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه ولا يخرج من فيه شيء الا دخل فم الملك » .
قال المناوي : ورواه أبو نعيم ، قال ابن دقيق العيد : رواته ثقات .
انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٢١٣) .

ورويناه بالسند المتقدم إلى الرئيس أبي عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي ، قال: ثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ـ إملاءً ـ قال : حدّثني أحمد بن عبد الله بن محمود ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الحسن التميمي قال : ثنا محمد بن أبي بكر البرساني ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد المكي ، قال : سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر ، قال : سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : « قِرَاءَةُ القُرْآنِ في الصَّلاةِ، ثُمَّ قراءَةُ القُرْآنِ فِي غَيْرِالصَّلاةِ، فإنَّ الصَّلاةَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ الله، وَأَحَبُّهَا إليْهِ، ثُمَّ الدُّعاءُ والإستِغْفارُ، فإنَّ الدُّعاءُ هُوَ العِبَادَةُ، وإنَّ الله يُحِبُّ المُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ ، ثُمَّ الصَّدَقَةَ ، فَإنها تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ ، ثُمَّ الصِّيامُ ، فَإنَّ الله تعَالَىٰ يَقُولُ : الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيامُ جَنَّةٌ لِلْعَبْدِ مِنْ النَّارِ »(١) .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا حديث صحيح عظيم في الدين ، بيَّن فيه أن أعظم العبادات قراءة القرآن في الصلاة ، وإنما كان كذلك ، لأن الصلاة أفضل الأعمال عند الله وأحبها إليه ، لأنها اشتملت على جميع العبادات بالمعنى ، ومن فضلها سميت جميع الأعمال بها ، قال الله تعالى مخبراً عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [هود : ٨٧] أي : أعمالك الصالحة ، وذلك أنه كان كثير الصلاة ،

---

(١) وذكره السيوطي بنحوه في « الجامع الصغير » ونسبه للدارقطني في « الأفراد » والبيهقي في « شعب الإيمان » من حديث عائشة ، ورواه أيضاً أبو نصر السجزي في الإبانة » عن أبي هريرة وقال: غريب المتن والإسناد، من حديث وهب بن وهب أبي البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وقال : وهب ليس بالقوي ، وفي الإسناد إرسال .

وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٠٨٦) : حديث ضعيف .

فحملوا سائر أفعاله على معظمه وهي الصلاة .

وقيل : أطلق على كل عمل اسم الصلاة تشريفاً ، كما أطلق عليها اسم الإيمان ، إذ المعنى في الكل واحد ، ولأنها عبادة الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] وقال في جميع الخلق: ﴿ ولله يَسْجُدُ مَنْ في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ طَوْعَاً وَكَرْهاً وِظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ والآصالِ ﴾ [الرعد : ١٥] وجعلها الله من خصائل إسماعيل فقال : ﴿ وَكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ ﴾ [مريم : ٥٥] ومن دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْني مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتي ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

ولا يوصف بالكفر مَن ترك شيئاً من الأعمال الصالحة سواها . قال النبي ﷺ : « مَنْ تَرَكَ الصَّلاَة فَقَدْ كَفَرَ »[1] ، و « بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ »[2] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٢٣) في الإيمان : باب ما جاء في ترك الصلاة ، والنسائي ١/٢٣١ و٢٣٢ في الصلاة : باب الحكم في تارك الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٥/٣٤٦ ، وابن ماجه رقم (١٠٧٩) في إقامة الصلاة : باب ما جاء فيمن ترك الصلاة ، وابن حبان رقم (٢٥٥) « موارد » في الصلاة : باب فيمن حافظ على الصلاة ومن تركها ، من حديث بريدة رضي الله عنه بلفظ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . ورواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٥٦) من حديث بريدة بلفظ : « بكروا بالصلاة في يوم الغيم ، فإن من ترك الصلاة فقد كفر » . وفي « الترغيب والترهيب » للمنذري قال : قال ابن أبي شيبة : قال النبي ﷺ : من « ترك الصلاة فقد كفر » ، ومعنى قوله : كفر ، أي : كفراً دون كفر .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/٣٧٠ و٣٨٩ ومسلم رقم (٨٢) في الإيمان : باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، وأبو داود رقم (٤٦٧٩) في السنة : باب رد الإرجاء والترمذي رقم (٢٦٢١) و (٢٦٢٢) في الإيمان باب رقم ٩ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ومن امتنع من أداء الزكاة أخذت منه قهراً ، ومن امتنع من الوضوء وضِّيء ، ومن امتنع من الصوم حبس في بيت موثقاً حال وجوب الإمساك ، وكل عبادة من حج وزكاة وصيام ، تسقط عن العبد ، وتنتقض بأعذار ، والصلاة ملازمة له في كل حال قائماً وقاعداً، وعلى جنب ، وراكباً وماشياً ، وبالإشارة ، من غير خلاف بين الأئمة ما دام عقله باقياً .

وقد اتفق الفقهاء على قتل من ترك الصلاة[1] وإنما اختلفوا في صفة قتله ، فقال بعضهم : يقتل بالسيف . وقال أهل العراق : يقتل بالسوط . وقيل ، يطعن بالرماح . وإنما يقتل تاركها لأنها تلو الإيمان وثانيته ، وكما يقتل تارك الإيمان ، كذلك يقتل تارك الصلاة .

وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أنه كافر يقتل ، ولا ترثه ورثته من المسلمين ، ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، وحكم ماله كحكم مال المرتد ، وهو قول إسحاق بن راهويه ، قال إسحاق : وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى زماننا ، هكذا حكاه أبو عمر[2] .

وقيل : إن فضل العبادات وشرفها على قدر درجاتها وفائدتها ، فحيث عظمت الفائدة كانت العبادة أفضل ، وترتيب فضائل العبادات بترتيب فوائدها ، فأفضل العبادات فائدة هي أفضل العبادات ، وذلك معرفة الله تعالى ، والإيمان به الذي هو شرط في كل عبادة ، فإن الله تعالى لا يقبل عمل كافر ، ولا ترضيه عبادة كافر ، وإن سخطه عليه سرمداً لا يلحقه عفو ، ولا يشوبه رضىً ، ولا يتصور مع ذلك قرب ، ولذلك قال وقوله الحق : ﴿ إنَّما يَتَقَبَّلُ الله مِنَ المُتَّقين ﴾ [المائدة : ٢٧] أي الذين اتقوا الكفر ،

---

(١) هذا رأي فقهاء المالكية وأما آراء بقية المذاهب فانظر « كتاب الصلاة » للإمام ابن قيم الجوزية ص ٣ ـ ٦ .

(٢) هو أبو عمر بن عبد البر المالكي المشهور .

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ وبِرَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ٥٤] .

فمن العبادات ما تختص فائدته بالمكلف : كالصوم ، والحج ، والعمرة ، والاعتكاف .

ومنها : ما يتعدى المكلف : كالصدقة ، والكفارات ، وعلى قدر التعدي يكون الفضل .

ولذلك كان الصلاة أفضل العبادات التي بالأبدان بعد المعرفة والايمان ، لأن فائدتها تنقسم إلى مختصة بالمصلي ، وإلى متعلقة بالله ورسوله وجميع أهل الإيمان .

والصلاة على هذا التقدير أجمع خصلة من خصال الدين ، وذلك أن أولها الطهارة سراً وجهراً ، ثم جمع الهمة وإخلاء السر وهو النية ، ثم الانصراف عما دون الله إلى الله بالقصد إليه وهو التوجه ، ثم الإشارة برفع اليدين إلى نية ما يربط ، ثم أول الأذكار فيها التكبير ، وهو النهاية في تعظيم قدرة الله تعالى ، وهو قوله : الله أكبر ، ثم أول ثناء فيها ثناء لا يشوبه ذكر شيء سواه ، وهو قوله : « سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ولا إله غيرك » ، ثم قراءة كلامه وهي الفاتحة التي جعلها بينه وبين عبده يقرؤ ها قائماً منتصباً قد زم جوارحه هيبة وخشوعاً وإجلالاً وتعظيماً . ثم تحقيق ما عبر بلسانه عن ضميره من التعظيم لله تعالى فعلاً وحركة ، وهو الركوع والسجود ، وأذكارهما تنزيه الله عز وجل لإجلاله وتعظيمه بقوله : سبحان ربي العظيم ، سبحان ربي الأعلى : ثم مع كل تكبيرة ما عدا الرفع من الركوع ، فإنه يقول : سمع الله لمن حمده ، بإجماع ، فإذا تشهد أضاف جميع الأعمال إلى الله تعالى، ثم يسلم على النبي ﷺ ، ويشهد له بالرسالة ، ثم يسلم على جميع عباد الله الصالحين ، وذلك متعلق بكل عبد صالح من أهل السموات

والأرض ، ثم يصلي على النبي ﷺ وجوباً عند الشافعي ومحمد بن المواز[1] ومن وافقه[2] ، وندباً عند الجميع . ثم يتعوذ بالله من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المسيح الدجال ، ومن فتنة المحيا والممات وجوباً عند طاووس وندبا عند الجميع . وليست هذه الخصال بأجمعها أجمل منها في الصلاة ، ولذلك كان عليه السلام يقول : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ » [3] .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب المنزلة من السماء : إنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ لإِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ : أَتَدْرِي لِمَ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا ؟ قَالَ : لاَ يَا رَبِّ ! قَالَ : لِذِلَّةِ مَقَامِكَ بَيْنَ يَدَيَّ في الصَّلاَةِ ، ذكره أبو نعيم الحافظ [4] .

ولشرفها وفضلها ، وصفت بالنهي عن الفحشاء والمنكر ، ورفع الدرجات ، وتكفير الخطيئات ، ومقصودها الأعظم تجديد العهد بالله عز وجل ، ومناجاته . حتى قال رسول الله ﷺ : « المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » [5] .

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله ، فقيه مالكي من أهل الاسكندرية ، نتهت إليه رياسة المذهب في عصره ، له تصانيف ، توفي رحمه الله سنة ٢٨١ هـ .

(٢) قال ابن كثير: وممن قال بوجوبه من الصحابة : عبد الله بن مسعود ، وأبو مسعود البدري ، وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين : الشعبي ، وأبو جعفر الباقر ، ومقاتل بن حيان ، واليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ، ولا بين أصحابه أيضاً . واليه ذهب الامام أحمد اخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي ، وبه قال إسحاق بن راهويه انظر بقية كلام ابن كثير في « تفسيره » ٥/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٣/١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥ ، والنسائي ٧/٦١ في عشرة النساء : باب حب النساء ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣١١٩) .

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية » ٤/٥٩ .

(٥) الموطأ ١/٨٠ في الصلاة : باب العمل في القراءة ، وأحمد في « المسند » ٤/٣٤٤ من حديث البياضي و٢/٣٦ و٦٧ و١٢٩ من حديث ابن عمر ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٩٤٧) .

وقد اشتملت من أعمال القلوب ، والألسن ، والجوارح فرضاً وندباً على ما لم يشتمل عليه غيرها ، ونهي فيها عن أعمال وأقوال لم ينه في غيرها عنها ، كل ذلك ليتوفر المكلف على الإقبال عليها . ولذلك جعلت لها مواقيت متقاربة لئلا يبعد عهد العبد بذكر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء :٧٨] وقال : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم : ١٧] وقال تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : ١٤] قيل : لتذكرني فيها وأذكرك بها . وقيل : عند خلق الذكر بها . وهذا لمن نام عنها أو نسيها كما قال ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيَها فَلْيُصَلِّها إذَا ذَكَرَهَا » [1] فإن الله عز وجل يقول : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ . وكان ابن شهاب يقرؤها : ﴿للذكرى﴾ .

* * *

(١) رواه البخاري ٢/٤٧ في مواقيت الصلاة : باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر، ومسلم رقم (٦٨٠) في المساجد : باب قضاء الصلاة الفائتة ، والترمذي رقم (١٧٨) في الصلاة : باب رقم ١٩ ، والنسائي ٣/٢٩٣ في مواقيت الصلاة : باب فيمن نسي صلاة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

البابُ السّابع عَشر
في المدة التي يستحب فيها
ختم القرآن في الصلاة وفضل

روى «مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: [إما] ذُكِرْتُ للنبي ﷺ وَإمَّا أَرْسَلَ لِي فقال : « أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأَ القُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟ فَقُلْتُ : بَلَىٰ يَا نَبِيَّ اللهِ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إلاَّ الخَيْرَ ، قَالَ : « فَإنَّ بِحَسْبِكَ مِنْ ذَلِكَ[1] أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ » ، قلت : يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فَإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً » ، [قال :] « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ فَإنَّهُ كَانَ أَعْبَدُ النَّاسِ » قال : قلت : يا نبي الله ، وما كان صوم داود ؟ قال : « كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً » [قال :] « وَاقْرَإ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » ، قال : قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ » ، قال : قلت : يا نبي الله إني أُطيق أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قال : « فَاقْرَأْهُ فِي [كُلِّ عَشْرٍ » قال : قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فَاقْرَأَهُ فِي كُلِّ] سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ ، فَإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً [وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً] وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً » قال : فشددت فشدد علي . قال: وقال النبي ﷺ : « إنَّكَ لاَ تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرُكَ » قال : فصرت الى الذي قال النبي ﷺ ، فلما كبرت وددت أني قبلت رخصة النبي ﷺ[2] .

---

(١) جملة « من ذلك » ليست في نسخ مسلم التي بين أيدينا .

(٢) رواه مسلم رقم (١١٥٩) (١٨٢) في الصوم باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر

قال علماؤنا رضي الله عنهم : قوله : اقرأه في كل شهر ، ثم قال بعد ذلك : في كل عشرين ، ثم قال : فاقرأه في كل سبع ، هكذا في أكثر الروايات لمسلم ، ووقع في كتاب أبي جعفر ، وابن أبي عيسى زيادة : فاقرأه في عشر ، وبعد ذلك قال له : اقرأه في سبع .

وخرج الترمذي أبو عيسى ، عن أبي بردة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قلت يا رسول الله ! في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « اخْتِمْهُ فِي شَهْرٍ » . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « اخْتِمْهُ فِي عِشْرِينَ » ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « اخْتِمْهُ فِي خَمْسَ عَشْرَةٍ » ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : اخْتِمْهُ فِي عَشْرٍ » قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « اخْتِمْهُ فِي خَمْسٍ » قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : فما رخص لي . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب مستغرب من حديث أبي بردة ، عن عبد الله بن عمرو[1] .

وقد روي هذا الحديث من غير وجه ، عن عبد الله بن عمرو .

وروي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِن ثَلاَثٍ » خرجه الترمذي وقال فيه : حديث حسن صحيح[2]

به أو فوت به حقاً ، ورواه أيضاً البخاري ٤/١٩٥ في الصوم : باب صوم يوم وإفطار يوم ، وباب صوم داود عليه السلام ، والنسائي ٤/٢١٠ و٢١١ في الصوم يوم وإفطار يوم ، وأحمد في « المسند » ٢/١٨٨و١٩٥ و١٩٨ و٢٠٥ ، ٢٢٥ .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩٤٧) في القراءات : باب رقم ٤ وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩٤٧) و (٢٩٥٠) في القراءات : باب رقم ٤ ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/١٦٤ و١٩٣ و١٩٥ ، وأبو داود رقم (١٣٩٤) في الصلاة : باب في تحزيب القرآن ، وابن ماجه رقم (١٣٤٧) في إقامة الصلاة : باب في كم يستحب يختم القرآن وإسناده صحيح .

ونحوه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْ »[1] .

وروي عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال له : « اقْرَأْ القُرْآنَ فِي أَرْبَعِينَ »[2] .

وقال اسحاق بن ابراهيم[3] : ولا نحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين يوماً ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث .

وقال بعض أهل العلم : لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، للحديث الذي روي عن النبي ﷺ .

وروي عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث[4] .

---

(١) لم نجده في المرفوع كما ذكر المؤلف رحمه الله ، بل هو موقوف رواه الطبراني في « الكبير » عن أبي الأحوص قال : قال عبد الله : لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، اقرؤ وه في سبع ويحافظ الرجل على حزبه . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في « الكبير » أيضاً عن ابن مسعود قال : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز ، ورجاله رجال الصحيح . وقال الحافظ « في الفتح » : وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن ابن مسعود : اقرؤ وا القرآن في سبع ولا تقرؤ وه في أقل من ثلاث .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩٤٨) في القراءات: باب في كم يختم القرآن ، وأبو داود أيضاً بأطول من هذا رقم (١٣٩٥) في الصلاة : باب تحزيب القرآن . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . قال الحافظ في « الفتح » : وهذا إن كان محفوظاً احتمل في الجمع بينه وبين رواية أبي فروة تعدد القصة ، فلا مانع أن يتعدد قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو وذلك تأكيداً ، ويؤ يده الخلاف الواقع في السياق ، وكأن الزيادة ليست على التحريم كما أن الأمر في ذلك ليس للوجوب .

(٣) هو إسحاق بن ابراهيم راهويه ، وقد تقدمت ترجمته في الصفحة (٤٦) .

(٤) ذكره ابن كثير في كتاب « فضائل القرآن » ونسبه لأبي عبيد وقال ابن كثير : صحيح .

وكان تميم الداري يختم في كل سبع .

وعن خيثمة بن عبد الرحمن أنه كان يختم القرآن في ثلاث ، وكذلك طلحة بن مصرف ، وحبيب بن أبي ثابت ، والمسيب بن رافع ، كانوا يختمون القرآن في كل ثلاث ، ثم يصبحون في اليوم الذي يختمون فيه القرآن صياماً .

ورخص بعض أهل العلم في قراءته في ركعة .

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أنه كان يقرأ القرآن في ركعة يوتر بها ، وروي عن سعيد بن جبير ، عن عثمان ، أنه قرأ القرآن في ركعة في الكعبة . وكان الأسود بن يزيد يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وفي غير رمضان في كل ست ليال .

وكان أبو حنيفة يختم في رمضان ستين ختمة ، بالليل ختمة ، وبالنهار ختمة [١] .

والترتيل في القرآن أحب إلى أهل العلم ، روى الترمذي الحكيم أبو عبد الله في «نوادر الأصول» له في الأصل الثاني والثمانين والمائة: أخبرنا عمر بن أبي عمر العبدي ، قال : ثنا المسيب بن واضح السلمي ، قال ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن سماك بن الفضل ، عن وهب بن منبه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ أمره أن يقرأ القرآن في أربعين ليلة ، فاستزاده حتى رجع إلى سبع[٢] .

وقال أبو عبد الله[٣] : والأربعون مدة الضعفاء وأولي الأشغال ، تنقسم

---

(١) انظر ما قاله الإمام النووي في « التبيان في آداب حملة القرآن » فصل في آداب الختم وما يتعلق به ص ١٥٥ ـ ١٦٢ ط دار البيان بدمشق بتحقيقنا .

(٢) رواه الحكيم الترمذي ص ٢٢١ في « نوادر الأصول » وقد تقدم تخريجه والكلام عليه قريباً .

(٣) هو الحكيم الترمذي .

الجميع على الأربعين ، فيكون في كل يوم مائةوخمسون آية،وزيادة آيات يسيرة . وفي السنة تبلغ ختمة تسع مرات . وأما توقيت السبع ، فإنه للأقوياء الذين يقدرون على سهر الليل ، احترفوا العبادة ، وتفرغوا من أشغال النفس والدنيا .

قال المؤلف رحمه الله : وروي عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدي وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى ستين عاماً ـ قال : رأيت كأن ضفة نهر تجري بالمسك الأذفر ، حافتاه شجر اللؤلؤ ، ونبت من قضبان الذهب ، فإذا بجوارٍ مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبَّح بكل لسان ، سبحان الموجود بكل مكان[1] ، سبحان الدائم في كل زمان ، سبحانه سبحانه . قال : قلت : من أنتن ؟ قلن : خلق من خلق الرحمن سبحانه ، قلت : وما تصنعن هنا ؟ قلن هذا الكلام :

ذَرانـا إلـهُ العَـرْشِ رَبُّ مُحَمَّـدٍ   لِقَـوْمٍ عَلَىٰ الأَقْـدَامِ بِاللَّيْلِ قُـوَّمُ
يـنـاجـون رب العـالـمين إلـهـم   وتسـري همـوم القـوم والنـاس نُـوَّم

فقلت : بخ بخ لهؤلاء ، من هؤلاء ؟ لقد أقر الله أعينهم ، قلن : أما تعرفهم ؟ فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المجتهدون بالليل أصحاب السهر .

وأسند[2] عن ليث ، عن مجاهد قال : قال رجل : يا رسول الله ! من قرأ القرآن في سبع ؟ قال : « فَذَلِكَ عَمَلُ المُقَرَّبِينَ » قالوا : يا رسول الله ! فمن قرأه في خمس ؟ قال : « ذَلِكَ عَمَلُ الصِّدِّيقِينَ » ، قالوا : يا رسول الله ! فمن قرأه في ثلاث ؟ قال : «ذَلِكَ عَمَلُ عُبَّادُ النَّبِيِّينَ ، وَذَلِكَ الجُهْدُ ، وَلاَ أَرَاكُمْ

---

(١) قال العلماء : لا يجوز أن يقال : الله بكل مكان .

(٢) أي الحكيم الترمذي ، ولم نقف على سنده .

تُطِيقُونَهُ إلاَّ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَىٰ مُكَابَدَةِ اللَّيْلِ ، وَيَبْدَأُ أَحَدُكُمْ بِالسُّورَةِ وَهَمُّهُ فِي آخِرِهَا » ، قالوا : يا رسول الله ! وفي أقل من ثلاث ؟ قال : « لاَ ، وَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ نَشَاطاً فَلْيَجْعَلْهُ فِي حُسْنِ تِلاَوَتِهَا »[1] .

وقال محمد بن إبراهيم[2] : سألني يحيى بن معين عن هذا الحديث ، وإنما مخرج هذا الكلام من رسول الله ﷺ على المداومة عليه ، وأن يصير هذا عادة وحرفة ، ولو أن رجلاً قرأ القرآن في بعض أيامه ، قرأ القرآن في يوم واحد ، أو ليلة واحدة ، لكان فاضلاً عظيم القدر .

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه ختمه في ركعة واحدة قائماً ، فإنما وقت هذه المدة لمن يداوم عليها ويصيرها عادة موظفة ، وكان رسول الله ﷺ ممن يقرؤه في سبع تيسيراً على الأمة . وكان يبتدىء فيجعله ثلاث سور حزب ، ثم من بعده خمس سور حزب ، ثم من بعده سبع سور حزب ، ثم من بعده تسع سور حزب ، ثم من بعده إحدى عشرة سورة حزب ، ثم من بعده ثلاث عشرة سورة حزب ، ثم من بعده المفصل حزب ، فذلك سبعة أحزاب[3] .

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص ٢٢١ وأورده السيوطي في « الجامع الكبير » وقال : رواه الحكيم عن مجاهد مرسلاً .

(٢) لعله محمد بن إبراهيم بن أبي عدي السلمي البصري ، فإنه روى عنه يحيى بن معين ، توفي سنة ١٩٤ هـ .

(٣) هو مأخوذ من حديث أوس بن حذيفة قال : سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف يحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده . رواه أحمد في « المسند » ٩/٤ وأبو داود رقم (١٣٩٣) في الصلاة : باب تحزيب القرآن ، وابن ماجه رقم (١٣٤٥) في إقامة الصلاة : باب في كم يستحب أن يختم القرآن ، ورواه أيضاً الطبراني في « الكبير » ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : حديث حسن أخرجه الامام أحمد وأبو داود كما في « الفتوحات » ٢ / ٢٢٩ .

وذكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بـ ﴿ البقرة ﴾ إلى ﴿ المائدة ﴾ وليلة السبت بـ ﴿ الأنعام ﴾ إلى ﴿ هود ﴾ وليلة الأحد بـ ﴿ يونس ﴾ إلى ﴿ مريم ﴾ وليلة الاثنين بـ ﴿ طه ﴾ إلى ﴿ طسم ﴾ وليلة الثلاثاء بـ ﴿ العنكبوت ﴾ إلى ﴿ ص ﴾ وليلة الأربعاء بـ ﴿ تنزيل ﴾ إلى ﴿ الرحمن ﴾ ، ويختم ليلة الخميس .

وقال بعض العلماء : وذهب كثير من العلماء إلى منع الزيادة على السبع أخذاً بظاهر المنع في قوله : « فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ » واقتداءً برسول الله ﷺ ، فلم يرو عنه أنه ختم القرآن كله في ليلة ، ولا في أقل من السبع ، وهو أعلم بالمصالح والأجر ، وفضل الله يؤتيه من يشاء ،فقد يعطي على القليل ما لا يعطي على الكثير .

وقد اختار بعضهم قراءته في ثمان ، وكان بعضهم يختمه في خمس ، وآخر في ست ، وبعضهم يختم في كل ليلة ، وكأنَّ من لم يمنع من الزيادة على السبع حمل قوله ﷺ : « لَا تَزِدْ » من باب الرفق وخوف الانقطاع ، فإن أمن ذلك جاز ، على أن ما كثر من العبادة والخير ، فهو أحب إلى الله تعالى ، والأولى ترك الزيادة ، لأن قوله : « وَلَا تَزِدْ عَلَىٰ السَّبْعِ » وكذلك قوله : في الخمس ، خرج مخرج التعليم ، والله بحقائق الأمور عليم .

وحكي أن محمد بن شجاع لما حضرته الوفاة أشار إلى بيت فقال : ختمت القرآن في ذلك البيت في الصلاة ثلاثة آلاف مرة .

وعن علي بن الفضيل أنه قال لابنه : ادع الله أن يرزقني ختم القرآن ، وكان إذا أخذ في السورة لا يقدر أن يتمها .

* * *

البابُ الثّامن عَشر

في فضل ختم القرآن وما يستحب فيه

ابن شاهين أخبرنا محمد بن هارون بن الهيثم الجوهري ، حدثنا الحسن بن عرفة ، ثنا محمد بن مروان الكوفي ، عن عمرو بن ميمون ، عن الحجاج بن فرافصة ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ نَظَراً وَظَاهِراً حَتَّىٰ يَخْتِمْهُ غَرَسَ اللهُ لَهُ بِهِ شَجَرَةً فِي الجَنَّةِ ، لَوْ أَنَّ غُراباً أَفْرَخَ فِي وَرَقَةٍ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ثُمَّ نَهَضَ يَطِيرُ لأَدْرَكَهُ الهَرَمُ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ تِلْكَ الوَرَقَةِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ »[١] .

وروي من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الأَعْمَالِ افْتِتَاحُ القُرْآنِ وَخَتْمِهِ »[٢] .

---

(١) وإسناده ضعيف ، فيه محمد بن مروان السدي ، وهو متهم بالكذب ، والحجاج بن فرافصة لم يسمع أحداً من الصحابة ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦٥/٧ من حديث عبد الله بن مسعود ونسبه للطبراني والبزار وقال : وفيه محمد بن محمد الهجيمي ولم أعرفه ، وسعيد بن سالم القداح مختلف فيه ، وبقية رجال الطبراني ثقات ، وإسناد البزار ضعيف .

(٢) ذكره الذهبي في « ميزان الاعتدال » في ترجمة بشر بن الحسين الاصبهاني من حديث عامر بن إبراهيم ، عن بشر بن الحسين الاصبهاني عن الزبير بن عدي عن أنس . . . الحديث . قال الذهبي : ثم ساق بهذا السند مائة حديث لا يصح منها شيء . قال الدارقطني : متروك ، وقال ابن عدي : عامة حديثه ليس بمحفوظ ، وقال أبو حاتم : يكذب على الزبير . وروى الترمذي رقم (٢٩٤٩) في القراءات من حديث صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : « الحال المرتحل » قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : « الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل » . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بالقوي : ورواه الحاكم ٥٦٨/١ وقال : تفرد به صالح المري ، وتعقبه الذهبي فقال : صالح متروك ، وذكر الحاكم له شاهداً من حديث أبي هريرة وسكت عنه ، وتعقبه الذهبي فقال :

وروى سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال : إذا ختم القرآن قبَّل الملك بين عينيه ، حدث به أحمد بن حنبل فاستحسنه وقال : هذا من مخبَّآت سفيان . وقد روي ذلك عن سفيان قوله .

قال المؤلف رحمه الله : وأيهما كان : فمثله لا يقال من جهة الرأي ، فهو مرفوع[1] .

وقال العلماء : يستحب لقاريء القرآن إذا ختمه أن يجمع أهله فإنه روي عن أَنس بن مالك أنه كان يجمع أهله عند ختم القرآن . وعنه أنه كان إذا أشفى على ختم القرآن بقي أربع سور أو خمس سور ، فإذا أصبح جمع أهله فختمه دعا ، ويستحب لمن علم بالختم أن يحضره .

وروي عن قتادة أن رجلاً كان يقرأ القرآن في مسجد رسول الله ﷺ ، فكان ابن عباس يجعل عليه رقيباً ، فإذا أراد أن يختم قال لجلسائه : قوموا بنا حتى نحضر الخاتمة . وعن مجاهد : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون : الرحمة تنزل .

وعن الحكم بن عيينة قال : كان مجاهد وعنده ابن أبي لبابة ، وأناس يعرضون القرآن ، فإذا أرادوا أن يختموه أرسلوا إلينا وقالوا : إنا نريد أن نختم ، فأحببنا أن تشهدونا ، فإنه يقال : إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه ، أو حضرت الرحمة عند ختمه .

وقال وهيب بن الورد : قال لي عطاء : بلغني أن حميد الأعرج يريد أن يختم القرآن ، فانظر إذا أراد أن يختم فأخبرني حتى أحضر الختمة .

ويستحب أن يختم أول النهار ، فإن ابراهيم التيمي قال : كانوا

لم يتكلم عليه الحاكم ، وهو موضوع على سند الصحيحين ، ومقدام تكلم فيها ، والآفة منه ، ورواه الترمذي من مرسل زرارة بن أوفى وقال : هذا عندي أصح .

(١) يريد حكمه حكم الرفع ، لأنه ليس للرأي فيه مجال ، ولكن ليس له سند حتى يحكم عليه .

يقولون : إذا ختم الرجل القرآن أول النهار ، صلت عليه الملائكة بقية يومه ، وكذلك إذا ختم أول الليل ، وقد روي هذا مرفوعاً عن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَتَمَ القُرْآنَ أَوَّلَ النَّهَارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ حَتَّىٰ يُمْسي ، وَمَنْ خَتَمَهُ آخِرَ النَّهارِ صَلَّتْ عليْهِ المَلاَئِكَةُ حَتَّىٰ يُصْبِحُ »[1] .

وقال مجاهد : من ختم القرآن نهاراً وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، ومن ختمه ليلاً وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يصبح . وكانوا يستحبون أن يكون ختم القرآن في أول النهار ، أو في أول الليل لهذا الحديث ، وكانوا يستحبون أن يختموا قبل الليل أو قبل النهار .

وقال عبد الله بن المبارك : إذا كان الشتاء فاختم القرآن في أول الليل ، وإذا كان الصيف فاختمه في أول النهار . وكان طلحة بن مصرف ، وحبيب بن أبي ثابت ، والمسيب بن رافع ، يصبحون في اليوم الذي يختمون فيه صياماً ، وقد تقدم .

ويستحب فيه التكبير من أول سورة ﴿ والضحى ﴾ ، لأن القرآن عبادة تنقسم إلى أبعاض معدودة متفرقة ، فكانت كصيام شهر رمضان. وقد أمر الله الناس إذاأكملواالعدة أن يكبِّروا الله على ما هداهم ، فالقياس على ذلك أن يكبر قارىء القرآن ، فانما قلنا : يكبر من سورة ﴿ والضحى ﴾ لما رواه مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا بلغ

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » ٥/٢٦ من حديث هشام بن عبيد الله عن محمد بن جابر ، عن ليث عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن سعد . وقال أبو نعيم : غريب من حديث طلحة تفرد به هشام بن عبيد الله عن محمد بن جابر . قال المناوي في « الفيض » : وفيه هشام بن عبيد الله ، قال الذهبي في « الضعفاء » : قال ابن حبان : كثرت مخالفته للأثبات ثم روى له حديثين موضوعين . فالحديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٥٧٩) .

آخر ﴿ والضحى ﴾ كبر بين كل سورتين تكبيرة « الله أكبر » هكذا إلى ان يختم القرآن[1] . وكأن المعنى في ذلك أن الوحي تأخر عن النبي ﷺ أياماً ، فقال ناس من المشركين : قد وَدَعه صاحبه وقلاه ، فنزلت هذه السورة ، فقال : الله أكبر[2] .

قال مجاهد : قرأت على ابن عباس رضي الله عنه ، فأمرني به ، وأخبرني عن أُبي ، عن النبي ﷺ[3] .

واختلف القراء في وصل السورة بالتكبيرة والسكت بينهما ، فروي أن القارىء يسكت اذا فرغ من السورة سكوتاً مقطوعاً ، ثم يكبر ويبسمل ويقرأ .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في التفسير:٣١٢/٧روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرىء قال : قرأت على عكرمة بن سليمان ، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد ، فلما بلغت ﴿ الضحى ﴾ قالا لي : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة ، فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك ، وأخبره أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ونسبه للحاكم بن مردويه والبيهقي في « شعب الايمان » وقال ابن كثير : فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد ابن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة ، وكان إماماً في القراءات ، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال : لا أحدث عنه ، وكذلك أبو جعفر العقيلي ، قال : هو منكر الحديث ، وقال الحافظ الذهبي في « الميزان » بعد إيراد هذا الحديث في ترجمة أحمد ابن محمد بن عبد الله البزي : هذا حديث غريب ، وهو مما أنكر على البزي ، قال : قال أبو حاتم : هذا حديث منكر . وكذلك قال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » . وقال بن كثير : لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، في « شرح الشاطبية » عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة ، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث . ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من آخر ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ وقال آخرون : من آخر ﴿ والضحى ﴾ وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول : الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر .

(٢) قال ابن كثير : ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ، ولا ضعف ، فالله أعلم ،

(٣) وهو بمعنى الذي قبله من طريق البزي .

وروي : أنه يكبر ويبسمل ، ويصل التكبير بآخر السورة ، ولا يسكت بينهما . ولا يجوز الوقوف على التكبير دون أن يصله بالبسملة ثم بأول السورة المؤتنفة .

فصل

فإذا فرغ من الختم وسلم أتبع التكبير بالحمد والتصديق ، والثناء والصلاة على رسول الله ﷺ يقول : « الحَمْدُ لله الحَيّ القَيُّوم الَّذِي لَا يَمُوتُ ، ذِي الجَلَالِ والإِكْرَامِ ، وَالمَواهِبِ العِظَامِ ، وَالمُتَكَلِّمِ بالقُرْآنِ ، وَالخَالِقِ للإِنْسانِ ، وَالمُنْعِمِ عَلَيْهِ بِالإِيمانِ ، وَالمُرْسل رَسُولَهُ بِالبَيَانِ ، وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ .

أَحْمُدُهُ حَمْدَ المُخْلِصِينَ ، وَأَتَّقِيهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ تَوكُّلَ المُوْقِنِينَ ، وَأَرْتَجِيهِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، العَزِيزِ الوَهَّابِ ، القَدِيرِ الغَالِبِ ، غَفَّارُ الذُّنُوبِ ، وَسَتَّارُ العُيُوبِ ، وَعَلَّامُ الغُيُوبِ ، وَقَابِلُ التَّوْبِ مِمَّنْ يَتُوبُ . وَكَاشِفُ الغُمُومِ ، وَالمُجِيبُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ ، ذَلِكَ الله الحَيُّ القَيُّومُ ، ذِو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ، الشَّافِي مِنَ الأَدْواءِ والأَسْقَامِ ، وَالفَارِجِ الكُرُوبِ العِظَامِ ، رَبُّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ ، وَفَاطِرُ السَّمٰوَاتِ والكَوَاكِبِ ، والمُتَفَضِّلُ بِالآلاءِ وَالمَواهِبِ ، وَخَالِقُ الانُسَانِ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ الله بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلى الله بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً . بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمانَة ، وَنَصَحَ الأُمَّة ، وَنَهَجَ شَرَائِعَ المِلَّةِ ، وَعَبَدَ رَبَّهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِين .

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلىٰ آلِهِ الطَّيِّبين الطَّاهِرِينَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً »
ثم يدعو بما تيسر له .

وقيل ليوسف بن أسباط : ما تقول إذا ختمت القرآن ؟ قال : أقول : اللهم لا تفتني ، خمسين مرة .

وقال المبارك بن فضالة : كان الحسن[1] إذا ختم القرآن دعا بهذا الدعاء :

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كما هَدَيْتَنا لِلدِّينِ العَظِيمِ ، وعَلَّمْتَنا مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ عَلَّمْتَنا قَبْلَ رَغْبَتِنا إليْكَ في تَعْلِيمِهِ ، وَخَصَصْتَنا بِهِ قَبْلَ مَعْرِفَتِنا بِفَضْلِهِ .

اللَّهُمَّ فَإذا كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَنِّكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ لُطْفاً بِنا وَرَحْمَةً لَنا ، مِنْ غَيْرِ حَوْلَنا وَلاَ قُوَّتِنا ، فَاغْفر لَنَا . اللَّهُمَّ فَهَبْ لَنا رِعايَةَ حَقِّهِ ، وَحُسْنَ تِلاَوَتِهِ ، وَإيماناً بِمُتَشَابِهِهِ ، وَتَفَكُّراً في أَمْثَالِهِ ، وَتَثَبُّتاً في تَأْوِيلِهِ ، وَهُدَىً في تَدَبُّرِهِ ، وَبَصِيرةً بِنُورِه .

اللَّهُمَّ إنَّكَ أَنْزَلْتَهُ شِفَاءً لأَوْلِيَائِكَ ، وَسُقْماً على أَعْدَائكَ ، وَغَمَّاً على أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ ، وَهُدىً لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، فَاجْعَلْهُ دَلِيلَنا عَلَى عِبادَتِكَ ، وَقَائِدَنا الى رِضْوانِكَ ، واجْعَلْهُ لَنَا حِصْناً حَصِيناً مِنْ عَذَابِكَ ، وَحِرْزاً مَنِيعاً مِنْ غَضَبِكَ وَعِقَابِكَ ، وَحَاجِزاً وَثِيقاً مِنْ سَخَطِكَ ، وَنُوراً يَوْمَ لِقَائِكَ ، نَسْتَضِيءُ بِهِ في خَلْقِكَ ، وَنَجُوزُ بِهِ صِراطَكَ ، وَنَهْتَدِي بِهِ إلى جَنَّتِكَ .

اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاءِ فِي حَمْلِهِ ، والجَوْرِ عَنْ حَقِّهِ ، والْغُلُوِّ في

---

(١) هو الحسن البصري رحمه الله .

قَصْدِهِ ، والتَّقْصِيرِ دُونَ وَاجِبِهِ .

اللَّهُمَّ احْمِلْ عَنَّا ثِقلهُ ، وَأَوْجِبْ لَنَا حَقَّهُ ، وَأَوزِعْنَا [1] شُكْرَهُ ، وَاجْعَلْنَا نَعِيهِ وَنَحْفَظُهُ ، وَنُقِيمُ حُكْمَهُ ، وَنُرَاعِي حُدُودَهُ ، وَنُؤَدِّي فَرَائِضَهُ ، وَنُحِلُّ حَلاَلَهُ ، وَنُحَرِّمُ حَرَامَهُ ، وَنُحيي مَعَالِمَهُ ، وَنَتَّقِي مَحَارِمَهُ .

اللَّهُمَّ أَذِلْ قُلُوبَنَا عِنْدَ عَجَائِبِهِ التَّي لا تَنْقَضِي ، وَأَشْرِبْها لَذَّةً في تَرْدِيدِهِ ، وَخَشْيَةً عِنْدَ تَرْجِيعِهِ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا صَرَفْتَ فيه مِنَ الآياتِ ، وَكَفِّرْ عَنَّا بِتلاوَتِهِ السَّيِّئاتِ ، وَلَقِّنَا بِهِ البُشْرَىٰ الحَسَنَةَ عِنْدَ المَمَاتِ .

اللَّهُمَّ إنَّكَ سَمَّيْتَهُ مُبَارَكاً فارْزُقْنا بِهِ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ .

اللَّهُمَّ إنَّكَ جَعَلْتَهُ نَجاةً فَنَجِّنا بِهِ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ .

اللَّهُمَّ إنَّكَ جَعَلْتَهُ عِصْمَةً فَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ وَشُبْهَةٍ . اللَّهُمَّ أَلْزِمْ بِهِ قُلُوبَنَا السَّكِينَةَ والْوَقَارَ ، وَالفِكْرَةَ وَالإِعْتِبارَ ، والتَّوْبَةَ والإِسْتِغْفَارَ ، حَتَّىٰ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً ، وَلَا نَبْتَغِي بالقُرْآنِ بَدَلاً ، وَلَا نُؤْثِرُ عَلَيْهِ عَرَضاً مِنْ أَعْراضِ الدُّنْيَا أَبَداً ، إنَّكَ أَنْتَ سَمِيعُ الدُّعَاء . آخر دعاء الحسن .

وإن زدت عليه ما يناسبه ، فلا بأس ، تقول :

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بالقُرْآنِ العَظِيمِ ، وَارْحَمْنَا بِهِ .

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَانْفَعْنَا بِهِ .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْنَا بِالقُرْآنِ المَجِيدِ وَأَجِرْنَا بِهِ .

---

(١) في المطبوع : وأدعنا وهو تحريف .

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالْقُرْآنِ وَاحْرُسْنَا بِهِ.

اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا بِالْقُرْآنِ واعْصِمْنَا بِهِ ،

اللَّهُم انْصُرنا بالقُرْآن واكْلأنا بِهِ .

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِالقُرآنِ ، وَاحْفَظْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا بِالقُرآنِ كُلَّ ذَنْبٍ ، وَاسْتَجِبْ لَنَا بالْقُرْآنِ كُلَّ دُعَاءٍ ، وَأَشْفِنَا بُالقُرآنِ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ وَدَاءٍ .

اللَّهُمَّ أَفْرِجْ عَنَّا بِالْقُرْآنِ كُلَّ غَمَّةٍ ، وَاكْشِفْ عَنَّا بِالْقُرْآنَ كُلَّ كُرْبةٍ ، وَنَبِّهْنَا بِالْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ رَقْدَةٍ ، وَأَزِحْ عَنَّا بِـالْقُرْآنِ كُلَّ غَفْلَةٍ ، وَاصْرِفْ عَنَّا بِالْقُرْآنِ كُلَّ بَلِيةٍ ، وَكَفِّرْ عَنَّا بِالْقُرآنِ كُلَّ خَطِيئةٍ .

اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيْنا بِالْقُرْآنِ رِزْقَكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا بِالْقُرْآنِ فَضْلكَ الَّذِي نَرْجُوهُ ، يَا مَنْ يُجِيبُ دَعْوة دَاعِيهِ ، وَلا يُخَيِّبُ رَاجِيهِ .

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بِالقُرآنِ في مَجْلِسْنَا هَذا كَرَامَةً لا تُهينُنا بَعْدَها أَبداً ، وَارْفَعْنَا بِهِ رَفْعَةً لا تَضَعُنَا بَعْدَهَا أبداً ، وَأَعِزَّنَا بِهِ عِزّاً لا تُذِلّنا بَعْدَهُ أَبداً، وَارْزُقْنَابِهِ رِزْقاً هَنِّياً لا تَحْرِمُنَا بَعْدَهُ خَيْراً أَبَداً .

اللَّهُمَّ زِدْنا بِهِ حُبّاً لِلايمانِ والإسْلَامِ ، والصَّلاةِ والزَّكَاةِ والصِّيامِ ، وإدْمانِ حَجِّ بَيْتِكَ الحَرامِ ، وَجِهَادِ أعْدَائك اللِّئَامِ ، وَإقَامَةِ الحُدُودِ وَالأحْكَامِ .

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا بِهِ حَيَاةَ الأَخْيَارِ ، وَتَوَفَّنَا مَعَ عِبَادِكَ الأبْرَار ، وارْزُقْنا العَافِيَةَ وذُرِّيَّتَنَا في أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينا وَأَمْوَالِنا .

اللَّهُمَّ اسْتُرْ بِهِ عَوْرَاتِنَا . وَآمِنْ بِهِ رَوْعاتِنَا ، واغْفُرْ بِهِ خَطِيئاتِنَا ، وَاحْفَظْنا بِهِ مِنْ جَمِيع جِهَاتِنَا .

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيانَا الَّتِي فيها مَعَاشُنَا ، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا التي إلَيْهامَعَادُنَا .

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ سَأَلَكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ عاذَ بِكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرسولك .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَدٍ، كَما صَلَّيتُ على إبْراهِيمَ، وَبَارِكْ على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَد ، كما بَارَكْت على إبْراهيم ، في العَالَمِين إنَّكَ حَمِيدٌ مجيدٌ .

اللَّهُمَّ صَلِّ على مَلاَئِكَتِكَ المقَرَّبِينَ ، وَأَنْبيائِكَ المُرْسَلِينَ ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلى عِبَادِكَ الصَّالِحينَ ، مِنْ أَهْلِ السَّمواتِ والأَرْضِينَ . رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَة حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ .

ثم تدعو بدعوات من القرآن ، ثم تقول : « سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ ، وَسَلاَمٌ على المُرْسَلِينَ والحَمْدُ لله رَبِّ العَالمَيْنِ » .

قال المؤلف رحمه الله : وإن قال بعد الحمد لله ، والثناء ، والتصديق والصلاة على محمد خير الأنبياء :

اللَّهُمَّ إنكَ أَهْلُ الفَضْلِ والإحْسَانِ ، والطَّولِ والإمْتِنَانِ ، كما هَدَيْتَنا للإيمان وَعَلَّمْتَنَا القُرْآنَ ، وَخَصَصْتَنا بِفَضْله ، وَجَعَلْتَنا مِنْ أَهْلِهِ ، فَاجْعَلْنا اللَّهُمَّ مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَيَقُومُ بِقَصْدِهِ ، وَيُوفي بِشَرْطِهِ ، ولا يَلْتَمِسُ الهُدَى في غَيْرِهِ .

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لأعْلامِهِ الظَّاهِرَةِ ، وَأَحْكَامِهِ القَاطِعَةِ ؛ وَاجْمَعْ لنا بِهِ خَيْرِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فَإنَّكَ أَهْلُ التقْوىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِقُلُوبِنَا حَبِيباً وَرَبيعاً ، وَلأبْدَانِنا مِنْ عَذَابِكَ حِصْناً مَنِيعاً ، وَلِصُدُورِنا مِنَ الشَّكِ شِفَاءً ، وَلَمَا اجْتَرَحْنَا مِنَ الذُّنُوب مَاحِقاً .

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا إلى مَقِرِّ رَحْمَةِ كَرَامَتِكَ دَليلاً سَائِقاً ، وَعَوْناً على العَمَلِ بِطَاعَتِكَ كَافِياً ، وَحِرْزَاً مِنْ سُوءِ قَضَائِكَ وَقَدَرِكَ وَاقِياً .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا بِهِ مُوْبِقَاتِ الذُّنُوبِ ، واسْتُرْ عَلَيْنَا بِهِ قَبَائِحَ العُيُوبِ ، وَبَلِّغْنَا بِهِ كُلَّ مَحْبُوبٍ ، وَسَلِّمْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ ، وَأَنِلْنَا بِهِ الفَوْزَ والبُشْرى ، واكْشِفْ عَنَّا بِهِ الضُّرَّ والبَلْوَى .

واجْعَلْنَا اللَّهُمَّ بِهِ مَعَ الَّذينَ أَوْجَبْتَ لَهُمْ جَنَّةَ المَأْوَى ، وأَنْقَذْتَهُمْ مِنْ لَظَى ، يَا رَبَّ العَالَمِين .

وتدعو بدعوات من القرآن كما ذكرنا ، فحسن جميل .

والدعاء في هذا كثير [١] .

وروى عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَهُ ـ يعني القرآن ـ حتَّى يَخْتِمَهُ ، كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مُعَجَّلَةٌ أو مُدَّخِرَةٌ »[١] .

وروى قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال « عِنْدَ خَتْمِ القُرْآنِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ »[٢] .

* * *

---

(١) وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » من حديث جابر ١٦٣/٧ ونسبه للطبراني في « الأوسط » وذكره الذهبي في « الميزان » في ترجمة مقاتل بن دوال دوز ، وقال الذهبي : وهذا في عداد من يجهل حاله .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » ٢٦٠/٧ : وفيه يحيى السمسار ، قال الذهبي في « الميزان » : كذبه ابن معين ، وتركه النسائي ، وقال ابن عدي : يضع الحديث ويسرقه ، قال : ومن بلاياه هذا الخبر في أخبار أخر ، ورواه الخطيب في « تاريخه » ٣٩٠/٩ في ترجمة عبد الله ابن أحمد بن الصديق بلفظ : « إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة » . وسنده ضعيف أيضاً .

الباب التّاسع عَشر
في أن القلوب تصدأ وجلاؤها القرآن

حدثنا الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبدالله إجازةً ، عن أبيه الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث أبي الحسن علي بن خلف بن معزوز بن فتوح الكوفي التلمساني ، قال : قرىء على الشيخة الصالحة الجليلة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهراوني في منزلها وأنا حاضر أسمع ، وذلك في التاسع من رمضان سنة أربع وستين وخمسمائة ، قيل لها : أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد بن طلحة النعالي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة ، فأقرت به وقالت : نعم ، قال : أنا أبو الحسن أحمد بن محمد زرقويه البزار قال : أخبرنا أبو علي اسماعيل بن صالح الصفار سنة ثمان وثلاثمائة قال : ثنا عبد الله بن أيوب المخرمي أَبو محمد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين ،قال : ثنا عبد الرحيم بن هارون[1] قال : أخبرنا عبد العزيز بن أبي روَّاد عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هَذِهِ القُلُوبُ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الحَدِيدُ » . قالوا : يا رسول الله ! فما جلاؤها ؟ قال : « تِلَاوَةُ القُرْآنِ »[2] .

* * *

---

(١) هو عبد الرحيم بن هارون الغساني الواسطي .

(٢) رواه محمد بن نصر في « قيام الليل » ، وأبو نعيم في « الحلية » ١٩٧/٨ ، وذكره الخطيب في « تاريخه » ٨٥/١١ في ترجمة عبد الرحيم بن هارون الغساني ، قال الخطيب : أخبرنا البرقاني قال : سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول : عبد الرحيم بن هارون الغساني متروك يكذب وذكر الحديث الذهبي في « الميزان » وعدَّه من بلايا عبد الرحيم بن هارون .

الباب الموفي عشرين

في أن القرآن والعلم ميراث الأنبياء عليهم السلام

«أبو داود» عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَىٰ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتِهَا رِضىً لِطَالِبِ العِلْمِ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالحِيتَانُ في جَوْفِ المَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً وَلاَ دِرْهَماً ، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » خرجه ابن ماجه أيضاً[1] .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق فقال : أَرَاكُمْ هُنَا وَمِيرَاثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَسَّمُ ؟ ! فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَىٰ المَسْجِدِ وَتَرَكُوا السُّوقَ وَلَمْ يَرَوْا مِيرَاثاً يُقَسَّمُ ؟ فَقَالُوا : يَا أَبا هُرَيْرَةَ ! مَا رَأَيْنَا مِيرَاثاً يُقَسَّمُ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُمْ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَىٰ ، وَيَقْرَؤُونَ القُرْآنَ ، قَالَ : فَذَلِكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ[2] .

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١) و (٣٦٤٢) في العلم باب الحث على طلب العلم ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٦٨٣) و (٢٦٨٤) في العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، كما رواه أحمد في « المسند » ١٩٦/٥ ، وابن ماجه رقم (٢٢٣) في المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، والدارمي رقم (٣٤٩) في المقدمة : باب في فضل العلم والعالم ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٨٠) « موارد » وغيرهم ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦١٧٣) .

(٢) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ١٠٢/١ - ١٠٣ ونسبه للطبراني في « الأوسط » . وحسن إسناده .

البابُ الحادي والعشرون
فيما يجوز من السؤال بالقرآن عند تلاوته في الصلاة وخارجها وما لا يجوز

«الترمذي» عن حذيفة أنه صلى مع النبي ﷺ فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: « سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيم » ، وَفِي سُجُودِهِ « سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ » وَمَا أَتَىٰ عَلَىٰ آيَةِ رَحْمَةٍ إلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ ، وَمَا أَتَىٰ عَلَىٰ آيَةِ عَذَابٍ إلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ[1] . قال : هذا حديث حسن صحيح .

وخرجه ابن ماجه أيضاً عن حذيفة « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ ، وَكَانَ إذا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ اسْتَجَارَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ لله سَبَّحَ »[2] . خرجه مسلم بمعناه عن حذيفة ، وسيأتي في « باب ترتيل القرآن »[3] .

وخرج [4] عن أبي ليلى قال : « صَلَّيْتُ إِلَىٰ جَنْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تَطَوُّعاً ، فَمَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ، وَوَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ »[5] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٢) في الصلاة : باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٣٥١) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في القراءة ، في صلاة الليل . وهو حديث صحيح .

(٣) ص ١٥٤ .

(٤) أي ابن ماجه .

(٥) رواه ابن ماجه رقم (١٣٥٢) في الصلاة : باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل . ورواه أيضاً أبو داود رقم (٨٨١) في الصلاة : باب الدعاء في الصلاة ، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وهو سيء الحفظ فالحديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٤٥٧) .

وروى الترمذي عن عمران بن حصين أنه مر على قارىء يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ» قال: الترمذي حديث حسن[1].

وذكر الحَليمي في كتاب «منهاج الدين»[2] له عن الحسن قال: كنت أمشي مع عمران بن حصين فانتهى إلى رجل يقرأ ﴿سورة يوسف﴾ فجلس إلى جانب حائط ونحن معه، ثم سأل الناس، فقال عمران: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا الله بِهِ، فَإِنَّ بَعْدَكُم أَقْوَاماً يقرؤُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ»[3].

وروي عنه ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ، وَرَجُلٌ يَقْرَؤُهُ لِلَّهِ»[4].

وقال عبد الله بن مسعود: سيجيء على الناس زمان يسئل فيه القرآن، فإذا سألوكم فلا تعطوهم.

وقال ميمون بن مهران: لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسوا به الشف في

«المسند» ٤/٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٩، وهو حديث حسن كما قال الألباني في «الأحاديث الصحيحة» رقم (٢٥٧).

(٢) انظر ترجمة الحليمي والتعريف بكتابه «المنهاج» صفحة ٢٦.

(٣) رواه أحمد في «المسند» ٤/٤٣٦ وهو حديث حسن بشواهده.

(٤) رواه ابن نصر في «قيام الليل» وفي سنده ضعف. وذكره الحافظ في «الفتح» ونسبه لأبي عبيد في «فضائل القرآن» عن أبي سعيد وصححه الحاكم وسكت عليه الحافظ وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة.

الدنيا ـ يعني الربح ـ واطلبوا الدنيا بالدنيا ، والآخرة بالآخرة .

وصلى عبد الله بن مغفل بهم في رمضان ، فلما كان بعد الفطر أرسل إليه عبيد الله بن زياد بخمسمائة درهم وحلة ، فردهما وقال : إنا لا نأخذ على كتاب الله أجراً .

وقال زاذان : من قرأ القرآن ليستأكل به أموال الناس ، جاء يوم القيامة وليس في وجهه لحم .

وروي عن عبد الله بن عمر أنه جاء من المسجد الجامع حتى بلغ أصحاب الدار ، إذا رجل والناس مجتمعون عليه ، فنظر فإذا رجل يقرأ ويسأل الناس ، فالتمس سوطاً فوجده ، ثم أتى الناس فقال : أفرجوا ، فعلا رأسه ضرباً حتى سبقه عدواً ، فقال : يا آل عباد الله ما كنت أرى أني أبقى حتى أرى أحداً يسأل بكتاب الله شيئاً .

قال المؤلف رحمه الله : فلا ينبغي لمن حفظ القرآن أن يسأل به غير الله تعالى .

وكان بعض السلف إذا ختم القرآن يقول : اللهم اغفر لي بالقرآن ، اللهم ارحمني بالقرآن ، اللهم اهدني بالقرآن ، اللهم عافني بالقرآن . وإنما كان هذا ، لأن القرآن كلامه ، فلا ينبغي أن يسأل به غيره . وأكثر من قولك : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الأخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ ﴾ لأن « حسنة » نكرة في سياق الدعاء ، فهو يحتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل ، وحسنة الآخرة : الجنة بإجماع . وقيل : بل لم يرد حسنة واحدة ، بل أراد إعطاءً في الدنيا عطية حسنة ، فحذف الاسم ، وقيل لأنس : ادع الله لنا ، فقال : اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، قالوا : زدنا ، فقال : تزيدون ؟ قد سألت الدنيا والآخرة .

وقد تقدم في الباب الثامن عشر في ختم القرآن كيف الدعاء به والسؤال ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الباب الثاني والعشرون
في الأمر بتعاهد القرآن

« البخاري » قال : نا عبد الله بن يوسف ،قال: نا مالك ، وقال مسلم : حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ »[1] .

وفي « صحيح مسلم »من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر من الزيادة : فَإِذَا قَامَ صَاحِبُ القُرْآنِ فَقَرَأَهُ باللَّيْلِ والنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ »[2] .

وخرج البخاري ومسلم عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « بِئْسَ مَا لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولُ : نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ ، وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّياً[3] مِن صُدُورِ الرِّجَال مِنَ النَّعَمِ[4] بِعُقُلِهَا »[5] .

---

(١) رواه البخاري ٩/٧٠ في فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاهده ، ورواه أيضاً مسلم رقم (٧٨٩) في صلاة المسافرين : باب فضائل القرآن وما يتعلق به ، ومالك في « الموطأ » ١/٢٠٢ في القرآن : باب ما جاء في القرآن ، والنسائي ٢/١٥٤ في الصلاة : باب جامع ما جاء في القرآن . قوله : « معقلة » أي مشدودة بعقال ، أي حبل .

(٢) رواه مسلم رقم (٧٨٩) (٢٢٧) في صلاة المسافرين : باب فضائل القرآن وما يتعلق به .

(٣) أي : تفلتا ، كما في الرواية التي بعده .

(٤) النعم : أصلها : الابل والبقر والغنم . والمراد هنا : الابل خاصة ، لأنها التي تعقل .

(٥) رواه البخاري ٩/٧٠ ـ ٧٢ في فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاهده ، ومسلم رقم (٧٩٠) في صلاة المسافرين : باب الأمر بتعهد القرآن ، والترمذي رقم (٢٩٤٣) في القراءات :باب ومن سورة الحج ،والنسائي ٢/١٥٤في الصلاة :باب جامع ماجاء في القرآن .

وخرجا عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « تَعَاهَدُوا أهل القرآن ،فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا »[1] .

* * *

(١) رواه البخاري ٩/٧٣ في فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاهده ، ومسلم رقم (٧٩١) في صلاة المسافرين : باب فضائل القرآن وما يتعلق به .

الباب الثّالث والعشرون
في تنزل السكينة لقراءة القرآن والأمر بمداومة القرآن لذلك

«مسلم» قال : حدثني يحيى بن يحيى ، قال : أنا أبو خيثمة ، عن أبي إسحاق عن البراء قال : كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ ﴿ سُورَةَ الكَهْفِ ﴾ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ[1] ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ »[2] .

قال : وحدثنا ابن مثنى وابن بشار واللفظ لابن مثنى قالا : نا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : قَرَأَ رَجُلٌ ﴿ الكَهْفَ ﴾ وَفي الدَّارِ دَابَّةٌ ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ فَنظَرَ فَإذَا ضَبابَةٌ ـ أَوْ سَحَابَةٌ ـ قَدْ غَشِيَتْهُ ، قالَ: فذكر ذَلِكَ للنَّبِيِّ ﷺ فقالَ: « اقْرَأْ فُلاَنُ فإنَّها السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ القُرْآنِ ـ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ »[3] .

والرجل هو أسيد بن حضير رضي الله عنه ، جاء في حديث أبي سعيد الخدري رواه مسلم ، قال : حدثني حسن بن علي الحلواني وحجاج بن الشاعر ـ وتقاربا في اللفظ= قالا : نا يعقوب بن ابراهيم ، نا أبي قال : نا يزيد

---

(١) تثنية شطن ، وهو الحبل الطويل المضطرب ، وإنما ربطه بشطنين لقوته وشدته .

(٢) رواه البخاري ٩/٥٢ في فضائل القرآن : باب فضل سورة الكهف ، وفي الأنبياء : باب علامات النبوة في الاسلام ، وفي تفسير سورة الفتح : باب هو الذي أنزل السكينة ، ومسلم رقم (٧٩٥) (٢٤٠) في صلاة المسافرين : باب نزول السكينة لقارىء القرآن ، والترمذي رقم (٢٨٨٧) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل سورة الكهف .

(٣) رواه مسلم رقم (٧٩٥) (٢٤١) في صلاة المسافرين : باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

ابن الهاد أن عبد الله بن خباب حدثه أن أبا سعيد الخدري حدثه أن أُسَيْدَ بنَ حُضَيْرٍ بينما هو ليلة يقرأ في مِرْبَدِهِ إذ جالت فرسُهُ ، فقرأ ، ثم جالت أخرى فقرأ ، ثم جالت أيضاً ، قال أسيد ، فخشيت أن تَطَأَ يحيى فقمتُ إليها ، فإذا هُوَ مثل الظُّلَّةِ فوق رأسي فيها أمثالُ السُّرُجِ عرجت في الجوِّ حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مِرْبَدٍ لي إذ جالت فرسي ، فقال رسول الله ﷺ « اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ » قال : فقرأت ، ثم جالت فرسي أيضاً ، فقال: « اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ»قال: فقرأت، ثم جَالَتْ أيضاً، فقال رسول الله ﷺ«اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ» قال : فانصرفت وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تَطَأَهُ ، فرأيتُ مثل الظُّلَّةِ ، فيها أمثالُ السُّرُجِ عرجت في الجوِّ حتى ما أراها ، فقال رسول الله ﷺ : « تِلْكَ المَلاَئِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاها النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ »[1] خرجه البخاري تعليقاً وفيه : كان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه[2] .

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٧٩٦) في صلاة المسافرين : باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

(٢) ذكره البخاري تعليقاً ٩/٥٦ في فضائل القرآن باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن وقد وصله مسلم كما تقدم .

الباب الرابع والعشرون

فيما لتالي القرآن في الصلاة وخارجها ولمستمعه من الثواب العظيم والأجر الجسيم

قال الليث بن سعد : يقال : ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِيءَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ ﴾ [الاعراف : ٢٤] « ولعل » من الله واجبة [١] .

قال المؤلف رحمه الله ، واذا كان هذا الثواب لمستمع القرآن ، فكيف بتاليه ؟ ! وفي الخبر أنه يدفع عن مستمعه بلوى الدنيا وعن تاليه بلوى الآخرة .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اسْتَمَعَ إلىٰ آيةٍ مِنْ كِتَابِ الله لَهُ ألف حَسَنةٍ مُضَاعَفَةٍ ، وَمَنْ تَلَا آيَةً مِنْ كِتَاب الله تَعَالىٰ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ » خرجه الوائلي أبو نصر من حديث إسماعيل بن عياش عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس . . . فذكره [٢] .

وقال ابن عباس : من سمع آية من كتاب الله تعالى كانت له نوراً يوم القيامة ، ذكره مكي رحمه الله [٣] .

« الترمذي » نا محمد بن بشار ، قال : حدّثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا

---

(١) « الرعاية » لمكي بن أبي طالب القيسي ص ٥٢ ط دار الكتب العربية بدمشق .

(٢) هكذا ذكره المصنف عن ابن عباس في « الإبانة » للوائلي وإسناده ضعيف . ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٣٤١ من حديث عباد بن ميسرة عن الحسن البصري عن أبي هريرة ، وإسناده ضعيف أيضاً .

(٣) في « الرعاية » ص ٥٥ ورواه الدارمي رقم (٣٢٧٠) في فضائل القرآن : باب فضل من استمع إلى القرآن ، بلفظ « من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نوراً »

الضحاكُ بن عثمان عن أيوب بن موسى قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَلاَ أَقُولُ : أَلم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ »[1] .

ويروي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود ، رواه أبو الأحوص عن عبدالله ، ورفعه بعضهم ، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

قال المؤلف رحمه الله : وأنبأنا ابن رواح عن الحافظ السلفي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الفراء الموصلي ، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن الحسن بن الضراب قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا أحمد بن مروان ، قال : ثنا أحمد بن علي ، قال : ثنا ابن خُبيق قال : سمعت يوسف بن أسباط[2] يقول : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ زَوَّجَهُ الله بِكُلِّ حَرْفٍ زَوْجَتَيْنِ مِنَ الْحُورِ الْعِين ، وَلَيْسَ « ألم » حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ[3] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩١٢) في ثواب القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، والدارمي رقم (٣٣١١) في فضائل القرآن : باب فضل من قرأ القرآن ، وهو حديث صحيح .

(٢) هو يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد الواعظ ، قال الذهبي في « الميزان » . وثقه يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال البخاري : دفن كتبه وكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي .

(٣) الشطر الأول منه ، جاء في المرفوع عن عمر بن الخطاب بلفظ : « من قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين » ، رواه الطبراني في « الأوسط » عن شيخه محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس ، قال الذهبي في « الميزان » : تفرد بخبر باطل . . . =

وخرج أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي [1] في الثامن عشر من المواعظ بإسناده عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى منكُمْ بالليل فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِهِ، فإنَّ الْمَلاَئِكَةَ تُصَلِّي بِصَلاَتِهِ، وَيَسْتَمِعُونَ لِقِرَاءَتِهِ، وَإنَّ مُؤْمِني الْجِنِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ في الهَوَاءِ وَجِيرانُهُ مَعَهُ في مَسْكَنِهِ يُصَلُّون بِصَلاتِهِ، ويسْتَمِعُون قِراءتِهِ، وَإنَّـهُ لَيَطْرُدُ بِجهْرِ قِراءَتِهِ عَنْ دَارِهِ والدُّورِ التَّي حَوْلَهُ فُسَّاقَ الجِنِّ وَمَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ، وَإنَّ الْبَيْتَ الَّذي يُقْرأُ فيه القُرْآنِ عَلَيْهِ خَيْمَةٌ مِنْ نُورٍ يَهْتَدِي بِها أَهْلُ السَّماءِ كَمَا تَهْتَدُون بِالكوكَبِ الدُّرِّيِّ في لُجَجِ البِحَارِ، وَفِي الأَرْضِ الْقَفْرِ، وَإذَا مَاتَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ رُفِعَتْ تِلْكَ الخَيْمَةُ فَتَنْظُرُ المَلاَئِكَةُ مِنَ السَّماءِ فَلاَ يَرَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ، قال: فَتَنْعَاهُ المَلاَئِكَةُ مِنْ سَماءٍ إلى سماءٍ، قال: فتُصَلِّي الملائِكَةُ عَلَى رُوْحِهِ في الأَرْوَاحِ، فتَسْتَقْبِلُ المَلاَئكَةُ الحافِظِين الَّذِينَ كانُوا مَعَهُ فَيُعَزُّونَهما، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُ لَهُ المَلاَئِكَةُ إلى يَوْمِ يُبْعَثُ، قال: وَمَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كِتَابَ الله عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يُصَلِّي سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ أَوْصَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الماضِيَةُ الليلة المُسْتَقْبلة لأنَ تَنَبِّهَهُ لِسَاعَتِهِ، وَأَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ خَفِيفَةً، فإذا ماتَ رُفِعَتْ تِلْكَ الخَيْمَةُ، وَكَانَ أَهْلُهُ في جَهَازِهِ، يَجِيءُ - يعني ثواب القُرْآن - في صُوْرَةٍ حَسَنَةٍ جَمِيلَةٍ فيكون وَاقِفاً عِنْدَ رَأْسِهِ حَتَّى يُدْرَجَ في أَكْفَانِهِ، فَيَكُونُ الْقُرْآنُ عَلَى صَدْرِهِ دُون الْكَفَنِ، فإذا وُضِعَ في قَبْرِهِ، وَسُوِّيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ، وَافْتَرَقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، أَتَى مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيُجْلِسَانِهِ في قَبْرِهِ، يَجِيءُ الْقُرْآنُ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُ

= وذكره، وللشطر الأخير منه شاهد في المرفوع كما في حديث عبد الله بن مسعود الصحيح الذي قبله، حديث صحيح. وقد ذكر مكي بن أبي طالب القيسي في الرعاية ص ٥١.

(١) هو نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي أبو الفتح شيخ الشافعية في عصره بالشام، له مؤلفات وتصانيف، توفي رحمه الله سنة ٤٩٠ هـ.

وَبينَهما ، فيَقولاَنِ لَهُ : إلَيْكَ حتَّى نسْأَلَهُ ، فيَقُولُ : كَلَّا وَربِّ الكَعْبَةِ إنَّهُ لَصَاحِبي وَخَلِيلي ، وَلَسْتُ أَخْذُلُهُ على حَال ، فَإنْ كُنْتُما أُمِرْتُما بِشَيْءٍ فَامْضِيَا لما إمِرْتُمَا ، وَدَعَاني مَكَانِي ، فَإنِّي لَسْتُ أُفارِقُهُ إنْ شَاءَ الله تَعالَى ، ثُمَّ يَنْظُرُ الْقُرْآنُ إلى صَاحبه فيَقولُ : اسْكُنْ وَأَبْشِرْ فَأَنْتَ سَتجِدْنِي مِنَ الجِيرانِ جَارَ صِدْقٍ ، وَمِنْ الأَخِلاَّءِ خَليلَ صِدْق ، وَمِنْ الأَصْحَابِ صَاحِبَ صِدْقٍ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فيَقولُ الْقُرْآنُ : أَنَا الَّذي كُنْتَ تَجْهَرُ بِي وَتُخْفِيني ، وَكُنْتَ تُحِبُّنِي ، فأنا حَبِيبُك ، وَمَنْ أَحْبَبْتَهُ أَحَبَّهُ الله ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ بَعْدَ مَسْأَلَةَ مُنْكرٍ ونكِيرٍ مِن غَمٍّ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ ، وَيسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنكِيرٌ ، فَيصْعَدَانِ وَيبْقَى هُوَ وَالقُرْآنُ ، فَيَقولُ لَهُ : لأَفْرُشَنَّكَ فِراشاً لَيِّناً وَلأُدَثِّرَنَّك دِثَاراً حَسَناً جَمِيلاً جَزَاءً لَكَ بِما أَسْهَرْتَ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتَ نَهارَكَ ، قَالَ : فَيَصْعَدُ القُرْآنُ إلىٰ الله كَمرِّ الطَّرْفِ ، فَيسْأَلُ الله عَزَّ وَجلَّ ذَلِكَ لَهُ فَيُعْطِيهِ الله ذَلِكَ لَهُ ، فَيَنْزِلُ بِهِ أَلْفُ مَلَكٍ مِنْ مُقَرَّبي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَيجِيئُهُ الْقُرْآنُ فَيُقولُ : هَلْ اسْتَوْحَشْتَ ؟ مَا زِلْتُ مُذْ فَارَقْتُكَ أَنْ كَلَّمْتُ الله عَزَّ وَجلَّ حَتَّىٰ أَخْرَجْتُ لَكَ مِنْهُ فِراشاً وَدِثاراً وَمِصْباحاً ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِهِ ، فَقُمْ حَتَّى تَفْرُشُكَ المَلاَئِكَةُ ، قال : فَتُنْهِضُهُ الملائكَةُ إنْهاضاً لَيِّناً ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ فِرَاشٌ بَطَائِنُهُ مِنْ حَرِيرٍ أَخْضَرَ ، حَشْوُهُ الْمِسْكُ الأَذْفَرُ ، وَيُوضَعُ لَهُ إبْريقٌ عِنْدَ رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَسِرَاجٌ يَدُومَنَّ إلى يَوْمِ القِيَامَةَ، ثُمَّ تُضْجِعَهُ المَلاَئِكَةُ على شِقِّهِ الأَيْمَنْ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ ، ثُمَّ تَبْتَهِجُ الْمِلاَئِكَةُ في وَجْهِهِ ثُمَّ يُزَوِّدُونَهُ بياسَمِينٍ مِنْ ياسَمِين الجَنَّةِ . وَتَصْعَدُ عَنْهُ وَيَبْقَى هُوَ وَالْقُرآنُ ، فَيأْخُذُ القُرآنُ اليَاسَمِينَ ، فَيَضَعَهُ على أَنْفِهِ غضاً فَيَسْتَنْشِقُ حَتَّى يُبْعَثُ ، وَيرْجِعُ القُرْآنَ إلىٰ أَهْلِهِ فَيأْتِيه بِخَبَرِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ كما يَتَعاهَدُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَلَدَهُ بِالْخَيْرِ ، فَإنْ تَعَلَّمَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ الْقُرآنَ بَشَّرَهُ بِذَلِكِ ، وَإنْ كَنَ

عَقِبُهُ عَقِبَ سُوءٍ دَعَا لَهُمْ بالصَّلاحَ وَالإِقْبالِ »[1] .

وخرج أبو داود الطيالسي في «مسنده» عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافلينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمَائَةِ [آيةٍ] كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ ، وَمَنْ قامَ بِأَلْفِ [آيةٍ] كُتب مِنْ المُقْنِطِرِينَ »[2] .

وروى ابو الدرداء أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قرأَ مَائة آيةٍ في لَيْلَةٍ لم يكتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ مَائَتَيْ آيةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ ، وَمَنْ قَرأَ أَلْفَ آيةٍ إلى خَمْسُمَائَةِ آيةٍ أَصْبَحَ وَلَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الأجر، القِيراطُ مِنْهُ مِثْلَ التَّلِّ العَظِيمِ » ذكره مكي رحمه الله في كتاب « الرعاية لتجويد القرآن » [3] .

وخرج الوائلي عن أبي أمامة قال : « مَنْ قَرَأَ مَائَةَ آيةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ مَائَتَي آيةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلاثْمَائَةَ آيةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَار ، وَمَنْ قَرَأَ سَبْعُمائَةِ آيةٍ فُتِحَ لَهُ . وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيةً كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الأَجْرِ ، القِيرَاطُ مِنْ ذٰلِكَ القِنْطَارُ لَا يَقُومُ بِهِ دُنْيَاكُمْ » [4] .

وخرج من حديث ابن لهيعة عن زبان بن فائد [5] عن سهل بن معاذ عن

---

(١) والله أعلم باسناده بين الشيخ نصر بن ابراهيم وبين ثور بن يزيد ، ثم هو من رواية خالد بن معدان عن معاذ ، وروايته عن معاذ مرسلة ، فالاسناد منقطع .

(٢) تقدم تخريجه ص (٩٢) رقم (٢) .

(٣)ص ٥٤ وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لعبد بن حميد في « تفسيره » وابن جرير وابن نصر والطبراني وابن مردويه . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢/ ٢٦٨ ونسبه للطبراني في « الكبير » وقال : وفيه موسى بن عبيدة الربذي والغالب عليه الضعف .

(٤) ورواه الدارمي مختصرا رقم (٣٤٦٤) في فضائل القرآن باب من قرأ ألف آية ، بلفظ : « من قرأ ألف آية كتب له قنطار من الأجر ، والقيراط من ذلك القنطار لا يفي به دنياكم ، يقول : لا يعدله دنياكم » وإسناده صحيح .

(٥) في المطبوع : زياد بن فائد ، وهو تحريف .

أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ أَلْفُ آيةٍ فِي سَبِيلِ الله كُتِبَ مَعَ النَّبِيينَ وَالصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ إن شَاء الله تَعَالَى »[(١)] .

وخرج أيضاً بإسناده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ مَائة آيةٍ لم يُكْتَبُ مِنَ الغَافِلين ، وَمَنْ قَرَأَ مَائتَيْ آيةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتين ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلاثْمَائَةٍ آيةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ ، وَمْنْ قَرَأَ سَبْعُمَائَةِ آيةٍ فُتح لَهُ » قال : حديث غريب بهذا الإسناد .

وخرج عن فطر[(٢)] عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « يا مَعْشَرَ التُّجَّار ! أَيَعْجَزَ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ مِنْ سُوقِهِ أَنْ يَقْرَأَ عَشْرَ آياتٍ فَيُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ آيةٍ حَسَنَةٌ »[(٣)] .

وخرج ابن شاهين أبو حفص عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ ثَلاثِينَ آيةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلينَ ، وَمَنْ قَرَأَ بِمَائَةِ آيةٍ كُتِبَ لَهُ قُنوتُ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ قَرَأَ بمائتي آيةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ بِأَرْبَعْمَائَةٍ آيةٍ كُتِبَ مِنَ العَابِدِينَ ، وَمَنْ قَرأَ بِسِتْمائَةِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ الخَاشِعِينَ ، وَإِنْ قَرأَ بِثَمَانْمَائةِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ المُحْسِنِينَ ، فَإِنْ قَرأَ بِأَلْفِ آيةٍ أَصْبَحَ وَلَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الأَجْرِ »[(٤)] .

قال ابن شاهين : وحدثنا أحمد بن محمد بن يزيد الزعفراني ، قال :

---

(١) ورواه أحمد في « المسند » ٤٣٧/٣ وإسناده ضعيف .

(٢) وهو فطر بن خليفة القرشي

(٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد» ٢٦٨/٢ بنحوه ونسبه للطبراني في « الكبير » وقال : فيه يحيى بن عقبة بن العيزار وهو ضعيف .

(٤) وخالد بن معدان يروي عن عبادة بن الصامت ، ولم يذكر سماعاً منه ، كما قال الحافظ في « التهذيب » .

حدّثنا علي بن حرب ، قال : حدّثنا حفصَ بن عمر بن حكيم قال : ثنا عمرو بن قيس[1] الملائي عن عطاء،عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرأَ فِي لَيْلَةٍ مَائَةَ آيةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغافِلينَ ، وَمَنْ قَرأَ أَرْبَعْمَائَةِ آيةٍ أَصْبَحَ وَلَهُ قِنطَارُ مِنَ الأجْرِ ، القِنْطَارُ مَائَةُ مِثْقالٍ ، المِثْقَالُ عُشْرُونَ قِيراطاً ، القِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ »[2] .

وروي من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « دَرَجُ الجَنَّةِ عَلَىٰ قَدْرِ آيِ القُرْآن ، لِكُلِّ آيةٍ دَرجَةٌ ، فَتِلْكَ سِتةَ آلافٍ وَمَائتا آيةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ آيةٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ ، فَيَنْتَهِي بِهِ إلىٰ أَعْلَىٰ قِبَّةٍ في عِلِّيينَ ، لَهَا سَبْعُون أَلْفَ رِكْنٍ ، وَهِيَ مِن ياقوتَةٍ تَضِيءُ مَسِيرَةَ أيامٍ وَلَيالٍ » ذكره الميانشي القرشي أبو حفص عمر بن عبد المجيد[3] وابن شاهين أيضاً عن ميمون بن مهران عن ابن عباس ، وزاد : قال : « وتصب عليه حلة الكرامة ، فلولا أنه ينظر إليها برحمة الله لأذهب تلألؤها بنظره »[4] .

وخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) في المطبوع : محمود بن قيس ، وهو تحريف .

(٢) ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » ٢٠٢/٨ بأطول من هذا ، وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ، وزاد نسبته للبيهقي في « شعب الايمان » قال الخطيب : قال الدارقطني : تفرد به علي بن حرب عن حفص بن عمر عن عمرو بن قيس ، وقال الخطيب : قال عبد الله بن عدي : حفص بن عمر لقبه الكَفْر حدث عن عمرو بن قيس الملائي عن عطاء عن ابن عباس أحاديث بواطيل ، وقال الذهبي في « الميزان » : وهّاه ابن حبان .

(٣) هو الإمام المحدث أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي توفي سنة ٥٨١ هـ .

(٤) وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للديلمي في « مسند الفردوس » والله أعلم به .

« يُقالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ يَوْمَ القِيامَةَ إذَا دَخلَ الجَنَّةَ : اقْرَأْ وَاصْعَدْ ، فيَقْرأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرجَةً حتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ »[1] خرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْقِ وَرَتِّلْ كَما كُنْتَ تَرتِّلُ في الدُّنْيا ، فإنَّ مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا »[2] وفي رواية : « فإنَّ مَنْزِلَتِكَ مِنَ الدَّرجَاتِ عِنْدَ آخِرَ ما تَقْرَأُ » ذكره مكي موقوفاً[3] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة ، وليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن[4] . ذكره مكي رحمه الله موقوفاً[5] .

وقال ﷺ : « إنَّ القُرْآنَ لَيَلْقَى صَاحِبهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ فَيَقُولُ : مَا أَعْرِفُكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ الَّذي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِرِ ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنَ وَرَاءِ تِجارَتِهِ اليَوْمَ ، وَإِنِّي مِنَ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارةٍ ، قالَ : فَيُعْطى المُلْكَ بِيَمِينهِ ، والخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، ويوضع عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الوِقَارِ ، وَيُكْسىٰ وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيا ، فَيَقُولانِ : بِمَ كسيتنا هَذا ؟ فَيُقالَ لَهُمَا : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ ، ثُمَّ يُقالُ لَهُ :

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٧٨٠) في الأدب باب ثواب القرآن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/٤٠ ، وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف . وقد صحح الحديث الألباني في « صحيح أبي داود » رقم (١٣١٧) .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٤٦٤) في الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة ، والترمذي رقم (٢٩١٥) في ثواب القرآن : باب رقم ١٧ ، وأحمد في « المسند » ٢/١٩٢ ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٧٨٩) « موارد » ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح أبي داود » رقم (١٣١٧) .

(٣) في الرعاية ص ٥٤ .

(٤) الرعاية ص ٥١ .

(٥) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لابن مردويه ، والله أعلم به .

اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الجَنَّةِ وَغُرَفِهَا ، قالَ : فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَام يَقْرَأُ ، هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتيلًا » ذكر هذا الخبر الحليمي في كتاب « منهاج الدين » له [1] .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارق ، فإن كان يهذُّه أعطي بقدر هذِّه ، وإن كان يرتله أعطي بترتيله .

* * *

(١) وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن الضريس من حديث بريدة .

البابُ الخامس والعشرُون

في ثواب من قرأ القرآن فأعربه

أسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري [1] قال : نا أبي ، قال : نا إبراهيم بن الهيثم ، قال : نا آدم ـ يعني ابن أبي إياس ـ قال : نا أبو الطيب المروزي ، قال ، نا عبد العزيز بن أبي روَّاد عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلَمْ يُعْرِبْهُ ، وكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يَكْتُبُ لَهُ كَمَا أُنْزِلَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشرَ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ أَعْرَبَ بَعْضَهُ وكِّل بِهِ مَلَكَانِ يَكْتِبَانِ بِكُلِّ حَرْفٍ عِشْرِينَ حَسَنَةً ، فإِنْ أَعْرَبَهُ وُكِّلَ بِهِ أَرْبَعَةَ أَمْلَاكٍ يَكْتُبُونَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً » [2] .

وخرج أبو حفص عمر بن شاهين قال : حدّثنا عبد الله بن سليمان ، قال : نا الحسين بن علي بن مهران ، قال : حدّثنا عبد الله بن هارون الغساني عن أبي عصمة عن زيد العمي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ عَلَىٰ أَي حَالٍ قَرَأَهُ ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشرَ حَسَنَاتٍ ، فَإِنْ أَعْرَبَ بَعْضَهُ وَلَحَنَ بَعْضَهُ كتب لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عُشْرُونَ حَسَنَةً ، فَإِنْ أَعْرَبَهُ كُلَّهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَرْبَعُونَ حَسَنَةً » [3] .

---

(١) أي في كتاب « إيضاح الوقف » له .

(٢) ذكره ابن الأنباري في كتاب « إيضاح الوقف » له ١٦/١ طبع المجمع العلمي العربي بدمشق تحقيق الاستاذ محيي الدين رمضان ، وإسناده ضعيف ، فيه أبو الطيب . قال الذهبي : قال ابن معين : أبو الطيب ، كذاب خبيث ، وكان في الحديث كذاباً وقال ابن حبان : يروي عن عبد العزيز بن أبي رواد الأعاجيب ، لا يجوز الاحتجاج به .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لأبي عثمان الصابوني في « المائتين » والبيهقي في « شعب الايمان » .

وخرج أبو نعيم الحافظ قال : ثنا أبو النضر شافع بن محمد بن أبي عوانة ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الفرغاني أخو زعل [١] ، قال : حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن يحيى ، قال : حدثنا مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، إِنْ شَآءَ عَجَّلَهَا لَهُ فِي الدُّنْيا ، وَإِنْ شَآءَ ادَّخَرَها لَهُ فِي الآخِرَةِ » حديث غريب من حديث مالك تفرد به عبد الرحمن [٢] .

وعن الشعبي قال : قال عمر : من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد [٣] .

وقال مكحول : بلغني أن من قرأ القرآن باعراب كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب .

وقال ﷺ : « اعْرِبُوا القُرْآنَ وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ » [٤] .

فصل

قال العلماء : إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن به تقوم معانيه التي هي الشرع .

---

(١) في الأصل المطبوع : رغل بالغين المعجمة .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » ٣٤٩/٦ وفي سنده عبد الرحمن بن يحيى العذري قال الذهبي في « الميزان » : قال العقيلي : مجهول لا يقيم الحديث من جهته .

(٣) رواه ابن الأنباري في كتاب « إيضاح الوقف » ٢٠/١ وفي سنده ضعف وانقطاع فيه عباد بن كثير الثقفي البصري ، وهو متروك ، واسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة وهذه إحداها ، والشعبي لم يدرك عمر رضي الله عنه .

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «التاريخ» ٧٧/٨ و٧٨ وابن الأنباري ١٥/١ من حديث أبي هريرة بلفظ : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » . وفي سنده عبد الله بن سعيد بن كيسان المقبري وهو متروك .

وروى سفيان عن أبي حمزة ، قال : قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية ، قال : أحسنوا ، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ . وقيل له : إن لنا إماماً يلحن ، قال : أَخِّروه .

وكان عمر يضرب ولده على اللحن . وذكر عن ابن مجاهد رحمه الله أنه قال : اللحن لحنان ، لحن جلي ، ولحن خفي ، فاللحن الجلي : لحن الإعراب ، واللحن الخفي : ترك إعطاء الحروف حقوقها من تجويدها عند مخارج الحروف .

قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت غير واحد من الفقهاء يقول : إن الصلاة غير جائزة خلف من لا يمييز بين الضاد والظاء ، ولم يفرق بينهما بمعرفة اللفظ . وذلك على ما حكوه لانقلاب المعنى وفساد المراد على مابيناه في كتابنا في القراءات في باب مخارج الحروف .

وعن ابن أبي مليكة قال : قدم أعرابي في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ ؟ فأقرأه رجل ﴿ براءة ﴾ فقال : إن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برىء الله من رسوله ؟! فإن يكن بريء من رسوله ، فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه ، فقال له : يا أعرابي ! أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟! فقال : يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ، فأقرأني هذا سورة ﴿ براءة ﴾ فقال : إن الله بريء من المشركين ورسولِه ، فقلت : أو قد بريء الله من رسوله ؟! إن يكن الله بريء من رسوله ، فأنا أبرأ منه ، فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي ، قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : ﴿إن الله بريء من المشركين ورسُوله . فقال الأعرابي : أنا أبرأ والله مما بريء منه الله ورسولُه﴾ . فأمر عمر بن الخطاب

رضي الله عنه أن لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية ، وأمر الأسود فوضع النحو[1] .

وقد قيل : إن المعنى في الاعراب تمييز لسان العرب عن لسان العجم ، لأن أكثر كلام العجم مبني على السكون وصلاً وقطعاً ، فلا يتميز الفاعل من المفعول ، والماضي من المستقبل ، فنهي الناس عن أن يقرؤ وا القرآن إلا بلسان العرب ، وإلا كانوا تاركين للإعراب ، فيكون قد شبهوا من هذا الوجه بالأعجمية .

* * *

(١) رواه ابن الأنباري في كتاب « الوقف » ١ / ٣٨ و ٣٩ وفي نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري ص ٥ دون إسناد .

البابُ السّادس والعشرون

في فضل قراءة السر على الجهر والجهر جائز

وروى أبو داود ، والنسائي ، والدارمي ، والترمذي عن عقبة[1] بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الجَاهِرُ بِالقُرْآنِ كالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ ، وَالمُسِرُّ بِالقُرْآنِ كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ » قال الترمذي : حديث حسن غريب[2] .

ومعنى هذا الحديث أن الذي يسر بالقرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن ، لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية ، وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب ، لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه من العجب ما يخاف عليه من العلانية .

قال المؤلف رحمه الله : أحوال الناس في هذا الباب تختلف ، فمن كان ضعيفاً يخاف على نفسه من العجب والرياء ، فالسر له أفضل ، وأما من كان قوياً في دِينه قد استوى عنده المدح وغيره ، وكان إماماً يقتدى به ، فالجهر في حقه أفضل ، اقتداء برسول الله ﷺ .

وقال كريب : سألت ابن عباس عن جهر رسول الله ﷺ بالقراءة بالليل ، قال : كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها لفعل .

وقالت أم هانىء : كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ بالليل وأنا على

---

(٢) في المطبوع : عتبة ، وهو خطأ .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٣٢٣) في الصلاة : باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، والنسائي ٥/٨٠ في الزكاة : باب المسر بالصدقة ، وليس هو عند الدارمي كما ذكر المصنف ، ورواه الترمذي رقم (٢٩٢٠) في ثواب القرآن باب رقم ٢٠ ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/١٥١ و ١٥٨ وابن حبان رقم (٦٥٨) و (١٧٩١) « موارد » ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣١٠٠) .

عريشي[1] .

وقال عبد الله بن قيس ، سألت عائشة رضي الله عنها : كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل ؟ أكان يجهر أو يسر ؟ قالت : كُلًا قد كان يفعل ، ربما جهر وربما أسر ، قلت : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[2] .

وكان أبو هريرة إذا قرأ رفع طوراً وخفض طوراً ، وذكر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك[3] .

قال العلماء : وإنما كان ذلك لأن القراءة إذا طالت ، فالجمع فيها بين الجهر والمخافتة أعون على الدوام ، لأن المسر يمل فيما يسر فيأنس بالجهر ، والجاهر يكل ، فيستريح بالإسرار ، إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر ، وأسر بالأقل ، وإذا قرأ نهاراً أسر بالأكثر وجهر بالأقل ، إذ كان النبي ﷺ يسر بالقراءة ، وربما يسمع الآية والآيتين أحياناً ، ثبت ذلك في « صحيح مسلم»، من حديث أبي قتادة ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ فِي الظُّهْرِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَسُورَةٍ ، وَكَانَ يُطَوِّلُ في الأُولَىٰ ، وَيُقْصِّرُ فِي الثَّانِيَةِ ، وَيُسْمِعْنَا الآيَةَ أَحْيَاناً[4] .

---

(1) رواه أحمد في « المسند » ٣٤٢/٦ و٣٤٣ و٣٥٥ ، والنسائي ٧٨/٢ و١٧٩ في الافتتاح : باب رفع الصوت بالقرآن ، وابن ماجه رقم (١٣٤٩) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ، وإسناده حسن .

(2) رواه أحمد في « المسند » ٧٣/٦ والترمذي رقم (٤٤٩) في الصلاة : باب ما جاء في قراءة الليل ، وإسناده حسن .

(3) رواه أبو داود رقم (١٣٢٨) في الصلاة : باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، وفي سنده زائدة بن نشيط وأبو خالد الوالبي واسمه هرمز ، لم يوثقهما غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات .

(4) رواه مسلم رقم (٤٥١) في الصلاة باب القراءة في الظهر والعصر .

وإذا قرأ بالنهار في بيت أو مسجد أو موضع لا لغوفيه، ولم يكن في صلاة ، رفع صوته بالقراءة ، فإن قرأ بالليل في جمع قد رفعت فيه الأصوات ، وكان يعلم أنه إن جهر لم ينصت له ، فلا ينبغي له أن يقرأ إلا سراً ، والله أعلم .

* * *

البابُ السّابع والعشرون
فيما جاء فيمن تعلم القرآن وعلمه

« البخاري » قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنا علقمة بن مرثد ، قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان بن عفان ، عن النبي ﷺ قال : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »(١) قال : وقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه حتى كان الحجاج(٢) .

قال أبو عبد الرحمن(٣) : وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا(٤) .

خرجه الترمذي أيضاً قال : نا محمود بن غيلان ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة . . . فذكره . وقال : حديث حسن صحيح(٥) .

ورواه من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، عن النبي ﷺ قال : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من جهة عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي(٦) .

---

(١) كذا لأكثر الرواة : « وعلمه » بالواو ، وهي أظهر من حيث المعنى ، وللسرخسي : أو علمه ، وهي للتنويع لا للشك .

(٢) أي :حتى ولي الحجاج على العراق .

(٣)هو السلمي .

(٤) رواه البخاري ٦٧/٩ و٦٨ في فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٩) في ثواب القرآن : باب ما جاء في تعليم القرآن ، ورواه ايضاً أبو داود رقم (١٤٥٢) في الصلاة : باب في ثواب قراءة القرآن ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه الترمذي رقم (٢٩٠١) في ثواب القرآن : باب ما جاء في تعليم القرآن وهو حديث صحيح بشواهده .

وفي البخاري أيضاً ، عن عثمان ، عن النبي ﷺ : « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »(١) صححه الترمذي(٢) .

قال المؤلف رحمه الله : وأنبأ ابن رواح(٣) إجازةً عن الحافظ السلفي قال : نا القاضي أبو عمرو مسعود بن علي بن الحسين الملحي بأردبيل قال : نا أبو علي محمد بن وشاح بن عبيد الله الكاتب ببغداد ، أنا أبو القاسم عيسى ابن علي بن داود الجراح الوزير ، قال : نا أبو عبيد علي بن حسين بن حرب القاضي ، قال : أخبرنا زكريا بن يحيى الكوفي(٤) ثنا عبد الله بن صالح اليماني ، قال : ثنا أبو همام القرشي ، عن سليمان بن المغيرة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلِّمِ النَّاسَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمْهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ وَأَنْتَ كَذَلِكَ ، زَارَتِ المَلائِكَةُ قَبْرَكَ كَمَا يُزَارُ البَيْتَ العَتِيقِ ، وَعَلِّمِ النَّاسَ سُنَّتِي وَإِنْ كَرِهُوا ذَلِكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تُوقَفْ عَلَى الصِّراطِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى تَدْخُلَ الجَنَّةَ ، فَلَا تُحْدِثْ فِي دِينِ الله حَدَثاً بِرَأْيِكَ »(٦) .

---

(١) رواه البخاري ٩/٦٨ و٦٩ في فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩١٠) في ثواب القرآن : باب ما جاء في تعليم القرآن وهو حديث صحيح . وفي الحديث الحث على تعليم القرآن .

(٣) في المطبوع : ابن رواج بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف ، وهو عبد الوهاب بن رواح ، أحد الذين أخذوا عن السلفي وسمعوا منه ، كما في « تذكرة الحفاظ » للذهبي .

(٤) هو أبو السكين الطائي ، كما في « تاريخ بغداد » .

(٥) في « تاريخ بغداد » : عن طاوس ، بدل « طارق بن شهاب » وهو الصواب ، وقد وهم فيه الحافظ السلفي ، فقال : عن طارق بن شهاب .

(٦) ارواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » ٤/ ٣٨٠ وهو حديث ضعيف .

فصـــل

قال العلماء : تعليم القرآن أفضل الأعمال ، لأن فيه إعانةً على الدين ، فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم .

وإنما استنقص الناس المعلِّمين لمعنيين :

أحدهما : أنهم يقصرون زمانهم على معاشرة الصبيان الذين لا عقول لهم، فيؤثر ذلك على تطاول الأيام في عقولهم ، كما يزاد عقل من عاشر الحكماء . وأبو عبد الرحمن السلمي وأشباهه لم يكونوا بهذه الصفة ، وإنما كانوا يلقن الواحد بعد الواحد آيات فيأخذها وينصرف ، ثم يجالس الكبراء ويستفيد منهم .

والوجه الآخر : ما يجري منهم من الأطماع الكاذبة ، وأخذ الأشياء من الصبيان ، فلم يوقروا لوجود الشره منهم ، ومن استحقر معلماً لأجل تعليمه خيف عليه ، وقد بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ليعلم النبي ﷺ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى ﴾ [النجم : ٥] وما تعلمه أول من تعلمه من الأمة إلا من النبي ﷺ وقد كان الأولون الذين ذكرنا أنهم كانوا يعلمون القرآن بمعزل عن هذه الرذائل ، فلذلك استحقوا المدح .

حديث عن حمزة رضي الله عنه (١)

وروى مجاهد عن الزبير قال : دخلت على حمزة بن حبيب الزيات ،

---

(١) أبو عمارة الكوفي أحد القراء السبعة (٨٠ ـ ١٥٦هـ) قال الثوري : واقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلّا بأثر ، ترجمته في التهذيب ٣/ ٢٧ وطبقات القراء لابن الجزري ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٤ .

قال محمد بن جرير الطبري في تفسيره ٢٢ / ٩٧ : اختلف القراء في قراءة قوله ﴿ تنزل العزيز الرحيم﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ﴿تنزيل العزيز﴾ برفع تنزيل، والرفع في ذلك يتجه من وجهين :

أحدهما : بأن يجعل خبراً فيكون معنى الكلام : أنه تنزيل العزيز الرحيم .

والأخر : بالابتداء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : انك لمن المرسلين . هذا تنزيل العزيز الرحيم

فوجدته يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : فكيف لا أبكي وقد رأيت ربي تبارك وتعالى الليلة في منامي كأني قد عرضت على الله تعالى ، فقال لي : يا حمزة ! اقرأ القرآن كما علمتك ، فوثبت قائماً ، فقال لي : يا حمزة اجلس فإني أحب أهل القرآن ، ثم قال لي : اقرأ ، فقرأت حتى بلغت سورة ﴿ طه ﴾ فقرأت : ﴿ بالوَادِ المقدَّسِ طُوى* وأنا اخترتُكَ ﴾ [طه : ١٣ - ١٤] فقال لي : يا حمزة بيِّن ، فقال : طوى وأنَّا اخترناك ، ثم قال لي : اقرأ : فقرأت حتى بلغت سورة ﴿ يسٓ ﴾ فأردت أن أغطي ، فقلت : ﴿ تَنْزِيلُ العَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾(٢) فقال جل وعز : قل ﴿ تنزيلَ العزيز الرحيم ﴾ يا حمزة كذا قرأت ، وكذا أقرأت حملة عرشي ، وكذلك يقرأ المقرئون ، ثم دعا بسوار فسورني ، وقال جل وعز : هذا بقراءتك الناس ، ثم دعا بمنطقة فمنطقني ، فقال جل وعز : هذا بصومك النهار ، ثم دعا بتاج فتوجني ، ثم قال جل وعز : هذا بإقرائك الناس ، يا حمزة ! لا تدع ﴿ تنزيلَ ﴾ فإني أنزلت تنزيلَ ، أفتلومني على أن أبكي ؟!

ويقال : إن حمزة هذا كان ورعاً زاهداً ، لم يوصف أحد من القراء السبعة بما وصف به حمزة رحمه الله من الزهد والتحرز عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، لأنه روى الحديث الذي فيه التغليظ في أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، فتمذهب به رحمه الله ، وسيأتي .

«مسلم» عن عقبة بن عامر قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة

وقراءة عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام تنزيل نصباً على المصدر من قوله ﴿إنك لمن الرسلين﴾ لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل فكانه قيل لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقاً والصواب من القول عندي : أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب .

فقال : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ ـ أو إلى العَقِيقِ ـ فيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاْئَتَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةَ رَحِمٍ » ؟ فقلنا : يا رسول الله ! كلنا يحب ذلك، قال : « أفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ المَسْجِدِ فيَتَعَلَّمَ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِن ثَلَاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ »(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ذُكِرَ رجل عند رسول الله ﷺ بخير ، فقال : « أَوَلَمْ تَرَوْهُ يَتَعَلَّمَ القُرْآنَ »(٢) ؟ .

وروى يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ عَلَّمَ وَلَدَهُ القُرْآنَ قَلَّدَهُ الله بِقِلَادَةٍ يَعْجَبُ مِنْهَا الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ مِنْ حُسْنِهَا »(٣) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٣) في صلاة المسافرين : باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه وأبو داود رقم (١٤٥٦) في الوتر : باب في ثواب قراءة القرآن ، وأحمد في المسند » ٤/١٥٤ . والكوماء من الإبل : العظيمة السنام .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٦/٦٦ وفي سنده ابن لهيعة ، وهو ضعيف .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لأبي نعيم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

البابُ الثامن والعشرُون
في دفع البلاء بتعلم القرآن

وذكر أبو محمد الدارمي في « مسنده » قال : نا مروان بن محمد قال : أخبرنا رفدة الغساني ، قال : أخبرني ثابت بن عجلان الأنصاري قال : كان يقال : إن الله تعالى ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة ، صرف ذلك عنهم .

قال مروان : يعني بالحكمة : القرآن [1] .

وفي الخبر عن حذيفة مرفوعاً قال النبي ﷺ : « إنَّ القَوْمَ لَيَبْعَثُ الله عَلَيْهِمُ العَذَابَ حَتْماً مَقْضِياً ، فَيَقُولُ صَبِيٌّ مِنْ صُبْيانِهِمْ في الكُتَّاب : الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ، فَيَسْمَعُهُ الله تَعالَىٰ ، فَيَرْفَعُ عَنْهُمْ بِذَلْكَ العَذَابَ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قال المؤلف رحمه الله : ومن هذا المعنى ما ذكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت الحافظ [2] عن عيسى بن أبي فاطمة الرازي قال : سمعت مالك بن أنس يقول : إذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن ، فتنزل الملائكة فيأخذون بأطراف الأرض ، ولا يزالون يقرؤ ون ﴿ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ﴾ حتى يسكن غضبه سبحانه وتعالى [3] .

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٣٤٨) في فضائل القرآن: باب في تعاهد القرآن، في اسناده ضعف .

(٢) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بـ الخطيب البغدادي ، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين (٣٩٢ ـ ٤٦٢ هـ) له مؤلفات كثيرة رحمه الله .

(٣) وذكره السيوطي في « الدر المنثور» ٤١٣/٦ ونسبه للطبراني من طريق أبي بكر البردعي ، حدّثنا أبو زرعة ، وأبو حاتم قالا : حدّثنا عيسى بن أبي فاطمة ، رازي ثقة ، قال مالك بن أنس فذكره وفي الدر : أنس بن مالك وهو خطأ .

الباب التاسع والعشرون

في أخذ الأجرة على تعليم القرآن

اختلف العلماء في أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعلمه ، فمنع ذلك الزهري ، وأبو حنيفة وأصحابه ، وقالوا : لا يجوز أخذ الأجرة على ذلك ، لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها إلى نية التقرب والإخلاص ، فلا يؤخذ عليها أجرة ، كالصلاة والصيام .

واحتجوا من الأثر بما روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « مُعَلِّمُوا صُبْيَانِكُمْ شِرَارُكُمْ أَقَلُّهُم رَحْمَةً بِاليَتِيمِ وَأَغْلَظُهُمْ عَلَىٰ المِسْكِينِ »[١] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ما تقول في المعلمين ؟ قال : « دِرْهَمُهُمْ حَرَامٌ ، وَثَوابُهُمْ سُحْتٌ ، وَكَلَامُهُمْ رِياءٌ »[٢] .

وروى عبادة بن الصامت قال : علمت ناساً من أهل الصفَّة القرآن والكتابة ، فأهدى إليَّ رجل منهم قوساً ، فقلت : ليس بمال وأرمي بها في سبيل الله ، فسألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « إنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقاً مِنْ نَارٍ فاقْبَلْهَا »[٣] .

فصل

وأجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن : مالك ، والشافعي ، وأحمد ،

---

(١) ذكره العجلوني في « كشف الخفاء » في جملة حديث (١٥٤٣) وقال: قال في « اللآليء » : موضوع . وقال العجلوني : ويشهد لوضعه ما رواه البخاري والترمذي : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

(٢) وهو حديث لا أصل له ، كما سيذكر ذلك المؤلف بعد قليل .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٣١٥/٥ وأبو داود رقم (٣٤١٦) في البيوع والإجارة : باب في كسب المعلم ، وفي سنده الأسود بن ثعلبة ، وهو مجهول والمغيرة بن زياد الموصلي وهاه ابن حبان ، وقال الإمام أحمد : ضعيف الحديث ، حدث بأحاديث مناكير ، وكل حديث رفعه فهو منكر .

وأبو ثور ، وأكثر العلماء ، لقوله ﷺ في حديث ابن عباس في حديث الرقية : « إن أَحَقَّ ما أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْراً كِتَابَ الله » . خرجه البخاري ، وسيأتي ، وهو نص يرفع الخلاف ينبغي أن يعول عليه .

وأما ما احتج به المخالف من القياس على الصلاة والصيام ، ففاسد ، لأنه في مقابلة النص ، ثم إن بينهما فرقاناً وهو أن الصلاة والصيام عبادة مختصة بالعامل ، وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلِّم ، فتجوز الأجرة على محاولة النقل ، كتعليم كتابة القرآن .

قال ابن المنذر وأبو حنيفة : يكره تعليم القرآن بالأجرة ، ويجوز أن يستأجر الرجل ، يكتب له لوحاً أو شعراً أو غناءً معلوماً بأجر معلوم ، فتجوز الأجرة فيما هو معصية ، ويبطلها فيما هو طاعة !!

وأما الأحاديث ، فليس يصح منها شيء عند أهل العلم بالحديث ،

أما حديث ابن عباس ، فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة ، وسعيد متروك .

وأما حديث أبي هريرة ، فرواه علي بن عاصم عن حماد بن سلمة عن أبي جرهم ، وأبو جرهم مجهول لا يعرف ، ولم يرو حماد بن سلمة عن أحد يقال له : أبو جرهم ، وإنما رواه عن أبي المهزم ، وهو متروك أيضاً ، وهو حديث لا أصل له .

وأما حديث عبادة بن الصامت ، فرواه أبو داود من حديث المغيرة بن زياد الموصلي عن عبادة بن نسي عن الأسود بن ثعلبة عنه ، والمغيرة معروف بحمل العلم ، ولكن له مناكير هذا منها ، قاله أبو عمر بن عبد البر ، ثم قال : وأما حديث القوس ، فمعروف عند أهل العلم ، لكنه عن عبادة من وجهين ، وروي عن أُبيٍّ بن كعب من حديث موسى بن علي عن أبيه عن أُبيٍّ ، وهو منقطع ، وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل ،

وحديث عبادة وأُبي يحتمل التأويل ، لأنه جائز أن يكون علَّمه لله ثم أخذ عليه أجراً ، والله أعلم .

وروي عن أُبيًّ بن كعب أنه كان يختلف إلى رجل بالمدينة فيقرئه القرآن ، فإذا فرغ من قراءته يومه ذلك دعا له بطعام فجال في نفسه منه شيء ، فأتى رسول الله ﷺ ، فسأله فقال : « إنْ كَانَ ذَلِكَ طَعَامُهُ الذِي يَأْكُلُ وَيَأْكُلُ أَهْلُهُ فَكُلْهُ ، وإن كَانَ ذَلِكَ طَعَاماً يَخُصَّكَ بِهِ فَلاَ تَأْكُلْ » ذكره الحليمي في كتاب « منهاج الدين » له وقال : يكون معناه : إن كان ذلك طعامه الذي يأكله ويأكله أهله فكل ، فإنه شيء أخرجه من قلبه بأن يؤكل ، وإنما أنت كأحد الأضياف ، وإن كان طعاماً يخصك به ، فلا تأكل ، لأنه يكون ألزم نفسه زيادة مؤونة ، فيتحملها استحياءً منه ، فيخصه به ، وليس هو على جهة التحريم ، بل هو مكروه ، والله أعلم .

* * *

البابُ الموفي ثلاثين

في إضاءة البيت الذي يقرأ فيه القرآن وكثرة خيره

« الطبري »قال ثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : حدّثنا عبد الوارث ابن سعيد ، قال : ثنا ليث بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : أكثروا تلاوة القرآن في بيوتكم ، فإن البيت الذي يذكر فيه الله أو إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن ، ليتسع على أهله ، ويكثر خيره ، وتحضره الملائكة ، ويدحر عنه الشيطان [١] .

وكان يقول : أعمروا بيوتكم بذكر الله ، ولا تتخذوها قبوراً كما اتخذت اليهود والنصارى بيوتهم ، واجعلوا لها مِن صلاتكم جزءاً ، فإن البيت الذي يذكر الله فيه يضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض .

قال : وحدّثني أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو ، قال : حدّثني نائل بن نجيح الحنفي ، قال : حدّثني قطبة الكناني ، عن الحسن بن عمارة ، عن طلحة بن عبد الرحمن بن سابط ، عن النبي ﷺ قال :«نَوِّروا بُيُوتَكُمْ بِذِكْرِ الله ، وَاجْعَلُوا لِبُيُوتِكُمْ مِن صَلَاتِكُمْ جِزْءاً ، وَلَا تَتَّخِذُوها قُبُوراً كَما اتَّخَذَها اليَهُودَ والنَّصَارَى ، فَإِنَّ البَيْتَ الَّذي يُذْكَرُ الله فِيهِ لَيُنِيرُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُنِير النُّجُومُ لِأَهْلِ الأَرْضِ »[٢] .

قال المؤلف رحمه الله : وهذان الحديثان وإن كان في إسنادهما مقال فهما يستندان من وجه صحيح .

وروى مسلم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب ، قالا : ثنا

---

(١) وهو موقوف ، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف .

(٢) فيه الحسن بن عمارة وهو متروك .

أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا قَضىٰ أَحَدُكُمْ الصَّلاةَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيباً مِنْ صَلَاتِهِ ، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِن صَلَاتِهِ خَيْراً »[1] .

قال : وحدّثنا عبد الله بن برَّاد[2] الأشعري ومحمد بن العلاء قالا : ثنا أبو أسامة عن بريد[3] عن أبي بردة[4] ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ الله فِيهِ ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ الله فِيهِ ، مَثَل الحَيِّ وَالميِّتِ[5] » .

وقال : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، قال : ثنا يعقوب وهو ابن عبد الرحمن القاري ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفِرُّ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ البَقَرَةِ »[6] .

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٧٨) في صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ، وابن ماجه رقم (١٣٧٦) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في التطوع في البيت ، وأحمد في « المسند » ٣/٥٩ و٣١٦ .

(٢) في المطبوع : عبد الله بن تراد ، وهو تصحيف .

(٣) في المطبوع : بريدة ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

(٤) في المطبوع ، عن أبي بريدة ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

(٥) رواه مسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين : باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ، ورواه البخاري ١١/١٧٥ و١٧٦ في الدعوات : باب فضل ذكر اللّـه عز وجل بلفظ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه . . » .

(٦) رواه مسلم رقم (٧٨٠) في صلاة المسافرين : باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ، والترمذي رقم (٢٨٨٠) في فضائل القرآن : باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

الباب الحادي والثلاثون

في ترتيل القراءة والترسل فيها والانكار على من خالف ذلك وجوازه

قال الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرتيلاً ﴾ [المزمل : ٤] وقالت حفصة رضي الله عنها : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّىٰ تَكُونَ أَطْوَلَ مَنْ أَطْوَلِ مِنْهَا » (١) .

«البخاري» قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا جرير بن حازم (٢) الأزدي ، قال : ثنا قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ ، فقال : كَانَ يَمُدُّ مَدّاً .

حدّثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، قال : سئل أنس بن مالك : كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟ فقال : كانَتْ مَدّاً ، ثُمَّ قرأَ ﴿ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ بِسْمِ الله ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ (٣) .

وروى الترمذي عن أم سلمة قالت : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ ، فَيَقُولُ : ﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ ، ثُمَّ يَقِفُ ، ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ثُمَّ يَقِفُ وكان يَقْرؤُها ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ . قال أبو عيسى : هذا حديث

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٣٣) في صلاة المسافرين : باب جواز النافلة قائماً وقاعداً و«الموطأ» ١٣٨/١ في الجماعة : باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٧٣) في الصلاة : باب ما جاء في الرجل يتطوع جالساً ، والنسائي ٣/ ٢٢٣ في قيام الليل : باب صلاة القاعد في النافلة .

(٢) في المطبوع : حريز بن حازم ، وهو تصحيف .

(٣) رواه البخاري ٩/ ٧٩ في فضائل القرآن : باب حد القراءة .

غريب (١) .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قول أم سلمة : كان يقطِّع قراءته : يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه عليه السلام من القرآن ، وإنما ذكرت ﴿فاتحة الكتاب﴾ لتبين صفة التقطيع ، أو لأنها أم القرآن ، فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها ، كما تَغني قراءتها في الصلاة عن قراءة غيرها ، لجواز الصلاة بها ، والا فالتقطيع عام لجميع القراءة ، لظاهر الحديث .

وتقطيع القراءة آية آية أولى عندنا من تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها ، لحديث أم سلمة رضي الله عنها .

وفي حديث مسلم عن حذيفة قال صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ ﴿ البَقَرَةَ ﴾ فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ المِائَةِ ، ثُمَّ مَضَىٰ ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي ركعة، فَمَضَىٰ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ ﴿ النِّساءَ ﴾ فقرأها ، ثُمَّ افْتَتَحَ ﴿ آل عِمْرَانَ ﴾ فَقَرَأَهَا ، يَقْرأُ مترسلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيح سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بَتَعَوَّذَ ، تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ [فَجَعَلَ] يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيمِ » ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيامِهِ ، ثمَّ قَالَ : « سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قريباً مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : «سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ » فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ .

وفي الحديث [جرير] من الزيادة : فَقَالَ : « سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنا لَكَ الحَمْدُ » (٢) .

---

(١) أبو داود رقم (٤٠٠١) والترمذي رقم (٢٩٢٨) وأحمد ٦/٣٠٢ والحاكم ٢/٢٣١ ـ ٢٣٢) وهو حديث صحيح كما قال الألباني في «الإرواء» رقم (٣٤٣).

(٢) رواه مسلم رقم (٧٧٢) في صلاة المسافرين : باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، ورواه أيضاً مطولاً ومختصراً وأبو داود رقم (٨٧١) و(٨٧٤) في الصلاة : باب ما يقوله =

وخرج الوائلي أبو نصر ، عن مسلم بن مخراق ، قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً ، فقالت : أولئك يقرؤ ون ، ولم يقرؤ وا [1] ، كنت أقوم مع النبي ﷺ في الليل التمام ، فيقرأ ﴿ البقرة ﴾ و ﴿ آل عمران ﴾ و﴿ النساء ﴾ فلا يمر بآية فيها دعاء واستبشار إلا دعا ورغب ، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ [2] .

وفي « صحيح مسلم » عن شقيق قال : جاء رجل من بني بجيلة يقال له : نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال : إني أقرأ المفصل في ركعة ؟ فقال عبد الله : هذّاً كهذِّ الشعر [3] . الهذُّ : متابعة القرآن في سرعة .

واختلفوا في أول المفصل ، فقال بعضهم : أوله سورة ﴿ القتال ﴾ ، وقال آخرون : أوله سورة ﴿ قاف ﴾ ، وروي ذلك في حديث مرفوع .

وسمي قصار المفصل مفصلاً لكثرة الفصول فيها ، لقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن سورتين في كل ركعة [4] .

في رواية قال : فذكر عشرين سورة من المفصل ، سورتين في ركعة [5] .

= الرجل في ركوعه وسجوده ، والنسائي ٢/١٧٦ و١٧٧ في الافتتاح : باب تعوذ القارىء إذا مر بآية عذاب ، وأحمد في « المسند » ٥/٣٨٤ و٣٩٧ .

في المطبوع : « أولئك يقرؤ وا ولم يقرؤ ون »، وهو خطأ ، وفي « مسند أحمد : « أولئك قرؤ وا ولم يقرؤ وا » .

(٢) ورواه أحمد في « المسند » ٦/١١٩ ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه مسلم رقم (٨٢٢) في صلاة المسافرين : باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ . ورواه البخاري أيضاً ٢/٢١٤ و٢١٥ في صفة الصلاة : باب الجمع بين السورتين في ركعة ، وأحمد في « المسند » ١/٣٨٠ .

(٤) رواه مسلم رقم (٨٢٢) في صلاة المسافرين : باب ترتيب القراءة واجتناب الهذ .

(٥) رواه البخاري ٢/٢١٤ و٢١٥ في صفة الصلاة : باب الجمع بين السورتين في ركعة ومسلم رقم (٨٢٢) في صلاة المسافرين : باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ .

وخرج أبو داود ، عن علقمة والأسود قالا : أتى ابن مسعود رجل فقال : إني أقرأ المفصل في ركعة ، فقال : هذًّا كَهَذِّ الشِّعر ، ونثراً كنثر الدَّقل ؟ لكن رسول الله ﷺ كان يقرأ النظائر والسورتين في ركعة ، ﴿ الرحمن ﴾ و﴿النجم ﴾ في ركعة ، و﴿ إذا وقعت ﴾ و﴿نون ﴾ في ركعة ، و﴿ سأل سائل ﴾ و﴿ النازعات ﴾ في ركعة ، و﴿ عم يتساءلون ﴾ و﴿ المرسلات ﴾ في ركعة ، و﴿ الدخان ﴾ و﴿ اذا الشمس كورت ﴾ في ركعة [1] .

قال أبو داود: هذا تأليف عبد الله [2] .

قال المؤلف رحمه الله : النظائر والقرائن هي السور المتقاربة في المقدار ، وقد جاء عددها في « صحيح مسلم » ثمان عشرة [3] كما ذكر أبو داود في رواية : عشرين [4] وقد زاد أبو داود في رواية ابن الأعرابي : و ﴿المدثر﴾ و ﴿المنزمل﴾ فكملت عشرون .

وروى الوائلي ، عن ابراهيم ، عن نهيك بن سنان عن عبد الله قال : لقد علمت النظائر التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ فذكر ﴿النجم﴾ و﴿الرحمن﴾ و ﴿الدخان﴾ و ﴿عم يتساءلون﴾ .

وروي عن شقيق عن أبي وائل قال : قال عبد الله : لقد علمت النظائر التي كان يصلي بهن رسول الله ﷺ ﴿الذاريات﴾ و﴿الطور﴾ و﴿النجم﴾ و﴿اقتربت الساعة﴾ و﴿الرحمن﴾ و﴿الواقعة و﴿ن والقلم﴾ و ﴿الحاقة﴾ و﴿سأل

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٣٩٦) في الصلاة : باب تحزيب القرآن وأحمد في « المسند » ٤١٧/١ و٤٢٧ و٤٣٦ وهو حديث صحيح .

(٢) يعني ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم (٨٢٢) في صلاة المسافرين : باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ .

(٤) انظر الحديث في سننه رقم (١٣٩٦) بتمامه في الصلاة : باب تحزيب القرآن .

سائل﴾ و﴿المزمل﴾ و﴿المدثر﴾ و﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ و﴿هل أتى على الانسان﴾ و﴿المرسلات﴾ و﴿عم يتساءلون﴾ و﴿النازعات﴾ و﴿عبس﴾ و﴿ويل للمطففين﴾ و﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿حم الدخان﴾ .

قال المؤلف رحمه الله : ولا بُعد في شيء مما ذكرنا ، لأنه يحتمل أن يكون ﷺ قرن في وقت بين ثماني عشرة،وفي أخرى بين عشرين،وفي وقت بين سورتين كما ذكر أبو داود ، وفي وقت آخر ، قرن بين سورتين غير التي قرن بهما في الوقت الآخر ، كما ذكر الوائلي ، فتتفق الروايات ولا تتضاد ، والحمد لله .

وذكر ابن مسعود النظائر رداً على من قرأ المفصل في ركعة واحدة وهذَّ في قراءته .

وأكثر العلماء يستحبون الترتيل في القراءة ليتدبره القارىء ويفهم معانيه .

وروى ابن القاسم ، وابن وهب ، عن مالك في الهذِّ في القراءة فقال : من الناس من إذا هذَّ كان أخف عليه ، وإذا رتل أخطأ ، ومن الناس من لا يحسن هذا،والناس في هذا على قدر درجاتهم وما يخف عليهم ، وكل واسع .

وقد روي عن جماعة من السلف : أنهم كانوا يختمون القرآن في ركعة ، وهذا لا يمكن إلا بالهذِّ ، والله أعلم .

* * *

البابُ الثّاني والثَّلاثون

في حسن الصوت بالقرآن وترك الترجيع والتطريب فيه وما للعلماء في ذلك

ابن ماجه : قال : حدثنا بشر بن معاذ الضرير ، قال : ثنا عبد الله بن جعفر المدني ، قال : ثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتاً مَنْ إذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَىٰ الله تَعَالَىٰ »(١) .

قال : وحدثنا راشد بن سعيد الرملي(٢) قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، عن ميسرة مولى فضالة ، عن فضالة بن عبيد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أَشَدُّ أُذَناً إِلَىٰ الرَّجُلِ الحَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ ، مِن صَاحِبِ القَيْنَةِ إِلَىٰ قَيْنَتِهِ »(٣) .

وقال : حدثنا محمد بن رمح ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد ،

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٣٣٩) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، وإسناده ضعيف ، لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، والرواي عنه وقد صححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٩٨) .

(٢) في المطبوع : راشد بن سعيد البرمكي ، وهو تحريف ، والتصحيح من « سنن ابن ماجه » وكتب الرجال .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٣٤٠) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٩/٦ و٢٠ ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٦٥٩) « موارد » ، وإسناده حسن كما قال البوصيري في « الزوائد » .

فسمع قراءة رجل فقال : « مَنْ هٰذَا » ؟ فقيل : هذا عبد الله بن قيس ، فقال : « لَقَدْ أُوتِيَ هٰذَا مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ »[1] خرجه مسلم ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ عبدَ الله بنَ قَيْسٍ - أو الأَشْعَرِي - أُعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » كذا جاء في هذه الرواية على الشك . وفي رواية عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ لأبي موسى : « لَوْ رَأَيْتَني وَأَنا أَسْمَعُ لِقِرَاءَتِكِ البارِحَةِ ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْماراً مِن مَزَامِير آلِ داوُدَ »[2] وخرجه البخاري أيضاً[3] .

واختلف العلماء في التطريب في القراءة والترجيع فيها ، فمنع من ذلك وأنكره : مالك بن أنس ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والقاسم بن محمد ، والحسن ، وابن سيرين ، والنخعي وغيرهم ، وكرهه أحمد بن حنبل كما كرهه مالك رحمهم الله .

وأجاز ذلك طائفة منهم : أبو حنيفة وأصحابه ، والشافعي وأصحابه ، وابن المبارك ، والنضر بن شميل ، واختاره الطبري وابن العربي وغيرهما . واحتجوا بقوله ﷺ : « زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » رواه البراء بن عازب . أخرجه

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٣٤١) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، ورواه ايضاً أحمد في « المسند » ٢ / ٣٦٩ و ٤٥٠ والدرامي رقم (٣٥٠٢) في فضائل القرآن ، باب التغني بالقرآن ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم رقم (٧٩٣) في صلاة المسافرين : باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، والدارمي رقم (٣٥٠١) .

(٣) رواه البخاري ٨١/٩ في فضائل القرآن : باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ورواه أيضاً أحمد في « المنسد » ٣٤٩/٥ والنسائي ١٨٠/٢ في افتتاح الصلاة باب تزيين الصوت بالقراءة ، والدارمي رقم (٣٤٩٥) في فضائل القرآن : باب التغني بالقرآن ، والترمذي رقم (٣٨٥٤) في المناقب : باب مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

أبو داود والنسائي وابن ماجه[1] .

وبقوله ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ » أخرجه مسلم[2] .

وبقول أبي موسى للنبي ﷺ : « لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لِكَ تَحْبِيراً »[3] .

وبما رواه عبد الله بن مغفَّل قال : قرأ النبي ﷺ عام الفتح في مسير له سورة ﴿ الفتح ﴾ على راحلته ، فرَّجع في قراءته[4] .

قال المؤلف رحمه الله : والقول الأول أصح إن شاء الله تعالى .

بيانه : ما روي عن زياد النميري أنه جاء مع القرَّاء إلى أنس بن مالك ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٤٦٨) في الصلاة : باب استحباب الترتيل في القراءة ، والنسائي ٢ / ١٨٠ في افتتاح الصلاة : باب تزيين القرآن بالصوت ، وابن ماجه رقم (١٣٤٢) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/٢٨٣ و٢٨٥ و٢٩٦ و٣٠٤ ، والدارمي رقم (٣٥٠٣) في فضائل القرآن : باب التغني بالقرآن ، وإسناده صحيح ، وذكره البخاري تعليقاً ١٣/٤٣٢ في التوحيد باب الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم ، قال الحافظ في « الفتح » : وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» وهوبرقم(٦٦٠) « موارد » وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه ابن حبان في « صحيحه » وعن ابن عباس أخرجه الدارقطني في « الأفراد » بسند حسن ، وعن عبد الرحمن بن عوف أخرجه البزار بسند ضعيف .

(٢) ليس هو عند مسلم كما ذكر المصنف ، وهو عند البخاري ١٣/٤١٨ في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ﴾ من حديث أبي هريرة ، ورواه أحمد في « المسند » ١/١٧٢ و١٧٥ و١٧٩ ، وأبو داود رقم (١٤٦٩) في الصلاة : باب استحباب الترتيل في القراءة ، والدارمي رقم (٣٤٩١) في فضائل القرآن : باب التغني بالقرآن من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣) قال الحافظ في «الفتح» : أخرجه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه وسكت عليه .

(٤) رواه البخاري ٩/ ٨٠ في فضائل القرآن باب الترجيع .

فقيل له : اقرأ فرفع صوته وطرب ـ وكان رفيع الصوت ـ فكشف أنس عن وجهه ـ وكان على وجهه خرقة سوداء ـ فقال : يا هذا ، ما هكذا كانوا يفعلون ، وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه .

وروي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يَؤمُّ بالناس ، فطرب في قراءته ، فأرسل إليه سعيد بن المسيب يقول : أصلحك الله ، إن الأئمة لا تقرأ هكذا ، فترك عمر التطريب بعدُ .

وروي عن القاسم بن محمد ، أن رجلاً قرأ في مسجد رسول الله ﷺ فطرب ، فأنكر ذلك القاسم وقال : يقول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

وروي عن مالك رحمه الله أنه سئل عن النبر في القراءة للقرآن في الصلاة ، فأنكر ذلك وكرهه كراهةً شديدة ، وأنكر رفع الصوت به .

وروى ابن القاسم عنه ، أنه سئل عن الألحان في الصلاة ، فقال : لا يعجبني ، وقال : إنما هو غناء يتمتعون به ، أو قال : يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم .

وروى ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب ، فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الأَذَانَ سَمْحٌ سَهْلٌ فَإن كَانَ أَذانُكَ سَهْلاً سَمْحاً ، وَإلاَّ فَلاَ تُؤَذِّنْ » أخرجه الدارقطني في « سننه »[1] .

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » ٧٢/٢ في الاذان باب رفع الصوت بالنداء بعد أن ذكر الحديث : وفيه إسحاق بن أبي يحيى الكعبي وهو ضعيف عند الدارقطني وابن عدي ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه ثم غفل فذكره في الثقات .

وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٤٠٦) : ضعيف جداً .

فإذا كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الأذان ، فأحرى أن لا يجوِّزه في قراءة القرآن الذي حفظه الرحمن ، فقال وقوله الحق : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . وقال جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] وقد تقدم في الباب قبله كيف كانت قراءة النبي ﷺ ، وهو المبيِّن عن الله عز وجل ، لم يكن فيها تطريب ، ولا ترجيع ، وإنما كانت مداً .

وأما ما احتج به المخلف من قوله ﷺ : « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » (١) فليس على ظاهره ، وإنما هو من باب المقلوب ، أي : زينوا أصواتكم بالقرآن .

قال : ورواه معمر ، عن منصور ، عن طلحة ، فقدم الأصوات على القرآن ، وهو الصحيح .

قال الخطابي : وهكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث : «زينوا أصواتكم بالقرآن»، وقالوا : هو من باب المقلوب ، كما قالوا : عرضت الحوض على الناقة ، وإنما هو : عرضت الناقة على الحوض .

قال الخطابي : ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء ، أن رسول الله ﷺ قال : « زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ » أي : الهجوا بقراءته ، واشغلوا به أصواتكم ، واتخذوه شعاراً وزينة .

وقيل : معناه الحض على قراءة القرآن والدُّؤوب عليه .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٥٩) .

وقد روي عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالقُرْآنِ »[1] .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : حسِّنوا أصواتكم بالقرآن .

قال المؤلف رحمه الله : وإلى هذا المعنى يرجع قوله ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ »[2] أي : ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن . كذلك تأوله عبد الله بن زيد ، وابن أبي مليكة .

قال عبيد الله بن أبي يزيد : مر بنا أبو لبابة، فاتبعناه حتى دخل بيته ، فإذا رجل رث الهيئة ، فسمعته يقول : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ » ، فقلت لابن أبي مليكة : يا أبا محمد ! أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع . ذكره أبو داود[3] ، وإليه يرجع أيضاً قول أبي موسى للنبي ﷺ : إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً[4] . أي : لحسنت صوتي بالقرآن ، وزينته به ، ورتلته .

وهذا يدل على أنه كان يهذُّ في قراءته مع حسن صوته الذي جبل عليه .

---

(١) ابن حبان رقم (٦٦٢) « موارد » وأبو نصر السجزي في « الإبانة » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن البراء رضي الله عنه ، والدارقطني في « الأفراد » والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأبو نعيم في « الحلية » عن عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٥٧٤)

(٢) رواه البخاري ١٣/٤١٨ في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رقم (١٤٧١) في الصلاة : باب استحباب الترتيل في القراءة عن أبي لبابة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٤) تقدم تخريجه ص (١٦٠) رقم (٣) .

والتحبير : التزيين والتحسين ، فلو علم أن النبي ﷺ كان يسمعه لمد في قراءته ورتلها ، كما كان يقرأ على النبي ﷺ ، فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقرآن ، وهو معنى ما روي عن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنه قال : ما أدركت رجلاً من المهاجرين إلا وقد سمعته يترنم بالقرآن .

ومعنى حديث البخاري في ترجيع قراءة النبي ﷺ في قراءة سورة ﴿ الفتح ﴾[1] وترنمه فيها على ما يأتي ، ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله ﷺ أن يقول : إن القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها .

فمن تأول هذا فقد واقع أمراً عظيماً أن يحوج القرآن إلى ما يزينه ، وهو النور والضياء ، والزين الأعلى لمن ألبس بهجته ، واستنار بضيائه .

وقد قيل : إن الأمر بالتزيين اكتساب القراءات ، وتزيينها بأصواتنا ، وتقدير ذلك ، أن زينوا القراءة بأصواتكم ، فيكون القرآن بمعنى القراءة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي : قراءة الفجر ، وقوله تعالى : ﴿ فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة :١٨] أي ، قراءته ، كما ثبت في « صحيح مسلم »[2] ، عن عبد الله بن عمرو قال : « إنَّ فِي البَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَها سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ عَلَيهِمَا السَّلَامَ ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ فَتَقْرَأ عَلَىٰ النَّاسِ قُرْآناً » . أي : قراءة .

قال الشاعر[3] في عثمان رضي الله عنه :

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٦٠) رقم (٤) .

(٢) ١/١٢ في « المقدمة » باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .

(٣) هو حسان بن ثابت في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنهما كما في أسد الغابة ٥٩٥/٣ وقبله :

من سره الموت صرفاً لا مزاج له ... فليأت مأدبه في دار عثمانا

ضَحُّوا بِأَشْمَطَ عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرآناً

أي : قراءة ، فيكون معناه على هذا التأويل صحيحاً ، إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدها على ما بينته ، فيمتنع .

وقد قيل : إن معنى يتغنى به : يستغني به ، من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار ، لا من الغناء .

يقال : تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت ، وأغناه الله وتغانوا ، أي : استغنى بعضهم عن بعض . قال الجوهري : تغنى الرجل بمعنى : استغنى .

قال المغيرة بن حبناء التميمي :

كِلانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مُتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وقد روي عن سفيان أيضاً وجهٌ آخر ذكره إسحاق بن راهويه ، أي : يستغني به عما سواه من الأحاديث . وإلى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لاتباعه الترجمة في كتابه بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٥١][(١)] والمراد : الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم ، قاله : أهل التأويل .

---

(١) ذكره البخاري في ترجمة باب ٩/ ٦٠ في فضائل القرآن باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى : ﴿ يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ .قال الحافظ في « الفتح » ٩/ ٦٠ : أشار المصنف بهذه الآية إلى ترجيح تفسير ابن عيينة : يتغنى : يستغني .

وقيل: إن معنى يتغنى به : يتحزن به ، أي : يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته ، وليس من الغنية ، لأنه لو كان من الغنية ، لقال : يتغانى به ، ولم يقل : يتغنى به ، ذهب إلى هذا جماعة من العلماء ، منهم الحَليمي على ما نذكره عنه آخر الباب ، وهو قول الليث بن سعد ، وأبي عبيد ، ومحمد بن حبان البستي .

واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[1] ـ الأزيز ، بزائين : أي : صوت الرعد وغليان القدر ـ قالوا : ففي هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزن ، وعضدوا هذا بما رواه الأئمة عن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليَّ » قال: فقرأت عليه سورة ﴿ النساء ﴾ حتى إذا بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنَا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً ﴾[النساء: ٤١] فنظرت إليه ، فإذا عيناه تدمعان[2] .

وروى ابن ماجه قال : ثنا عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا أبو رافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الرحمن بن السائب قال : قدم علينا سعد بن أبي وقاص وقد كف بصره،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٢٥ و٢٦ وأبو داود رقم (٩٠٤) في الصلاة : باب البكاء في الصلاة ، والنسائي ٣/ ١٣ في السهو : باب البكاء في الصلاة ، وإسناده صحيح .

(٢) رواه البخاري ٩/ ٨٥ في فضائل القرآن : باب البكاء عند قراءة القرآن ، وباب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ، وباب قول المقرىء للقارىء : حسبك ، ومسلم رقم (٨٠٠) في صلاة المسافرين : باب فضل استماع القرآن ، والترمذي رقم (٣٠٢٧) و (٣٠٢٨) في تفسير القرآن : باب ومن سورة النساء ، وأبو داود رقم (٣٦٦٨) في العلم : باب في القصص ، وأحمد في « المسند » ١/ ٣٨٠ و٤٣٣ ، وابن ماجه رقم (٤١٩٤) في الزهد : باب الحزن والبكاء ، ولفظ « تدمعان » عند ابن ماجه .

فسلمت عليه . فقال : من أنت ؟ فأخبرته ، فقال : مرحباً بابن أخي ، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ هَذَا القُرْآنَ نَزَلَ بِحَزَنٍ ، فَإذا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا ، فَإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا ، وَتَغَنُّوا بِهِ ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِهِ فَلَيْسَ مِنَّا »[1] وهذا نص .

وقال أبو عبيد : ومجمل الأحاديث التي جاءت في حسن الصوت ، إنما هو على طريق الحزن والتخويف والتشويق ، يبين ذلك حديث أبي موسى : أن أزواج النبي ﷺ سمعن قراءته ، فأخبر بذلك فقال : « لو علمت لشوقت تشويقاً وحبرت تحبيراً »[2] .

قال أبو عبيد : فهذا وجهها ، لا الألحان المطربة الملهية .

قال المؤلف رحمه الله : فهذه أربع تأويلات ، ليس فيها ما يدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها .

التأويل الخامس : ما تأوله من يستدل به على الترجيع والتطريب ، فذكر عمر بن شبة قال : ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في قوله : يتغنى : يستغني ، فقال : لم يصنع ابن عيينة شيئاً .

وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال : نحن أعلم بهذا ، لو أراد النبي ﷺ الاستغناء لقال : من لم يستغن ، ولكن لما قال : يتغنَّ علمنا أنه أراد التغني . قال الطبري : المعروف من كلام العرب : أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع ، وقال الشاعر :

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٣٣٧) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، ورقم (٤١٩٦) في الزهد : باب الحزن والبكاء ، وإسناده ضعيف .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » : ولابن سعد من حديث أنس باسناد على شرط مسلم أن أبا موسى قام ليلة يصلي فسمع أزواج النبي ﷺ صوته ، وكان حلو الصوت فقمن يستمعن ، فلما أصبح قيل له : فقال : لو علمت لحبرته لهن تحبيراً .

تَغَنَّ بِـالشِّعْـرِ مَهْمَـا كُنْتَ[1] قَـائِلَهُ   إن الغِنَـاءَ لِهَـذَا الشِّعْـرِ مُضْـمَـارُ

قال : وأما الذي زعم أن تغنيت بمعنى : استغنيت ، فليس في كلام العرب وأشعارها ، ولا نعلم أن أحداً من أهل اللغة قاله. وأما استشهاده بقوله :

وَنَـحْنُ إذَا مِـتْـنَـا أَشَـدُّ تَـغَـانِـيـا

فإنه إغفال منه ، وذلك أن التغاني تفاعل من نفسين ، إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه ، كما يقال : تضارب الرجلان : إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه ، ومن قال هذا في فعل الاثنين ، لم يجز أن يقول مثله في فعل الواحد ، وغير جائز أن يقال : تغنى بمعنى : استغنى .

وقال المؤلف رحمه الله : وأما ما ادعاه الطبري رحمه الله ، أنه لم يرد في كلام العرب تغني بمعنى استغنى ،فقد ذكره تاج اللغة[1] في «الصحاح» كما ذكرناه ، وذكره الهروي أيضاً في « غريبه » وحسبك بهما .

وأما قوله : إن صيغة فاعل ، إنما تكون من اثنين ، فقد جاءت من واحد في مواضع كثيرة ، منها قول ابن عمر : وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام . وتقول العرب : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وداويت العليل ، وهو كثير ، فيكون تغانى منها .

وإذا احتمل قوله ﷺ : تغنى : الغناء والاستغناء ، فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر ، بل حمله على الاستغناء أولى ، لو لم يكن لنا تأويل غيره ، لأنه مروي عن صحابي كبير ، كما ذكر سفيان .

وقد قال ابن وهب في حق سفيان : ما رأيت أعلم بتأويل الأحاديث من سفيان بن عيينة ، ومعلوم أنه رأي الشافعي .

---

(١) في « لسان العرب » : إما كنت .   (٢) هو اسماعيل بن حماد الجوهري .

وتأويل سادس : وهو ما جاء من الزيادة في « صحيح مسلم » عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ما أَذِنَ الله لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ يَتَغَنَّىٰ بالقرآن يَجْهَرَ بِهِ » رواه من طرق [1] .

قال الطبري : ولو كان كما قال ابن عيينة ، لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى .

قلنا : قوله : يجهر به ، قال بعض علمائنا رحمة الله عليهم : لا يخلو أن يكون من قول النبي ﷺ ، أو من قول أبي هريرة رضي الله عنه ، أو غيره ، وأيهما كان ، فليس فيه دليل على ما راموه ، لأنه لم يقل : يطرب به ، وإنما قال : يجهر به ، والعرب تسمي كل من رفع صوته ووالى به : غانياً ، وفعله ذلك غناءً ، وإن لم يلحن بتلحين الغناء ، وعلى هذا فسره الصحابي وهو أعلم بالمقال ، وأقعد بالحال .

قال المؤلف رحمه الله : قوله : يجهر به ، وهو تفسير أم سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهما ، ويدل على صحة هذا ، ما رواه ابن ماجه في « سننه » قال : حدّثنا العباس بن عثمان الدمشقي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدّثني حنظلة بن أبي سفيان ، أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ، ثم جئت فقال : « أَيْنَ كُنْتِ ؟ » قلت : كنت أسمع قراءةَ رَجُلٍ من أصحابك ، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٩٢) في صلاة المسافرين : باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، ورواه أيضاً البخاري ٩ / ٦٠ و٦١ في فضائل القرآن : باب من لم يتغن بالقرآن ، وأبو داود رقم (١٤٧٣) في الصلاة : باب استحباب الترتيل في القراءة ، والدارمي رقم (٣٤٩٣)، و(٣٤٩٤) في فضائل القرآن : باب التغني بالقرآن، والنسائي ٢ / ١٨٠ في الصلاة : باب تزيين القرآن بالصوت ، وأحمد في « المسند » ٢ / ٢٧١ و٢٨٥ و٤٥٠ . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقمت معه حتى استمع له ، ثم قال : « هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيفَةَ ، اَلحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتي مِثْلَ هٰذَا »[1] .

ووجه الدليل منه قولها : لم أسمع مثل قراءته وصوته ، ولم تقل : مثل ترجيعه وتطريبه وتغنيه ، والله أعلم .

وقد احتج أبو الحسن بن بطال لمذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، فقال : وقد رفع الأشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبي شيبة قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا موسى بن علي بن رباح ، عن أبيه عن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّمُوا القُرْآنَ وَغَنُّوا بِهِ [1] وَاكْتُبُوهُ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنَ المُخَاضِ مِنَ العِقلِ » [3] .

قال المؤلف رحمه الله : وهذا الحديث وإن صح سنده ، فقد عارضه غير ما حديث حسبما تقدم ، وما ثبت عن النبي ﷺ من بيان قراءته على أنه يحتمل أن يكون معنى : وغنوا به ، أي : الهجوا بتلاوته وذكره كما تقدم .

والدليل على هذا ما يعلم على القطع والبيان ، من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة جيلاً فجيلاً ، إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ ، وليس فيها تلحين ولا تطريب ، مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف ، وفي المد والاظهار والإدغام ، وغير ذلك من كيفية القرآت .

ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ، ومد ما ليس بمدود ، فترجيع الألف الواحدة ألفات ، والشبهة الواحدة شبهات ، فيؤدي

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٣٣٨) في اقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٦٥/٦ وهو حديث صحيح .

(٢) الذي في « مسند أحمد » والدارمي : « وتغنوا به » .

(٣) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٤٦/٤ و١٥٠ و١٥٣ والدارمي رقم (٣٣٥١) و(٣٣٥٢) في فضائل القرآن : باب في تعاهد القرآن ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٩٦١) .

ذلك إلى زيادة في القرآن ، وذلك ممنوع . وإن وافق ذلك موضع نبر صيروها نبرات وهمزات ، والنبرة حيثما وقعت من الحروف ، إنما هي همزة واحدة لا غير ، إما ممدودة ، وإما مقصورة .

فإن قيل : فقد روى عبد الله بن المغفل قال : قرأ رسول الله ﷺ في مسير له عام الفتح على راحلته ، فرجع في قراءته (١) .

وذكر البخاري قال في صفة الترجيع : ااا ثلاث مرات ؟؟ قلنا : ذلك محمول على إشباع المد في موضعه ، ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة ، كما يعتري رافع صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هذا المركوب ، وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه .

قال المؤلف رحمه الله : وهذا الخلاف إنما هو ما لم يبهم معنى القرآن بترديد الأصوات ، وكثرة الترجيعات ، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه ، فذلك حرام باتفاق ، كما يفعل بالديار المصرية الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز ، ضل سعيهم ، وخاب عملهم ، فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله عز وجل ، بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه ، جهلاً منهم بدينهم ، وخروجاً عن سنة نبيهم ﷺ ، ورفضاً لسيرة الصالحين فيه عن سلفهم ، ونزوعاً إلى ما زين لهم الشيطان من أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، خاب سعيهم ، وضل عملهم ، فهم في غيهم يترددون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لكن قد أخبر الصادق : أن ذلك يكون ، فكان كما أخبر ﷺ .

وذكر الإمام الحافظ أبو الحسين رزين ، وأبو عبد الله الترمذي الحكيم ،

---

(١) تقدم تخريجه والكلام عليه ، ص (١٦٠) رقم (٤) .

من حديث حذيفة ، أن رسول الله ﷺ قال : « اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا ، وإياكم وَلُحُونَ أَهْلِ الفُسْقِ ، وَلُحُونَ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ وَسَيَجِيءُ بَعْدِي أَقْوَامٌ يَرْجِعُونَ بِالقُرْآنِ تَرْجِيعَ الغِنَاءِ والنَّوْحِ ،لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُ الَّذِينَ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ »[1] .

اللحون جمع لحن : وهو التطريب ، وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : ويشبه هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ ، وفي المجالس من اللحون الأعجمية التي يقرؤون بها ما نهى عنه رسول الله ﷺ .

فالترجيع في القراءة ترديد الحروف ، كقراءة النصارى ، والترتيل في القراءة : هو التأني فيها والتمهل ، وتبيين الحروف والحركات ، تشبيهاً بالثغر المرتل ، وهو المنشبه بنَوْرَ الأقحوان ، وهو المطلوب في قراءة القرآن حسب ما تقدم أول الباب ، والله الموفق للصواب .

وقال الحليمي : والذي يظهر بدلالة الأخبار ، أنه أراد بالتغني : أن يحسن القارىء صوته مكان ما يحسن المغني صوته بغنائه ، الا أنه يميل به نحو التحزن دون التطريب ، إذ قد عوض الله من غناء الجاهلية خيراً منه ، وهو القرآن ، فمن لم يحسن صوته بالقرآن ، ولم يرض به بدلاً من ذلك الغناء ، فليس منا ، إلا أن قراءة القرآن لا يدخلها من التغنِّي وفضول

---

(١) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦٩/٧ ونسبه للطبراني في « الأوسط » وقال : فيه راوٍ لم يسم ، وفيه بقية أيضاً ، وأورده السيوطي في « الجامع الصغير » وزاد نسبته للبيهقي ، قال المناوي : قال ابن الجوزي في « الفلك » : حديث لا يصح ، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم ، وفي « الميزان » : تفرد عن أبي حصين بقية وليس بمعتمد، والخبر منكر ، ومثله في « اللسان » .

الألحان ، وترديد الصوت ، ما يلبس المعنى ، ويقطع أوصال الكلام ، كما قد دخل ذلك كله الغناء ، وإنما يليق بالقرآن حسن الصوت والتحزين به دون ما عداهما .

وسئل رسول الله ﷺ من أحسن الناس قراءة ؟ قال : « مَنْ إذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَىٰ الله تَعَالَىٰ »[1] وقال : « إنَّ هَذٰا القرآن نَزَلَ بِحزَنٍ فَاقْرَؤُوه بِحَزَنٍ »[2] أو كما قال .

* * *

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٥٨) رقم (١) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٦٧) في جملة حديث رواه ابن ماجه رقم (١٣٣٧) في إقامة الصلاة : باب في حسن الصوت بالقرآن من حديث سعد بن أبي وقاص وإسناده ضعيف ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦٩/٧ وزاد نسبته للطبراني في « الأوسط » من حديث بريدة ، وقال : وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف .

الباب الثالث والثلاثون
في الآداب التي تلزم حامل القرآن وقارئه من التعظيم للقرآن وحرمته

قال المؤلف رحمه الله : هذا الباب إذا تتبعت أحاديثه ومعانيه يقوم منها كتاب ، ونحن نذكر من ذلك على جهة التقريب والاختصار دون التطويل والإكثار ما كان فيه مقنع وغنية لأولي الأبصار والنهية .

فأول ذلك : أن لا يمس المصحف إلا طاهر ، لقوله ﷺ في كتاب عمرو بن حزم : « لا يَمَسُّ القُرْآنَ إلاَّ طَاهِرٌ » رواه مالك وغيره [١] .

وقال بعض السلف : ما دخلت بيتاً منذ ثلاثين سنة وفيه مصحف إلا وأنا على وضوء .

وكان بعضهم إذا كان في بيت فيه المصحف ، لم ينم تلك الليلة مخافة أن يخرج منه ريح في بيت فيه مصحف .

ومنها : أن يقرأه وهو على طهارة بالقراءة المستفيضة دون الغرائب

---

(١) رواه مالك ١٩٩/١ في القرآن : باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن مرسلاً ، وإسناده منقطع ، قال الزرقاني في « شرح الموطأ » : قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث ، وقد روي مسنداً من وجه صالح وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغني بها في شهرتها عن الإسناد لأنه أشبه المتواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول ، ولا يصح عليهم تلقي ما لا يصح ، نقول : وهو مرسل صحيح الإسناد ، وقد روي موصولاً عن جماعة من الصحابة ، وهو حديث صحيح بطرقه . انظر « الإرواء » رقم (١٢٢) .

والشواذ ، لأن في المشهور مندوحة عن الشواذ ، فكان تركها أحوط لئلا يتقرب إلى الله عز وجل بقراءة ما لا يمكن القطع بأنه من عنده من غير ضرورة ، وليس ذلك كالأخبار الخاصة تقبل من الأفراد بعد أن يكونوا عدولاً ، لأنه لا يوجد في الباب ما هو أقوى منها ، فتكون الضرورة هي المؤدية إلى قبولها .

ومنها : أن يستاك ويتخلل ، ويطيب فاه ، إذ هو طريق القرآن .

قال يزيد بن أبي مالك : إن أفواهكم طرق من طرق القرآن ، فطهروها ونظفوها ما استطعتم .

وعن النبي ﷺ أنه قال : « نَظِّفوا أَفْوَاهَكُمْ فَإِنَّها مَجَارِي القُرْآنِ » (١) .

وكان ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لأنه ﷺ : كان يريد الصلاة وقراءة القرآن . وقال : « السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضاةٌ للرَّبِّ » (٢) لأن المستن يطهر الفم لقصده إلى التلفظ بحروف القرآن وهو راجع إلى تعظيم القرآن .

وقال ﷺ : « إذَا قامَ الرَّجُلُ يَتَوضَّأ ليلاً أو نهاراً فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ واسْتَنَّ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي أَطَافَ بِهِ المَلَكُ وَدَنا مِنْهُ حَتَّىٰ يَضَعَ فاهُ علىٰ فِيهِ ، فَمَا يَقْرَأُ إلاَّ فِي فِيهِ ، وإذا لم يَسْتَنَّ أَطَافَ بِهِ وَلَمْ يَضَعَ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ » (٣) .

ومعنى قوله : استن : استاك ، افتعل من السنة ، لأن السواك سنة .

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للديلمي من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١/ ٣و١٠ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه و٦/٤٧ و٦٢ و١٢٤ و١٤٦و ٢٣٨ والنسائي ١/ ١٠ في الطهارة باب الترغيب في السواك من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ١/ ٤١٢ ، ونسبه للبيهقي ، وتمّام ، والضياء ، من حديث جابر رضي الله عنه ، قال في « فُيض القدير » . ورواه عنه أبو نُعيم ، قال ابن دقيق العيد : رواته ثقات . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٢١٣) .

ومنها : يستحب أن يستوي له قاعداً إن كان في غير صلاة ، ولا يكون متكئاً .

ومنها : يستحب أن يتطيب ويلبس له ، كما يلبس[1] للدخول على الأمير ، فإنه مناج ربه بكلامه .

وقال عون بن عبد الله : كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيب إذا قام إلى الصلاة .

وعن أبي العالية : أنه كان إذا قرأ ، اعتم ، ولبس ثيابه ، وارتدى ، واستقبل القبلة .

وقال تميم الداري : كان النبي ﷺ إذا قام بالليل يتهجد اغتلف بالغالية .

وقال مجاهد : كانوا يكرهون أكل الثوم والكراث والبصل من الليل ، ويستحبون أن يمس الرجل عند قيامه طيباً إذا قام من الليل ، يمسح شاربه وما أقبل من اللحية .

وقال قتادة : ما أكلت الثوم منذ قرأت القرآن .

وكان مجاهد إذا قرأ أو صلى ، فإن وجد ريحاً أمسك عن القراءة حتى يذهب ذلك الريح الذي يشمه .

ومنها : يستحب ان يستقبل القبلة عند الذكر والقراءة ، لقوله ﷺ : « خَيْرُ المَجَالِسِ ما اسْتُقْبِلَ بِهِ القِبْلَةِ »[2] .

---

(١) في المطبوع : ويتلبس له كما يتلبس للدخول على الأمير .

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ « أكرم المجالس ما استقبل القبلة » وإسناده ضعيف ، ورواه ابن عدي وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » والطبراني في « الكبير » من حديث ابن عباس بغير هذا اللفظ ، وإسناده ضعيف أيضاً ، ورواه الحاكم في حديث طويل عن ابن =

ومنها : يستحب أن يتمضمض كلما تنخَّع .

روى شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس ، أنه كان يكون بين يديه تور فيه ماء ، إذا تنخَّع تمضمض ، ثم أخذ في الذكر ، وكان كلما تنخِّع تمضمض .

ومنها : يستحب إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة ، لأنه مخاطب ربه ، ومناجٍ ، والتثاؤب من الشيطان .

قال مجاهد : إذا تثاءبت وانت تقرأ القرآن ، فأمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك .

وقال عكرمة : يريد أن في ذلك الفعل إجلالاً للقرآن .

ومنها : يستحب أن يستعيذ بالله عند ابتدائه القراءة من الشيطان الرجيم ، ويقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » إن كان ابتداء قراءته من أول السورة ، أو من حيث بلغ ، ويقال : لا تكون البسملة إلا في أوائل السور لا غير .

ومنها : يستحب إذا أخذ في سورة لم يشغل عنها حتى يفرغ منها ، إلا من ضرورة .

وكذلك إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة ، ولا يخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة ، فإن فيه استخفافاً بالقرآن ، كما لو قطع مكالمة أحد ، فيحدِّث غيره ممن هو دونه ، فإن فيه استخفافاً بذلك ، ولأن في اتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الاتباع ، ويخفى عند

= عباس . قال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » : وللطبراني في « الأوسط » من حديث أبي هريرة رفعه : « إن لكل شيء سيداً ، وإن سيد المجالس ، قبالة القبلة » قال السخاوي : وسنده حسن . وانظر تتمة الكلام عليه في « المقاصد الحسنة » .

التقطيع وفيه[1] سلب زينة قراءة القرآن ، فلذلك كان مكروهاً .

ومنها : ينبغي أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه ، لأنه اذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة التي إستعاذ بها في البدء .

وقال يحيى بن معاذ : أشتهي من الدنيا شيئين : بيتاً خالياً ، ومصحفاً جيد الخط أقرأ فيه القرآن .

ومنها : ينبغي أن يقرأه على تُؤدة وترتيل ، كما تقدم بيانه ، ولا يهذَّ ، فإن التفكر أمكن منه عند الترتيل منه عند الهذِّ ، فكان الترتيل بالذكر أولى ، فيستعمل في ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به .

ومنها : ينبغي أن يقف على آية الوعد ، فيرغب إلى الله ويسأله من فضله ، وأن يقف على آية الوعيد ، ويستجير بالله منه ، كما تقدم في حديث حذيفة . وكذلك ينبغي له أن يقف على أمثاله فيتمثلها .

ومنها : ينبغي له إذا مر بآية سجدة سجد فيها ، فان ذلك عمل متوارث ، وشريعة ظاهرة ، الا ما اختلف فيه من السجود في المفصل ، وآخر سورة ﴿الحج﴾ و وسجدة ﴿صٓ﴾ ، وليس هذا موضع ذكر ذلك ، فمن جعلها من العزائم سجد فيها في الصلاة [2] .

وقال الشافعي : سجدة ﴿ص﴾ ليست من العزائم ، فلا يسجدها في الصلاة ، لأنها سجدة شكر ، ولا يصلح سجود الشكر في الصلاة ، ولم يرو

---

(١) في المطبوع : في

(٢) انظر « التبيان في آداب حملة القرآن » للنووي الباب السادس ، ص ١٣٢ ـ ١٥٥ ط مكتبة دار البيان بتحقيقنا .

أن النبي ﷺ سجد هذه السجدة في الصلاة ، فإن وجد ذلك في رواية كانت كل سجدة للشكر مثلها .

ومنها : يستحب أن يتعلَّم إعراب القرآن ، ويلتمس غرائبه ، وقد مضى القول فيمن قرأه معرباً .

وأما غرائبه : فمعرفة لغته ، فيعرف معنى الفتيل ، والنقير ، والقطمير [1] ، وأشباه ذلك من غرائب القرآن .

قال ابن الأنباري : ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغرائبه ، معرفة الوقف والابتداء فيه ، فينبغي للقارىء أن يعرف الوقف التام من الوقف الكافي الذي ليس بتام ، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كافٍ .

ومنها : يستحب أن يقرأه بالتفخيم ، فإن زيد بن ثابت روى عن النبي ﷺ قال : « نزل القرآن بالتفخيم » ومعناه : أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يخضع الصوت به ،فيكون مثل قراءة النساء ،ولا يدخل في هذا كراهية[3] الإمالة التي هي اختيار بعض القراء ، ويجوز أن يكون نزول القرآن نزل بالتفخيم ، ورخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته ، وتكون هذه الرخصة نازلة على لسان جبريل عليه السلام أيضاً ، لكن لما كان لفظه بالتنزيل التفخيم دون الإمالة ، لأن الإمالة لا تجوز الا في مواضع مخصوصة ، ؛ والفتح يطَّردُ في الجميع ، علم أن التفخيم هو الأصل ، وهو اللغة القديمة السابقة ، والإمالة لا تجوز إلا لعلة تعرض على ما بيناه في كتاب « الانتهاز في القراءات » .

---

(١) الفتيل : ما كان في شق النواة ، والنقير : النكتة في ظهر النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة على النواة ، وكلها تضرب أمثالاً الشيء التافه الحقير .

(٢) في الأصل المطبوع كراهيته .

ومنها : يستحب أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً ، فإن له بكل حرف عشر حسنات على ما تقدم من الحديث ، وإذا كان له بكل حرف عشر حسنات ، فينبغي له أن لا يهمل حرفاً أثبته إمام ، فيكون قد أتى على جميع القرآن ، ولم يبق شيئاً . فتكون ختمة أصْح من ختمة إذا ترخص بحذف ما لا يضر حذفه ، ألا ترى أن صلاة من استوى في جميع شرائطها أتم ممن ترخص بترك ما يجوز تركه ؟

ومنها: إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسول الله ﷺ ، ويشهد على ذلك أنه حق ، فيقول : صَدَقْت ربنا ، وبلَّغت رسلُ ربي ، ونحن على ذلك من الشاهدين ، اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ، ثم يدعو بدعوات من القرآن ، ويقرن ذلك بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أولاً وآخراً ، إذ كان الوقوف على القرآن والوصول إليه من قبله ﷺ .

وأما من استوفى القرآن قراءة وختماً ؛ فإنه يرجع إلى أول القرآن ، فإنه يقرأ إلى قوله : ﴿ أُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] فإن ذلك من آدابه حتى لا يبقى كهيئة المهجور . والأصل فيه : أن رسول الله ﷺ سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى ؟ فقال : « الحال المرتحل » قيل : معناه الذي يصدر من أول القرآن إلى آخره ، ومن آخره الى أوله ، كلما حل ارتحل . وجاء عنه ﷺ ذلك مفسراً ، وهو أنه قيل له : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الحالُّ المُرْتَحِلُ » [1] قيل : وما الحال المرتحل ؟ قال : « الخاتَمُ المُفتتح » .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩٤٩) في القرآن : باب رقم ٤ والدارمي رقم (٣٤٧٨) في فضائل القرآن : باب في ختم القرآن ، وفي سنده صالح المري وهو ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بالقوي ، ثم ذكر الترمذي رواية أخرى للحديث عن صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن النبي ﷺ :

وروي من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الأَعْمَالِ افْتِتَاحُ القُرْآنِ وَخَتْمُهُ »[1] .

وعن صالح المرِّي ، عن أيوب ، عن أبي قلابة يرفعه قال : « مَنْ شَهِدَ فَتْحَ القُرْآنِ فَكَأَنَّما شَهِدَ فَتْحاً فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ شَهِدَ خَتْمَهُ فَكَأَنَّما شَهِدَ الغَنَائِمَ وَهِيَ تُقَسَّمُ »[2] .

ومنها : إذا قرأه أن لا يلتقط الآي من كل سورة ، فيقرأ بها ، فإنه روي عن رسول الله ﷺ ، أنه مر بأبي بكر وهو يخافت ، ومر بعمر وهو يجهر ، ومر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه ، فقال لأبي بكر : « إنِّي مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُخَافِتْ » فقال : إني أسمع من أناجي ، قال : « ارْفَعْ شَيئاً » وقال لعمر : « مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَجْهَرُ » قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان ، قال : « اخْفِضْ شَيئاً » وقال لبلال : « مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنَ هَذِهِ السُّوَرَةِ ، وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ » فقال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : « اقْرَأْ السُّورة عَلَى وَجْهِها »[3] .

قال الحَليمي : وهذا أولى مما روي أنه سمع عماراً يقرأ من هذه ومن هذه ، فلما كلمه في ذلك ، قال : أفتسمعني أخلط به بما ليس منه ؟ قال :

= نحوه بمعناه ، وقال الترمذي : ولم يذكر فيه ابن عباس ، وقال : هذا عندي أصح من حديث نصر بن علي عن الهيثم بن الربيع ، يعني به الرواية الأولى .

(١) ذكره الحافظ الذهبي في « الميزان » وعده من مناكير بشر بن الحسين الأصبهاني . انظر « الفتوحات الربانية » ٣/٢٤٨ .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٤٧٤) في فضائل القرآن : باب في ختم القرآن ، ورواه أيضاً محمد بن نصر وابن الضريس ، وإسناده منقطع .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٣٣٠) بنحوه في الصلاة : باب رفع الصوت بالقراءة في الليل من حديث أبي هريرة ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٣٢٩) والترمذي رقم (٤٤٧) في الصلاة : باب ما جاء في قراءة الليل من حديث أبي قتادة ولم يذكرا قصة بلال . ورواه أحمد في « المسند » ١/١٠٩ من حديث علي وذكر عماراً بدل بلال ، وهو حديث حسن .

لا ، قال : « فَكُلُّهُ طَيِّبٌ »[1] . ولم يذكر أنه أنكر عليه . والذي فعله بلال هو الذي فعله عمار بعينه ، فكان ما روي من التصريح بالانكار والتغير أولى بالاعتماد من الرواية التي ليس فيها أكثر من السكت عن عمار . ولعل النظر اذا أنعم منع من إتيان حديث عمار ، لأن فيه أن النبي ﷺ استنكر منه فعلاً ، فقابله عمار بالحجة ، فأمسك عنه ، وهذا عظيم ، ولئن كان شيء من الأخبار يرد بضعف أحد من نقلته لرد هذا بخطأ متنه وهجنته أولى .

ومنها : اذا قرأ في المصحف أن لا يتركه منشوراً ، ولا يضع فوقه شيئاً من الكتب ، ولا ثوباً ولا شيئاً خطيراً ولا حقيراً ، حتى يكون بهذا محفوظاً مكنوناً عالياً لسائر الكتب وغيرها ، وقد وصفه الله بأنه ﴿ في كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّه إلَّا المُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٨ و٧٩] ، فإذا كان فوق السماوات مكنوناً محفوظاً ، وليس هناك الا الملائكة المطهرون ، فلأن يكون فيما بيننا مكنوناً محفوظاً أولى ، إلا ترى أنه منهي ألاَّ يمسه إلا طاهر ، فأولى أن ينهى أن يعرضه للإهانة ، أو يغفل عنه فيصيبه غبار البيت إذا كنس أو الدخان ، أو يعمل عليه حسابه ، أو مفتاح حانوته ، إلا أن يكون مصحفان ، فيوضع أحدهما فوق الآخر فيجوز .

ومنها : أن يضعه في حجره اذا قرأه ، أو على شيء بين يديه ، ولا يضعه في الأرض .

ومنها : أن لا يمحوه من اللوح بالبصاق ، ولكن يغسله بالماء ، ويتوقى النجاسة من المواضع النجسة ، والمواضع التي توطأ ، فإن لتلك الغسالة حرمة ، وكان من كان قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته . وفي التنزيل ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢]

---

(١) تقدم في إحدى روايات الحديث الذي قبله وهو عند أحمد في « المسند » ١/ ١٠٩ .

وقال : ﴿ يا أَيُّهَا الناسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِمَا في الصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧] .

وأخبر ﷺ أن خاتمة القرآن معوذتان لم يتعوذ الناس بمثلهما (١) . ورقى أبو سعيد الخدري اللديغ بفاتحة الكتاب ، فبرأ وأعطوه قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة (٢) . وفي الجملة أن الكلام مما يستشفي به ، وكانت عائشة رضي الله عنها تعوِّذ النبي ﷺ في مرضه (٣) فتقول : « اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهِبِ البَأْسَ ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً »(٤) ، وإن جبريل رقى النبي ﷺ وهو يشتكي ، فقال له : بِإسْمِ الله أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، الله يُشْفِيكَ ، بِإسْمِ الله أَرْقِيكَ »(٥) . وقال ﷺ : « مَا مِنْ مَرِيضٍ لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ تَعَوَّذَ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ : « بِاسْمِ الله العَظِيمِ مِن شَرِّ مَا

---

(١) رواه النسائي ٨/٤٥١ في الاستعاذة في فاتحته من حديث عقبة بن عامر ، وهو حديث صحيح . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٦٢٧٠) .

(٢) رواه البخاري ١٠/١٦٨ في الطب: باب الرقى بفاتحة الكتاب ، وباب النفث في الرقية ، وفي الإجارة : باب ما يعطى في الرقبة على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، وفي فضائل القرآن : باب فاتحة الكتاب ، ومسلم رقم (٢٢٠١) في السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، وأبو داود رقم (٣٩٠٠) في الطب : باب كيف الرقى ، والترمذي رقم (٢٠٦٤) و(٢٠٦٥) في الطب : باب ما جاء في أخذ الأجرة على التعويذ ، وابن ماجه رقم (٢١٥٦) في التجارات : باب أجر الراقي ، وأحمد في « المسند » ٣/٢ و١٠و٤٤ .

(٣) رواه البخاري ١٠/١٦٧ و ١٦٨ في الطب : باب الرقى بالقرآن والمعوذات ، ومسلم رقم (٢١٩٢) في السلام : باب رقية المريض بالمعوذات .

(٤) رواه البخاري ١٠/١٧٦ في الطب : باب رقية النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢١٩١) في السلام : باب استحباب رقية المريض ، من حديث عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى من إنسان مسحه بيمينه ثم قال : . . . وذكر الحديث » وجعلاه من قول النبي ﷺ ، لا من قول عائشة كما ذكر المصنف ، ولعله وهم منه .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ٦/١٦٠ ومسلم رقم (٢١٨٥) في السلام : باب الطب والمرض والرقى من حديث عائشة رضي الله عنها ، ورواه مسلم رقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

نَجِدْ وَنُحاذِرْ سبع مرات إلا شفاه الله عز وجل »[1] .

وإذا كان كذلك ، فالقرآن الذي لا كلام أشرف منه ، ولم ينزله الله تعالى إلا ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وينقذهم به من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها ، ويهديهم به إلى الجنة التي فيها الحياة الدائمة ، والراحة التامة من كل خوف وحزن ، أولى أن يستشفى به وبغسالته ، ويتبرك بقراءته . وقد جاء عن المتقدمين في باب الاحترازات من المخاوف ، والاستشفاء من الأمراض بآيات القرآن ما هو مذكور في غير هذا الموضع ، وسنذكر منه طرفاً في الباب الموفي أربعين ، وأنهم انتفعوا بذلك ، فكان ذلك أدل دليل على أن القرآن من عند الله تعالى .

ومنها : إذا اغتسل بكتابته مستشفياً من سقم ، أن لا يصبه على كناسة ، ولا في موضع نجاسة ، ولا على موضع يوطأ ، ولكن في ناحية من الأرض في بقعة لا يطأها الناس ، أو يجد حفرة في موضع طاهر حتى يصب من جسده في تلك الحفرة ، ثم يكسبها ، أو نهر كبير يختلط بمائه فيجري .

ومنها : أن لا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب ، فإن ذلك جفاء عظيم ، ولكن يمحوها بالماء .

ومنها : أن لا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة أو مرتين . وكان أبو موسى يقول : إني لأستحي أن أنظر كل يوم في عهد ربي عز وجل مرة . وكان عمر بن الخطاب إذا دخل بيته ، نشر المصحف وقرأ فيه . ودخلوا على عثمان وهو يقرأ في المصحف وكان والله قارئاً ، فقال :

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٠٦) في الجنائز : باب الدعاء للمريض عند العيادة والترمذي رقم (٢٠٨٤) في الطب : باب رقم ٣٢ ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٣٩ و٢٤٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٤٥) .

والله إني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في عهد الله عز وجل . وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا أصبح ، أمر غلامه ، فنشر المصحف ، فقرأه عليه . وروي أن مصحف عبد الله كان منشوراً في بيته . وقالت عائشة رضي الله عنها : أفضل العبادة قراءة مائتي آية في المصحف .

وروى أبو عبيد القاسم بن سلَّام قال : حدّثنا نعيم بن حماد ، عن بقية بن الوليد ، عن معاوية بن يحيى ، عن سليمان بن مسلم ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « فَضْلُ مَنْ يَقْرَأُ القُرْآنَ نَظراً عَلَىٰ الَّذِي يَقْـرؤُه ظَاهراً كَفَضْلِ الفَرِيضَةِ عَلَىٰ النَّافِلَةِ » (١) .

وروي من حديث حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال : « قراءَةُ القُرْآنِ في غَيْرُ المَصْحَفِ أَلْفُ دَرَجَةٍ ، وَالقِرَاءَةُ في المُصْحَفِ يُضَاعَفُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَلْفِي دَرَجَةٍ » (٢) .

وقال عبد الله بن حسان: اجتمع اثنا عشر من أصحاب رسول الله ﷺ ، على أن أفضل العبادات قراءة القرآن نظراً . وقال شداد بن أوس : ليس من العبادات أشد على الشيطان من قراءة القرآن نظراً .

وروى أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبُّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ، فَلْيَقْرَأْ فِي

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للديلمي عن بعض الصحابة . وهو حديث ضعيف جداً كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٣٩٨٤) .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦٥/٧ ونسبه للطبراني من حديث عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده وقال : وفيه أبو سعيد بن عون . وثقة ابن معين في رواية ، وضعفه في أخرى ، وباقي رجاله ثقات ، وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » وزاد نسبته لابن عدي والبيهقي من حديث عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده .

وضعف الحديث الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٠٨٥) .

المُصْحَفِ » ذكره ابن شاهين [1] .

وخرج من حديث إسماعيل بن عياش ، عن بحير [2] بن سعيد ، عن خالد بن معدان ، عن أبي الدرداء ، أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ مائتي آيةٍ في المُصْحَفِ كُلَّ يَوْمٍ نَظَراً شُفِعَ فِي سَبْعِ قُبُورٍ حَوْلَ قَبْرِهِ ، وَخَفَّفَ الله عَزَّ وجلَّ عَنْ وَالِدَيْهِ وَإن كانا مُشْرِكَيْن » [3] .

وروى ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَدَامَ النَّظَرَ فِي المُصْحَفِ مُتِّعَ بِبَصَرِهِ » [4] .

وروى زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « أَعْطُوا أَعْيُنَكُمْ حَظَّها مِنَ العِبَادَةِ » قالوا : يا رسول الله ! وما حظها من العبادة ؟ قال : « النَّظَرُ فِي المُصْحَفِ والتَفْكِيرُ فِيهِ ، والاِعْتِبَارُ عِنْدَ عَجَائِبِهِ » [5] .

وروى مكحول ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةَ القُرْآنِ نَظَراً » [6] .

---

(١) قال الذهبي في « الميزان » : الحر بن مالك أبو سهل العنبري أتى بخبر باطل فقال : حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعاً قال : « . . . » الحديث رواه ابن عدي في ترجمته فقال : حدثنا ابن بخيت ، حدثنا ابراهيم بن جابر ، حدثنا الحر بن مالك ، فذكره . . . وإنما اتخذت المصاحف بعد النبي ﷺ . اهـ .

(٢) في المطبوع : يحيى .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لابن أبي دا ود في « المصاحف » والديلمي عن أبي الدرداء وقال : وفيه إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعيد. نقول : وبحير بن سعيد أبو خالد الحمصي ثقة ثبت ، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل بلده صحيحه ، فالحديث حسن .

(٤) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لابي الشيخ من حديث ابن عباس .

(٥) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لابن أبي الدنيا في « التفكر » وأبي الشيخ في «العظمة» والبيهقي من حديث أبي سعيد ، وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٠٤١) : موضوع .

(٦) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للحكيم الترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١١٤٦) .

وقال نافع : كان ابن عمر إذا نظر في المصحف ليقرأ بدأ فقال : اللهم أنت هديتني ، ولو شئت لم أهتد ، لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

تنبيه : قال العلماء : فائدة القراءة من الحفظ قوة الحفظ ، وثبات الذكر ، وهي أمكن للتفكر فيه . وفائدة القراءة في المصحف الاستثبات ، لا يخلط بزيادة حرف ، ولا إسقاط حرف ، أو تقديم آية أو تأخيرها . وأيضاً فإنه يعطي عينيه حظها منه ، فإن العين تؤدي للنفس ، وبين النفس والصدر حجاب ، والقرآن في الصدر ، فإذا قرأه عن ظهر قلبه ، فإنه يسمع أذنه فيؤدي إلى النفس ، وإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء، وذلك أوفى للأداء ، وكانت العين قد أخذت حظها ، كالأذن ويقضي حق المصحف ، لأن المصحف لم يتخذ ليهمل ، وله على الانفراد حق ، فلا يقرأ إلا على طهارة ، ألا ترى أن المحدث منهي عن مسه ، وكانت القراءة في المصحف أولى وأفضل .

ومنها : أن لا يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا . وروى هشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : كان يكره أن يتأول شيئاً من القرآن عندما يعرض له شيء من الدنيا . والتأويل مثل قولك إذا جاء : ﴿ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٤٠] . أو عند رفع الإنسان شيئاً : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ ﴾ [البقرة : ١٢٧] . ومثل قوله : ﴿ كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ في الأيَّامِ الخَالِيَةَ ﴾ [الحاقة : ٢٤] . هذا عند حضور الطعام وأشباه هذا .

ومنها : أن لا يقال : سورة كذا وكذا ، كقولك : سورة ﴿ النحل ﴾ وسورة ﴿ البقرة ﴾ وسورة ﴿ النساء ﴾ ، ولكن يقال : السورة التي يذكر فيها كذا . ذكره الترمذي الحكيم وغيره .

قال المؤلف رحمه الله : هذا يعارض ما ثبت في « الصحيحين » عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الآيَتَانِ مِنْ

آخِرِ سُورَةِ البَقَرةِ مَنْ قَرأَ بِهِما فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ » [1] وسيأتي .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن مسعود : « هَذا وَالَّذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ مَقَامُ الَّذي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ البَقَرَةِ » [2] .

وإذا ثبت هذا ، فالقول به أولى . والقول الأول إنما هو قول الحجاج واختياره ، ثبت ذلك عنه في « صحيح مسلم » وغيره [3] .

ومنها : أن لا يتلى منكوساً ، كفعل معلِّم الصبيان يلتمس بذلك أحدهم أن يري الحذق من نفسه والمهارة ، وذلك محرم ومجانة من فاعله ، فإن فيه إخراج القرآن عن وصفه ونظمه ، وإبطالاً لإعجازه .

ومنها : أن لا يقعر في كلامه ، كفعل هؤلاء الهمزيين المبتدعة المتنطعين في إبراز الكلام ، من تلك الأفواه المنتنة تكلفاً ، فإن ذلك محدث ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه .

ومنها بأن لا يقرأ بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ، ولا بترجيع اليهود والنصارى ، ولا نوح الرهبانية فان ذلك زيغ ، وقد تقدَّم .

ومنها : أن لا يخلل تخطيطه اذا خطه ، وعن أبي حكيمة أنه كان يكتب

---

(١) رواه البخاري ٩/ ٥٠ و٥١ في فضائل القرآن: باب فضل سورة البقرة ، وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (٨٠٧) و(٨٠٨) في صلاة المسافرين : باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأبو داود رقم (١٣٩٧) في الصلاة : باب تحزيب القرآن ، والترمذي رقم (٢٨٨٤) في ثواب القرآن : باب ما جاء في آخر سورة البقرة ، وابن ماجه رقم (١٣٦٩) في إقامة الصلاة : باب ما جاء فيما يرجى أن يكفي من قيام الليل ، وأحمد في « المسند » ٤/ ١١٨و١٢١ و١٢٢ .

(٢) رواه مسلم رقم (١٢٩٦) في الحج : باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي ، ورواه أيضاً النسائي ٥/ ٢٧٣ في الحج : باب المكان الذي ترمي منه جمرة العقبة . وابن ماجه رقم (٣٠٣٠) في المناسك : باب من أين ترمي جمرة العقبة .

(٣) رواه مسلم رقم (١٢٩٦) في الحج : باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي .

المصاحف بالكوفة ، فمر به علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فنظر إلى كتابته فقال له : أجل قلمك : أي قطه ، فأخذت القلم فقطعت من طرفه وكتبت وعليٌّ ينظر ، فقال : هكذا نوِّره كما نوَّره الله عز وجل .

قال العلماء : وذلك أشبه بالإجلال والتعظيم ، ألا ترى إلى الناس اذا أرادوا مكاتبة ملك أو سلطان تحروا لها من القراطيس أكبرها وأمتنها وانقاها ، ومن الخطوط أحسنها وأفخمها ، ومن المداد أبرقه وأشده سواداً ، وفرجوا السطور ولم يقرمطوها لئلا يكون قد ضنوا بشيء مما كانت الحاجة إليه في مكاتبته ، فيكونوا قد ضيعوا قدره . فكتاب الله تعالى أولى بمثل ذلك التبجيل .

وأيضاً فإن الكتاب كلما كان أكبر ، كان من الضياع أبعد .

ومنها أن لا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما سمع ويكون كهيئة المغالبة .

وخرج النبي ﷺ على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقرآن فقال : « إنَّ المُصَلِّي مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ ، وَلَا يَجْهَرَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالقُرْآنِ »[1] وقال ﷺ : « مَالِي أُنَازَعُ القُرْآنَ »[2] .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ١/٨٠ في الصلاة : باب العمل في القراءة من حديث أبي حازم البياضي، ورواه أحمد في«المسند»٣/٩٤و١٠٩وأبو داود رقم(١٣٣٢) في الصلاة: باب رفع الصوت بالقراءة في الليل بمعناه من حديث أبي سعيد الخدري ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢/٢٤٠ و٢٨٤ و٢٨٥ و٣٠٢ و٤٨٧ ومالك في « الموطأ » ١/٨٦ في الصلاة : باب ترك القراءة خلف الإمام ، وأبو داود رقم (٨٢٦) في الصلاة : باب من كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام ، والترمذي رقم (٣١٢) في الصلاة : باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة ، والنسائي ٢/١٤٠ و١٤١ في الافتتاح : باب ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر به ، وابن ماجه رقم (٨٤٨) في إقامة الصلاة : باب إذا قرأ الإمام فانصتوا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

وقال في حديث آخر : « قَدْ عَلِمْتُ أَنْ بَعْضَكُمْ قَدْ خَالَجنِيهَا »[1] فهذا حكم كل مصل وقارىء ، فلا ينبغي لمصل غيره أو قارىء سواه أن يخلط قراءته عليه .

ومنها : أن لا يماري ولا يجادل في القرآت ، ولا يقول لصاحبه : ليس كذا هو ، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة في القرآن فيكون قد جحد كتاب لله . قاله الترمذي الحكيم .

ومنها : أن لا يقرأ في الاسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء . ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم ﴿ إِذَا مَرُّوا باللَّغْو مَرُّوا كِرَاماً ﴾ [الفرقان ٧٢] هذا المرور بنفسه ، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو ومجمع السفهاء .

ومنها : أن لا يسأل به أحداً من الناس شيئاً من الدنيا ، وقد تقدم . وقد قيل : إن وجه الكراهة في هذا ، أنه ربما لم يعط ، فيكون قد عرض كتاب الله لأن يرد المتوسل به ، وفي ذلك بعض الغض من حرمته ، أو يكون إذا التمس بالقرآن مالاً كانت منزلته كمنزلة من يلتمس بالصلاة مالاً ، وذلك لا معنى له .

ومنها : أن لا يقرأ في الحمام ، لما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : شر البيوت الحمام ، نزع من أهله الحياء ، فلا يقرأ فيه

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٩٨) في الصلاة : باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة خلف إمامه ، وأحمد في «المسند» ٤/٤٢٦ و٤٣١ و٤٤١ وأبو داود رقم (٨٢٦) في الصلاة : باب من رأى القراءة إذا لم يجهر ، والنسائي ٢/١٤٠ في الافتتاح : باب ترك القراءة خلف الإمام فيما لم يجهر فيه .

القرآن . وعن عبد الله بن مسعود أنه كره القراءة في الحمام . وعن جماعة من التابعين مثله .

والقراءة في الكنف وفي المواضع المكروهة القذرة أشد كراهة ، ألا ترى أنه تكره القراءة لمن أكل الثوم أو البصل أو الكراث ، ويؤمر القائم من الليل ، أو الطويل من الأزم : أن يستاك وينظف فمه قبل أن يقرأ القرآن لما يخالط من الريح الكريهة قراءته . والقراءة في حال قضاء الحاجتين ، فإن النبي ﷺ لم يردَّ السلام على من سلم وهو يبول ، وقال له بعد ذلك : « إِذَا رَأَيْتَنِي عَلَىٰ هَذِهِ الحَالَةِ فَلاَ تُسَلِّمْ عَلَيَّ ، فَإِنَّكَ إِن سَلَّمْتَ عَلَيَّ لَمْ أَرُدَّ عَلَيْكَ »[1] فالقراءة أولى بالكراهة من رد السلام ، والله أعلم .

ومنها : أن لا يتوسد المصحف ، ولا يعتمد عليه ، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله إياه ، فان ذلك امتهانة له ، وقلة احترام .

ومنها : أن لا يصغر المصحف بكتابة ولا باسم . وروى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي الله عنه قال : لا يصغر المصحف . وذكر ابن الأنباري عن عمر رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً فقال : من كتب هذا ؟ قال رجل : أنا ، فضربه بالدرة وقال : عظِّموا القرآن .

قال العلماء ، ومن المساهلة فيه ، وترك الحفل به : أن يصغر فيكون عرضة للأيدي الخاطئة ، وذوي الأمانات المختلفة الناقصة ، ولن يفعل هذا أحد بما عنده إلا إذا قل مقداره عنده ، وخف على قلبه أمره . وروي عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقال : مُسَيْجِد ومَصَيْحِف .

ومنها : أن لا يخلط فيه ما ليس منه ، كعدد الآيات ، والسجدات ،

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٥٢) في الطهارة : باب الرجل يسلم عليه وهو يبول من حديث جابر . وإسناده ضعيف ، لكن للحديث شاهد بمعناه من حديث عمر قال : مر رجل على النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه ، رواه مسلم وأصحاب السنن .

والعشرات ، والوقوف ، واختلاف القراءات ، ومعاني الآيات ، لأن النبي ﷺ كان يأمر بإثبات ما ينزل من القرآن ، فلم يحفظ أنه أمر بإثبات آيات السور أو العواشر أو الوقوف . وأمر أبو بكر الصديق رضوان الله عليه بجمع القرآن من اللخف[1] والعسب[2] وقطع الأدم ، ونقله عنها إلى مصحفه[3] ، كما حفظ عن رسول الله ﷺ من ترتيب السور والآيات ، ثم اتخذ عثمان بن عفان رضي الله عنه من ذلك المصحف مصاحف ، وبعث بها إلى الأمصار ، فلم يعرف أنه أثبت فيها شيئاً سوى القرآن ، فكذلك ينبغي أن يفعل في كتابة كل مصحف .

ومنها : أن لا يحلى بالذهب ، ولا يكتب بالذهب ، فيخلط به زينة الدنيا ، وروى مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يكره أن يحلى المصحف ، أو يكتب بالذهب ، أو يعلم عند رؤوس الآي ، أو يصغر . وقال ابن عباس ـ ورأى مصحفاً قد زين بالفضة : ـ تغرون به السارق وزينته في جوفه . ورأى عبد الله بن مسعود مصحفاً مزيناً بالذهب ، فقال : إن أحسن ما زينت به المصحف تلاوته ليلاً ونهاراً في الخلوة .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ »[4] .

ومنها : أن لا يكتب على أرض ، ولا حائط ، كما يفعل في هذه المساجد المحدَثة .

وروى ابن المبارك ، عن سفيان ، عن محمد بن الزبير ، قال : سمعت

---

(١) وهي الحجارة الرقاق .

(٢) بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل .

(٣) رواه البخاري بنحوه ٩/١١ في فضائل القرآن : باب جمع القرآن .

(٤) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ونسبه للحكيم الترمذي ، قال المناوي في « الفيض» ١/ ٣٦٦ : وإسناده ضعيف قال الألباني في صحيح الجامع حديث حسن ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٥١) .

عمر بن عبد العزيز يحدث عن رسول الله ﷺ قال : مر رسول الله ﷺ بكتاب في الأرض ، فقال لشاب من هذيل : « مَا هٰذَا » ؟ قال : من كتاب كتبه يهودي ، قال :« لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هٰذَا ، لَا تَضَعُوا كِتَابَ اللهِ إِلَّا مَوْضِعَهُ »[1] .

قال محمد بن الزبير : ورأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط ، فضربه .

ومنها : أن يفرح بالقرآن فرح الغني بغناه ، وذي السلطان بسلطانه ، فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ وأَنْزَلَ الله عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ والحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء : ١١٣] وقال لعيسى : ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلىٰ وَالدتك إذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وكَهلاً وإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة : ١١٤] . وسمى القرآن نوراً وشفاءً ورحمة ، وسماه مباركاً وهدى ، فمن أنعم به عليه ويسره له وليتعلمه ويقرأه ، فقد أشركه مع نبيه في علمه ، وإن كان لم يشركه معه في جهة الإنباء والتعليم ، فإن لم يعظم المنعم عليه هذه النعمة ويعرف قدرها ، فهو من أجهل الجاهلين . قال ﷺ : « مَنْ أُعْطِي ثُلُثَ القُرْآنِ فَقَدْ أُعْطِي ثُلُثَ النُّبُوَةِ » . . . الحديث[2] .

ومنها : أن لا يكتب التعاويذ منه ، ثم يدخل به الخلاء ، إلا أن يكون في غلاف من أدم أو فضة أو غيره ، فيكون كأنه في صدره .

ومنها : إذا كتبه أو شربه ، يسمي الله تعالى على كل نفس ، وعظم النية فيه ، فإن الله عز وجل يؤتيه على قدر نيته .

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للحكيم الترمذي .

(٢) هو جزء من حديث طويل ذكره الخطيب في « تاريخه » وقد تقدم تخريجه في ص (٧٤) رقم (١) .

وروى الليث عن مجاهد قال : لا بأس أن يكتب القرآن ، ثم يسقيه المريض .

وعن أبي جعفر قال : من وجد في قلبه قساوة فليكتب ﴿ يسٓ ﴾ في جام بزعفران ثم يشربه .

ومنها : أن لا يقال : سورة صغيرة ولا كبيرة . يروي عن أبي العالية أنه كره أن يقال : صغيرة أو كبيرة . وقال لمن سمعه : أنت أصغر منها ، وأما القرآن فكله عظيم . ذكره مكي[1] .

قال المؤلف رحمه الله : قد روى أبو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : « ما من المفصل سورة كبيرة ولا صغيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة »[2] .

ومنها : أن يعترف لله عز وجل بما عبر به عن نفسه ، لما روي أن النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فبلغ ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ ﴾ قال : بلى[3] . وقيل : كان يقول : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبَلَىٰ »[4] وقيل : كان

---

(١) في « الرعاية » ص ٦٢ .

(٢) رواه أبو داود رقم (٨١٤) في الصلاة : باب من رأى التخفيف في القراءة في المغرب ، وإسناده حسن .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٦/٣٦٧ ونسبه لعبد من حميد بن حديث قتادة ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » .

نقول : وإسناده منقطع . ورواه الترمذي رقم (٣٢٤٤) في التفسير : باب ومن سورة التين من حديث إسماعيل بن أبي أمية قال : سمعت رجلاً بدوياً أعرابياً يقول : شمعت أباهريرة يرويه يقول: « من قرأ سورة والتين والزيتون فقرأ ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل : بلى وانا على ذلك من الشاهدين » . قال الترمذي : هذا حديث إنما يروى بهذا الاسناد عن هذا الاعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى .

(٤) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٦/٣٦٧ وزاد نسبته لابن مردويه بمثله . وذكره أيضاً من وجه آخر من حديث جابر ونسبه لابن مردويه .

يقول : « سُبْحَانَكَ وَبَلَى »[1] .

وإذا قرأ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] قال : « آمنت بالله وبما أنزل »[2] .

وقرأ في الصلاة : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ٨] فقال : « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها ، أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلَاها »[3] .

وقال علقمة : صليت إلى جانب عبد الله ، فاستفتح ﴿ طه ﴾ فلما أتى على هذه الآية : ﴿ وَقُلْ : رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ [طه : ١١٤] فقال : رب زدني علماً . ثم ختمها فركع .

وقال ابن عمر : إذا قرأت : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ ، فقل : أعوذ برب الفلق، وإذا قرأت: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾، فقل : أعوذ برب الناس .

وكان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾ بكى ثم قال : بلى يا ربي ، بلى يا ربي . وكان معاذ ابن جبل إذا ختم سورة البقرة قال : آمين ، كما يقول إذا ختم الفاتحة .

* * *

---

(١) ذكر السيوطي في « الدر المنثور » ٣٦٧/٦ ونسبه لابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس موقوفاً .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣٦٧/٦ ونسبه لعبد عن حميد بن صالح أبي الخليل .

(٣) هو جزء من الحديث رقم (٣) في الصفحة السابقة .

(٤) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٨/٧ في التفسير ونسبه للطبراني من حديث ابن عباس وقال : وإسناده حسن ، وقد جاء هذا الدعاء في جملة حديث رواه أحمد في « المسند » ٣٧١/٤ ومسلم رقم (٢٧٢٢) في الذكر من حديث زيد بن أرقم دون ذكر الآية ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : . . . وذكر الحديث .

البابُ الرابع والثَّلاثون

فيما جاء في حامل القرآن وما هو، ومن هو، وفيمن عاداه

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب « بيان العلم » له : روي من وجوه فيها لين عن النبي ﷺ أنه قال: « مِن تَعْظِيمِ جَلَالِ اللهِ إكْرامُ ثَلاثَةٍ: الإمامِ المُقْسِطِ ، وَذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرَ الغَالِي فِيهِ ، وَلَا الجَافِي عَنْهُ »[1] . قال أبو عمر : وحملة القرآن هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه ، والعاملون به .

قال المؤلف رحمه الله : ما أحسن هذا !! وهذا هو الكمال على ما تقدم .

وفي الترمذي : عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا آمَنَ بِالقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ »[2] . وهذا الحديث وإن كان إسناده ليس بذاك ، فمعناه صحيح ، والله أعلم .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٤٣) في الأدب : باب في تنزيل الناس منازلهم ، والبيهقي في «شعب الايمان» وهو حديث حسن كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٩٥) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩١٩) في ثواب القرآن : باب رقم (٢٠) قال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بالقوي وقد خولف وكيع في روايته ، قال محمد ـ يعني البخاري ـ أبو فروة يزيد بن سنان الرهاوي ليس بحديثه بأس إلا رواية ابنه محمد عنه فإنه يروي عنه مناكير ، وقال الترمذي : وقد روى محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه هذا الحديث فزاد في هذا الإسناد عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن صهيب ولا يتابع محمد بن يزيد على روايته وهو ضعيف وأبو المبارك رجل مجهول .

قال أبو عمر : وروى أنس أن النبي ﷺ قال : « القُرْآنُ أَفْضَلَ مِن كُلِّ شَيْءٍ ، فَمَنْ وَقَّرَ القُرْآنَ فَقَدَ وَقَّرَ الله ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالقُرْآنِ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ ، حَمَلَةُ القُرْآنِ هُمْ المَحْفُوفُونَ بِرَحْمَةِ اللهِ ، المُعَظِّمُونَ كَلاَمَ اللهِ ، المَلبَسُونَ نُورَ الله ، فَمَنْ وَالاَهُمْ فَقَدْ وَالَىٰ الله ، وَمَنْ عَاداهم فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[1] .

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ القُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيلِ »[2] .

وعن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « الغُزَاةُ فُرُطُ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَالأَنْبِيَآءُ سَادَاتُ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَحَمَلَةُ القُرْآنِ عُرَفاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ »[3] .

وروى وكيع بن الجراح عن الأعمش عن زيادة بن عاصم عن زر[4] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَكْرِمُوا حَمَلَةَ القُرْآنِ ، فَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنِي ، وَمَنْ أَكْرَمَنِي فَقَدْ أَكْرَمَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَنْصِتُ لِلْقُرْآن وَيَسْتَمِعْ مِنْ أَهْلِهِ ، أَلاَ وَلاَ تَنْقِصُوا حَمَلَةَ

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لأبي نصر السجزي في « الإبانة » عن عائشة وقال : قال أبو نصر : هذا من أحسن الحديث وأغربه وليس في إسناده إلا مقبول ثقة ، ونسبه السيوطي أيضاً للحكيم عن محمد بن علي مرسلاً والحاكم في « تاريخه » عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب موصولاً ..

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦١/٧ ونسبه للطبراني وقال : وفيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف ، وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للشيرازي في « الألقاب » والبيهقي ، وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٩٧٢) : موضوع .

(٣) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه لابن النجار من حديث أبي هريرة .

(٤) في المطبوع : بالذال المعجمة ، وهو خطأ .

الْقُرْآنِ حُقُوقَهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ اللهِ بِمَكانٍ ، كَادَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ ، التَّالِي وَالسَّامِعُ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ مِمَّا دُونَ الْعَرْشِ إِلَىٰ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ ، التَّالِي وَالسَّامِعُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ صَبِيرِ ذَهَبٍ » قيل : يا رسول الله وما صبير ذهب ؟ قال : « مِثْلَ أُحُدٍ فِي الْمِيزَانِ » خرجه الوائلي في كتاب « الإبانة » له . وقال : هذا حديث غريب جداً من رواية الأكابر عن الأصاغر[1] .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : لا تستعملوا على شيء من أعمالي إلا أهل القرآن ، فكتبوا إليه : استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خانة[2] ، فكتب إليهم : لا تستعملوا إلا أهل القرآن ، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير ، فغيرهم أحرى أن لا يكون عندهم خير .

وقال الحسن : ثلاثة يوسع لهم في المجلس ، ذو الشيبة في الإسلام ، وحامل القرآن ، والإمام المقسط ، وروي مرفوعاً[3] .

* * *

(١) وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ونسبه للديلمي في « مسند الفردوس » من حديث ابن عمرو وقال المناوي في « فيض القدير» ٢/ ٩١ ، قال الديلمي : غريب جداً من رواية الأكابر عن الأصاغر وقال السخاوي : وفيه من لا يعرف وأحسبه غير صحيح .
وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٢٣٣) : موضوع .

(٢) جمع خائن ، ويجمع أيضاً على خونة ، وخوان .

(٣) تقدم تخريجه ص (١٩٦) رقم (١) .

البابُ الخامس والثّلاثون

في البكاء من خشية الله عند تلاوة القرآن ، وسماعه، وفيما يحمل على ذلك

روى البخاري : عن عبد الله[1] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إقرأ عليَّ » قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟؟ قال : « إنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعُهُ مِنَ غَيْرِي » ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغتُ : ﴿ فَكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤلاَء شَهِيداً ﴾ [النساء : ٤١] قال : « أَمْسِكْ » فإذا عيناه تذرفان [1] . وأخرجه مسلم وقال بدل قوله : « فأمسك » : رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي ، فرفعت رأسي ، فرأيت دموعه تسيل [2] .

فصــل

قال علماؤنا : بكاء النبي ﷺ : إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع ، وشدة الأمر ، إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ، ويؤتى به ﷺ شهيداً على أمته وغيرهم ، ولهذا قال العلماء : يجب على القارىء إحضار قلبه ، والتفكر عند قراءته ، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده ، فمن قرأه ولم يتفكر فيه وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكر ، كان كمن لم يقرأه ، ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته ، فإن القرآن يشتمل على آياتٍ مختلفة الحقوق ، فإذا ترك التفكر والتدبر فيما قرأ استوت الآيات كلها عنده ، فلم يرع لواحدة منها حقها ، فثبت أن التفكر شرط في القراءة يتوصل به إلى إدراك أغراضه ومعانيه ، وما يحتوى عليه من عجائبه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّروا

---

(١) هو ابن مسعود .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٦٦) رقم (٢) .

آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ ﴾ [ص : ٢٩] وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] وأيضاً فإن ترديد الآية والتخشع والبكاء عندها سنة القارىء ، فإذا لم يعرف ما يقرأ لغفلته أو لجهله به لم يميز موضع الترديد ، ولا جاءت عينه بدمع ، فصح أن سُنَّته إذا كان عالماً باللسان ، فهماً ، مميزاً : أن يقرأ متفكراً .

ويوضحه ما روي ، أن النبي ﷺ لم يزل يردد هذه الآية حتى أصبح : ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] [1] .

وقال محمد بن كعب : لأن أقرأ ﴿إذا زلزلت﴾ و ﴿القارعة﴾ أرددهما وأتفكر فيهما ، أحب إلي من أن أبيت أَهُذُّ القرآن .

وقال سعيد بن عبيد الطائي : سمعت سعيد بن جبير يؤمهم في شهر رمضان ، وهو يردد هذه الآية : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إذْ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ في الحَمِيم ثُمَّ في النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[غافر: ٧٢][2] .

وقال القاسم : رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلي فقرأ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَاً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلىٰ الله ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] فرددها بضعاً وعشرين مرة ، وكان يبكي بالليل حتى عمش .

وقال الحسن : يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همك في آخر سورتك .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/١٤٩ والنسائي ٢/١٧٧ في افتتاح الصلاة : باب ترديد الآية من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في « المصنف » وابن مردويه والبيهقي في « السنن » والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٥/٣٥٧ ونسبه لابن أبي شيبة .

وقال بعضهم : بعثتني أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها إلى السوق ، وافتتحت سورة ﴿ والطور ﴾ ، وانتهت إلى قوله تعالى : ﴿ وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور : ٢٧] وذهبت ورجعت وهي تكرر هذه الآية .

وقال رجل من قيس يكنى أبا عبد الله : بتنا ذات ليلة عند الحسن ، فقام من الليل ، فصلى ، فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا ﴾ [ابراهيم : ٣٤] فلما أصبح قلنا : يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل ؟ قال : أرى فيها معتبراً ، ما أرفع طرفاً ولا أرده إلا وقد وقع على نعمة ، وما لا يعلم من نعم الله أكثر .

وقال أبو سليمان : ما رأيت أحداً الخوف على وجهه والخشوع أظهر من الحسن بن صالح بن صالح بن حي[1] ، قام ليلة إلى الصباح بـ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ، ثم غشي عليه ، ثم عاد فعاد إليها فغشي عليه ، فلم يختمها حتى طلع الفجر .

وإذا تقرر هذا ، حمله على البكاء والخشوع معرفة ما يقرأ لإحضار قلبه ، والتذكر عند قراءته ، وقد قال ﷺ : « إِنَّ هَذَا القُرْآنَ نَزَلَ بِحَزَنٍ فَإِذا قَرَأْتُمُوهُ فابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا» وقد تقدم .

وجاء أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجبون منه وينظرون إليه ، وكان رجلاً بكاءً لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن .

وكان عمر بن الخطاب يصلي بالناس ، فبكى في قراءته حتى انقطعت

---

(١) هو الحسن بن صالح بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي أبو عبد الله كان فقيهاً مجتهداً ، ومن رجال الحديث الثقات ، وكان من أقران الثوري ، له كتب منها : « التوحيد » و« الجامع » في الفقه ، توفي رحمه الله متخفياً سنة ١٦٨ هـ .

قراءته ، وسمع نحيبه من وراء ثلاث صفوف .

وقرأ ابن عمر ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، فلما أتى على قوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها .

وقال ابن أبي مليكة : كان ابن عباس يقوم نصف الليل ، فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً ، ثم حكى قراءته ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] قال : ثم بكى حتى سمع له نشيج .

ومر النبي ﷺ بشاب يقرأ : ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ ﴾ [الرحمن : ٣٧] فوقف واقشعر وخنقته العبرة فجعل يبكي ويقول : ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي ، فقال النبي ﷺ : « مَثِّلْها يا فَتَىٰ أَوْ لَا تُمَثِّلْهَا ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ : لَقَدْ بَكَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ لِبُكَائِكَ » [(١)] .

فصل

قال القاضي أبو بكر بن العربي : ورأيت من يعيب البكاء ويقول : إنه صفة الضعفاء ، والنبي ﷺ قد مدحه فقال : « عَيْنَانِ لَنْ تَمسُّهما النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله ، وَعَيْنٌ سَهِرَتْ فِي سَبِيل الله »[(٢)]. وكان أبو بكر رضي الله عنه أسيفاً ، إذا قرأ بكى شوقاً وخوفاً .

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسب لمحمد بن نصر من حديث لقمان بن عامر الحنفي عن النبي ﷺ . نقول : وإسناده منقطع ، فإن لقمان بن عامر لم يدرك النبي ﷺ .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٦٣٩) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله من حديث ابن عباس ، قال الترمذي : وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة ، وحديث ابن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق ، ورواه الطبراني في « الأوسط » من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٩٩٠ ـ ٣٩٩٢) .

وكان عبد الله بن عمرو يكثر من البكاء ، ويغلق عليه بابه حتى رمضت عيناه .

قال المؤلف رحمه الله : مدح الله البكائين في كتابه عزّ وجلّ مخبراً عن الأنبياء ومن انضاف إليهم من الأولياء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ [الإسراء : ١١٧] ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ [مريم : ٥٨] وقال : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ [الإسراء : ١٠٩] وأخبر أن البكاء يزيدهم خشوعاً ، والذين أوتوا العلم هم أهل الخشية كما قال في تنزيله : ﴿ إِنَّما يَخْشَىٰ الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَماءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] فأعلمهم بالله أشدهم له خشية . ولهذا قال ﷺ : « والله إِنِّي لَأَخْشاكُمْ لله وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي »[1] .

وكان ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء . وقد تقدم .

وقد ذكرنا عن جماعة من الصحابة ، وعن كثير من التابعين أنهم بكوا ، فكيف يقال : إنه من صفة الضعفاء ، وفي التنزيل : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] والنبي ﷺ بكى رهبة لذلك اليوم ، وهؤلاء بكوا شوقاً إلى الله تعالى حين سمعوا كلامه .

وقد مدح الله تعالى قوماً بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّون للأَذْقَانِ سُجَّداً ﴾ الآيتين [الإسراء : ١١٧ و١١٨] .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ١/٢٨٩ في الصيام : باب ما جاء في صيام الذي يصبح جنباً في رمضان ، وأحمد في « المسند » ٦/٦٧ و١٥٦ و٢٤٥ ومسلم رقم (١١١٠) في الصيام : باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب .

وذم قوماً آخرين بقوله تعالى : ﴿ والَّذينَ إذَا ذُكِّروا بِآيَاتِ رَبِّهِم لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً ﴾ [الفرقان : ٧٣] وهم على أقسام : منهم الكفار ، ومنهم الغافلون ، ومنهم الذين ورد ذكرهم في الأثر ينثرونه نثر الدقل ، يتعجلونه ولا يتأجلونه ، يمرون عليه بغير فهم ولا تدبر ، صم عن سماعه ، عمي عن رؤ ية عبره .

ومنهم من يقيم حروفه في مخارجها ، ومنهم من يقبل على جمع القراآت يجمعها ، وليته جمع الصحيح منها أو عرف كيف يجمعها ، كله مذموم ، وإقبال على ما لا يحتاج إليه ، وإعراض عما يلزم .

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ ، تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع أعمالهم ، يقرؤ ون القرآن لا يجاوز حناجرهم يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ فِي الفَوْقِ فَلاَ يَرَىٰ شَيْئاً ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي القَدْحِ فَلاَ يَرَىٰ شيئاً ، وَيَنْظُرَ في الرِّيشِ فَلاَ يَرَىٰ شَيْئاً ، وَيَتَمارىٰ فِي الفُوْقِ فَلاَ يَرَىٰ شَيْئاً » (١) .

فقوله ﷺ : « لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ » يقول : لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل والشارب بالمأكول والمشروب مما لا يجاوز حنجرته .

وقد قيل : إن معنى ذلك : أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم ولا يعتقدونه بقلوبهم .

---

(١) رواه البخاري ٩/٨٦ في فضائل القرآن : باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به ، وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (١٠٦٤) و(١٠٦٥) في الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم و« الموطأ » ١/٢٠٤ في القرآن : باب ما جاء في القرآن ، وأبو داود رقم (٤٧٦٤) في السنة : باب في قتال الخوارج ، والنسائي ٥/٨٧ في الزكاة : باب في المؤلفة قلوبهم ، وفي تحريم الدم : باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس ، وأحمد في « المسند » ٣/٣٣ و٣٤ .

فصـل

قال المؤلف رحمه الله : وقد جاء في البكاء من خشية الله تعالى أحاديث وأخبار رأيت أن نذكر منها في هذا الباب ما فيه كفاية .

فمن ذلك ما خرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِن خَشْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ يَعُودُ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ ،وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله ودُخَانُ جَهَنَّمَ »[1] . قال : وفي الباب عن أبي ريحانة وابن عباس قال : هذا حديث حسن صحيح ، وروى النسائي عن أبي ريحانة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حُرِّمَتْ عَلَىٰ النَّارِ عَيْنٌ دَمعَتْ مِن خَشْيَةِ الله ، وَحُرِّمَتْ عَلَىٰ النَّارِ عَيْنٌ سَهِرَتْ في سَبِيلِ الله » . ونسيت الثالثة ، وسمعت بعد أنه قال : وَحُرِّمَتْ عَلَىٰ النَّارِ عَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحارِمِ الله[2] .

وخرج ابن ماجه قال : حدّثنا ابن أبي فديك قال : حدّثنا حماد بن أبي حميد الزرقي ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ ـ وإن كَانَ مِثْلَ رَأسِ الذُّبَابِ ـ مِنْ خَشْيَةِ الله تَعَالَىٰ ثُمَّ تُصِيبُ شَيْئاً

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٦٣٣) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ، ورقم (٢٣١٢) في الزهد : باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ، ورواه أحمد في « المسند » ٢/٥٠٥ ، والنسائي ٦/١٢ في الجهاد : باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٦٥٥) .

(٢) رواه النسائي مختصراً ٦/١٥ في الجهاد باب ثواب عين سهرت في سبيل الله عز وجل بلفظ : « حرمت عين على النار سهرت في سبيل الله » ، ولفظ « المصنف » رواه الدارمي رقم (٢٤٠٥) في الجهاد : باب في الذي سهر في سبيل الله حارساً ، ورواه أيضاً بنحو رواية الدارمي وبأطول منه أحمد في « المسند » ٤/١٣٤ وفي سنده محمد بن شمير لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات . وكذا ضعف الحديث الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٧٠٥) .

مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ الله عَلَىٰ النَّارِ »[١] .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ « إنَّ هَذَا القرآن نَزَلَ بِحَزَنٍ فَأبْكُوا فَإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا » وقد تقدم [٢] .

وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنِّي أَرَىٰ مَالاَ تَرَوْنَ وَاسْمَعَ مَالاَ تَسْمَعُونَ ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيها مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لله عَزَّ وَجَلَّ ، والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الفُرُش ، وَلَخَرَجْتُم إلىٰ الصُّعُداتِ تَجْأَرُونَ إلىٰ الله تَعَالىٰ ، لَوِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ » [٣] .

قال الترمذي : حدّثنا أبو حفص عمر بن علي ، قال : حدّثنا عبد الوهاب الثقفي،عن محمد بن عمرو،عن أبي سلمة،عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً »[٤] . هذا حديث صحيح .

وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس وأنس رضي الله عنهم

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤١٩٧) في الزهد باب الحزن والبكاء ، وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥١٩٩) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٦٧) رقم (١)

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٣١٣) في الزهد: باب قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً » ، وابن ماجه رقم (٤١٩٠) في الزهد: با ب الحزن والبكاء ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وأنس وهو حديث حسن كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٤٤٥) .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٣١٤) في الزهد : باب قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً » .

قال : هذا حديث حسن غريب [1] .

ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال : لوددت أني كنت شجرة تعضد [2] . وروي عن أبي ذر موقوفاً .

وروى ابن ماجه عن البراء قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة ، فجلس على شفير قبر ، فبكى حتى بل الثرى ثم قال : « يا إِخْوَاتِي لِمِثْلِ . هَذَا فَأَعِدُّوا » [3] .

وذكر الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » : وحدّثنا أبو بكر بن سابق الأموي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يذكر عن رحمة ربه تبارك وتعالى : « أنه قال لموسى عليه السلام : أَمَّا البَكَّاؤُونَ مِنْ خَشْيَتِي ، فَلَهُمْ الرَّفِيقُ الأَعْلَىٰ لَا يُشْرِكَهُمْ فِيهِ أَحَدٌ » [4] .

وروى عبد الوهاب عن ثور عن خالد بن معدان قال : ما بكى عبد من خشية الله تعالى إلا خشعت لذلك جوارحه ، وكان مكتوباً في الملأ الأعلى باسمه فلان بن فلان منور قلبه بذكر الله تعالى [5] .

وروي عن حـزم القطعي قال : سمعت مالك بن دينار يقول : الباكي من خشية الله تهتز له البقاع التي يبكي عندها وتعمره الرحمة ما دام باكياً [6] .

وروى ابن السماك قال : سمعت عمر بن ذر يقول : إن البكاء من خشية

---

(١) وهو كما قال .

(٢) ذكره الترمذي عقب حديث أبي ذر المتقدم تحت رقم (٢٣١٣) في الزهد .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤١٩٥) في الزهد : باب الحزن والبكاء ، وإسناده حسن ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٧٥١) .

(٤) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص/١٩٤ وفي سنده ضعف وانقطاع .

(٥) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص /١٩٤ .

(٦) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص /١٩٤ .

الله تعالى يبدل بكل قطرة أو دمعة تخرج من عينيه أمثال الجبال من نور في قلبه ، ويزداد في قوته للأعمال وتطفىء تلك الدموع بحوراً من النار [١] .

وروى ابن السماك عن مفضل بن مهلهل قال : بلغني أن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى ، ملئت جوارحه نوراً ، واستبشرت ببكائه ، وتداعت بعضها بعضاً : بم هذا النور ؟ فيقال : هذا غشيكم من نور البكاء .

وروي عن أشرس الهذلي قال : سمعت فرقد السبخي يقول : قرأت في بعض الكتب : أن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى ، تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولو أن عبداً جاء بجبال الأرض ذنوباً وآثاماً لوسعته الرحمة إذا بكى من خشية الله ، وإن البكاء على الجنة يشفع له الجنة تقول : رب أدخله الجنة كما بكى عليّ ، وإذا بكى خوفاً من ناره ، فالنار تستجير له من ربها عز وجل ، تقول : رب أجره مني كما استجارك مني وبكى خوفاً من دخولي [٢] .

وروي عن صالح المري[٣] أنه قال : من بكى خوفاً لله تعالى من ذنب ، غفر له ذلك الذنب ، ومن بكى اشتياقاً إلى الله تعالى ، أباحه النظر إليه متى شاء [٤] .

وروي عن هارون بن رباب أنه قال : إن البكاء مثاقيل ، لو وزن بالمثقال الواحد منها مثال جبال الدنيا ، لرجح به البكاء ، وإن الدمعة لتنحدر فتطفىء البحور من النار ، وما بكى عبد مخلصاً في ملإ إلا غفر لهم جميعاً ببركة بكائه [٥] .

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص / ١٩٤ .
(٢) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص / ١٩٤ .
(٣) في كتاب « نوادر الأصول » : وعن كعب رضي الله عنه .
(٤) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص / ١٩٤ .
(٥) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص / ١٩٤ .

وروي عن عبد الوهاب بن عطاء بن عبيدة بن حسان عن النضر بن سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن عبداً بكى في أمة من الأمم لأنجى الله تلك الأمة من النار ببكاء ذلك العبد ، وما من عمل إلا وله وزر وثواب ، إلا الدمعة فإنها تطفىء بحوراً من النار ، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله عز وجل إلا حرم الله جسدها على النار ، وإن فاضت على خده لم ترهق وجهه قترة ولا ذلة »[1] .

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : من بكى من خشية الله عز وجل غفر الله له ذنوبه ، ومن تباكى أعطاه الله عز وجل أجر الحزين المصاب .

* *

(١) ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ص/١٩٤

البابُ السَّادس والثَّلاثون
في الصعقة والخشية عن سماع القرآن وتلاوته

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣] وهذه أحوال العلماء يبكون ولا يصعقون ، ويسكتون ولا يصيحون ، ويتحازنون ولا يتماوتون .

وقال تعالى : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ [الزمر : ٢٣]وقال :﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال : ٨].

وروى الترمذي وصححه، عن العرباض بن ساريةقال : وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ . . الحديث [١] ولم يقل : زعقنا [٢] ، ولا رقصنا ، ولا زفقنا [٣] ولا قمنا .

وفي « صحيح مسلم » ، عن أنس بن مالك ، أن الناس سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه في المسألة ، فخرج ذات يوم ، فصعد المنبر فقال : « سَلُونِي ، لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ بيَّنْتُهُ لَكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا » ؟ فلما

---

(١) رواه الترمذي رقم(٢٦٧٨) في العلم : باب ماجاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤ / ١٢٦ و١٢٧ وأبو داود رقم(٤٦٠٧) في السنة : باب في لزوم السنة ، وابن ماجه رقم (٤٢) في المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، وصححه جماعة .

(٢) الزعق : الصياح ، وزعقنا : صحنا .

(٣) الزف : سرعة المشي مع تقارب الخطأ .

سمع القوم ذلك أرمُّوا ورهبوا أن يكون بين أمر قد حضر ، قال أنس : فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً ، فإذا كل إنسان لافٌّ[1] رأسه يبكي .. وذكر الحديث[2] .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فهذه أحوال العارفين بالله ، الخائفين من سطوته وعقوبته ، لا كما تفعله الجهال المبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ، ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير ، فيقال لمن تعاطى ذلك ، وزعم أن ذلك وجد وخشوع : لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ، ولا حال أصحابه في المعرفة بالله ، والخوف منه ، والتعظيم لجلاله ، ومع ذلك ، فكانت أحوالهم عند المواعظ الفهم عن الله ، والبكاء من الله عز وجل ، وكذلك وصف الله عز وجل أحوال أهل المعرفة عند سماع المواعظ وذكره وتلاوة كتابه فقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلىٰ الرَّسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ ﴾ ... الآية [المائدة : ٨٣] . فهذا وصف حالهم ، وحكاية مقالهم ، ومن لم يكن كذلك ، فليس على هديهم ، ولا على طريقهم ، فمن كان مستناً فليستن ، ومن تعاطى أحوال المجانين والمجون ، فهو من أسوئهم حالاً ، والجنون فنون .

فإن قيل : قد روي عن جماعة من السلف أنهم ماتوا عند السماع للقرآن ، وبعضهم يغشى عليه ، قلنا : ليس لنا قدوة ولا اقتداء إلا بأصحاب رسول الله ﷺ ، وقد ذكرنا حالهم وصفتهم .

وروي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : كان

---

(١) في المطبوع : لاق رأسه ، وهو تحريف ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٥٩) في الفضائل : باب توقيره ﷺ ، ورواه أيضاً بمعناه أحمد في « المسند » ١٧٧/٣ ، والبخاري ١٣/ ٣٧ و٣٨ في الفتن باب التعوُّذ من الفتن .

أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرىء عليهم القرآن كما نعتهم الله عز وجل ترى أعينهم تفيض من الدمع ، وتقشعر جلودهم ، فقيل لها : إن ناساً اليوم يقرؤ ون القرآن ، فاذا قرىء عليهم القرآن خروا مغشياً عليهم ؟ فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

قال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي : مر ابن عمر برجل من أهل القرآن ساقط ، فقال : ما بال هذا ؟ قيل : إنه إذا قرىء عليه القرآن ، وسمع ذكر الله سقط . قال ابن عمر : إنا لنخشى الله وما نسقط ، ثم قال : إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ، ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال عمر بن عبد العزيز : ذكر عند ابن سيرين الذي يصرعون إذا قرىء عليهم القرآن ، قال : بيننا وبينهم أن يعقد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجليه ، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره ، فإن رمى بنفسه ، فهو صادق !!

وقال أبو عمران الجوني : وعظ موسى عليه السلام بني إسرائيل ذات يوم ، فشق رجل قميصه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : قل لصاحب القميص : لا يشق قميصه ، فإني لا أحب المبذرين ، يشرح لي عن قلبه .

فإن قيل : فقد روى ابن أعين ، أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾ [المزمل : ١٢] فصعق[١] .

---

(١) رواه أحمد في كتاب « الزهد » له ص ٢٧ من حديث وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين عن النبي ﷺ ، وإسناده معضل ، وحمران بن أعين ضعيف ورواه أيضاً هناد=

وصح عن جماعة من السلف أنهم صرعوا عند سماع القرآن والمؤاعظ وغشي عليهم .

فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع قارئاً يقرأ : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِع﴾ [الطور : ٨] ، فصاح صيحة خر مغشياً عليه ، فحمل إلى أهله ، فلم يزل مريضاً شهراً[1] ؟

وروي عن زرارة بن أوفى قرأ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] صعق ومات في محرابه رضي الله عنه[2] .

وقرأ صالح المرِّي على أبي جهين فمات .

وسمع علي بن الفضيل قارئاً يقرأ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِين﴾ [المطففين : ٦] فسقط مغشياً عليه .

وسمع علي بن الفضيل قارئاً يقرأ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْعَالَمِين ﴾ [المطففين : ٦] فسقط مغشياً عليه .

وروي أن الربيع بن خيثم سمع قارئاً يقرأ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ

= وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وأبو عبيد في فضائله وابن أبي الدنيا في نعت الخائضين وابن جرير وابن أبي داود في « الشريعة » وابن عدي في « الكامل » والبيهقي في « شعب الإيمان » جميعاً من حديث حمران بن أعين عن أبي حرب وأبي الأسود عن النبي ﷺ ، وإسناده منقطع ، وفيه حمران بن أعين وهو ضعيف .

(١) ذكره ابن كثير في « التفسير » ٦/ ٤٣٠ قال : قال الحافظ ابو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي فذكره وصالح المري ضعيف كما قال في التقريب .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » ٢/٥٠٦ وابن سعد من حديث بهز بن حكيم قال : أمّنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير . . . فذكره .

يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ فخر مغشياً عليه ، فلم يفق إلا في اليوم الثاني من ذلك الوقت ، فسئل ابنَ مسعود رضي الله عنه في صلاته ، فقال : لا إعادة عليه .

وروي أن رجلاً صلى وراء إمام فقرأ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِين﴾ [المطففين : ٦] فخر الرجل وراءه مغشياً عليه ، فلما سلم الناس ألفوه ميتاً .

وحكي عن الجنيد رحمه الله قال : دخلت على سري السقطي رحمه الله وعنده رجل قد غشي عليه ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا رجل سمع رجلاً يقرأ آية من كتاب الله عز وجل فغشي عليه وقد فاتته صلاته ، فقلت : اقرأ عليه هذه الآية التي سمعها ، قال : فقرأتها عليه ، فأفاق .

قال سريّ : فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال : ألا ترى أن نبي الله يعقوب عليه السلام لما ذهب بصره على يوسف عليه السلام ، وببشرى ذلك المخلوق رجع إليه بصره ، ولو كان ذهب بصره على الحق ، ما رجع إلا من حيث الحق ، والحق لا يظهر إلا في دار الحق في دار البقاء بأبصار البقاء .

قلنا : لا ننكر أنِ يجد بعض الفضلاء والصالحين مثل هذه لغلبة الخشية والخوف ، والحق ما ذكرناه أولاً ، فإن كنت يا من لُبِّس عليه تَدَّعي أنك على نعتهم ، فمت كموتهم ، فتنبَّه لبهرجك ، فإن الناقد بصير ، والمحاسب خبير .

ثم يقال لمن صرخ في حال خطبة الجمعة : إن كنت قد ذهب عقلك حال صعقتك ، فقد خسرت صفقتك ، إذ قد سلب عقلك ، وذهب فهمك ، ولحقت بغير المكلفين من الصبيان والمجانين، وصرت كأحدهم ، بل أخسر لأنك حرمت سماع الموعظة ، وشهود الجمعة .

وقد قال مشايخ الصوفية رضي الله عنهم : مهما كان الوارد مانعاً من

القيام بالفرض ، ومانعاً من خير ، فهو من الشيطان .

ثم يلزم من ذهب عقله بأن ينتقض وضوؤه ، فإن صلى بعد تلك الغشية بوضوئه الجمعة ولم يتوضأ ، كان كمن لم يشاهد الخطبة ولا صلى ، فأي صفقة هي أخسر ممن هذه صفقته ، وأي مصيبة هي أعظم ممن هذه مصيبته !! وإن كان وقت صراخه حاضراً في عقله ، فقد تكلم في حال الخطبة ، وشوش على الحاضرين سماعها ، وأظهر بدعة في مجمع من الناس ، وحرَّضهم لأن يجب عليهم تغييرها ، فإن لم يفعلوا ، فقد عصى الله من جهات متعددة ، وحمل الناس على المعصية ، إلى ما ينضاف إلى ذلك من رياءٍ كامن في القلب ، وفسق ظاهر على الجوارح .

فنسأل الله الوقاية من الخذلان ، وكفاية أحوال المجان .

قال المؤلف رحمه الله : ولقد أخبرني بعض أصحابنا ممن أثق به ، أن الفقيه القاضي الخطيب بـ « مالقه » ، ابن الإمام القاضي عياض ، ضرب من صاح في حال الخطبة لما فرغ من صلاة الجمعة ضرباً وجيعاً وقال له : ضربتك لشهرتك لنفسك ، وتشويشك على الناس ، وكلامك حال الخطبة .

* * *

الباب السَّابع والثّلاثون
فيما جاء أن القرآن شافع مشفع

ذكر ابن المبارك في « رقائقه » ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ قال : « الصِّيامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ ، يَقُولُ الصِّيامُ : مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهوَاتِ بِالنَّهارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ القُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، يُشَفَّعَانِ »[1] .

وخرج ابن ماجه بإسناد صحيح ، عن بريدة الأسلمي ، عن النبي ﷺ قال : « يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ فيقول : أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتُ نَهارَكَ »[2] .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته : « إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق ، أو مستمع واع ، أيها الناس ! إنكم في زمن هدنة ، وإن السير بكم سريع ، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود » فقال له المقداد : يا رسول الله ! وما الهدنة ؟ قال : دار بلاءٍ وانقطاع ، فاذا ألبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفَّع وشاهد مصدَّق ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه إلى النار ، هو أوضح دليل إلى خير سبيل ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن

---

(١) ورواه أحمد في « المسند » ٢/١٧٤ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ورواه أيضاً الطبراني والبيهقي وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٧٧٦) .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٧٨١) في الأدب : باب ثواب القرآن ورواه أيضاً الحاكم ١/٦٥٥ وصححه قال البوصيري في « الزوائد » : اسناده صحيح رجاله ثقات .

حكم به عدل » .

وقد تقدم من حديث أبي مالك الأشعري أنه ﷺ : « حِجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ »[1].
ومن حديث أنس : « أَنْ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَأَخَذَ بِمَا فِيهِ ، كَانَ لَهُ دَلِيلاً وَشَفِيعاً إِلَى الجَنَّةِ »[2] .

* * *

---

(١) تقدم ص (٨٢) رقم (١) .
(٢) تقدم ص (٨٤) رقم (٢) .

البابُ الثّامِن والثّلاثون

في عظيم ذنب من حفظ القرآن ونسيه

الترمذي : عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّىٰ القَذَاةِ يُخْرِجُها الرَّجُلُ مِنَ المَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ أُوتِيها رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَها » قال : حديث غريب(١) .

وقد روي عنه ﷺ من حديث سعد بن عبادة أنه قال : « مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ لَقِيَ الله يَوْمَ القِيامَةِ أَجْذَمَ » ذكره أبو عمر : يعني منقطع الحجة .

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذا الحديث خرجه أبو داود(٢) .

وكان ابن عيينة يذهب في أن النسيان الذي يستحق صاحبه الذم ويضاف

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩١٧) في ثواب القرآن : باب رقم ١٩ ، ورواه أيضاً أبو داود رقم(٤٧٦١)في الصلاة : باب في كنس المساجد من حديث المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وذاكرت به محمد بن اسماعيل ـ يعني البخاري ـ فلم يعرفه واستغربه ، وقال محمد ـ أي البخاري ـ : ولا أعرف للمطلب بن عبد الله سماعاً من أحد من أصحاب البني ﷺ إلا قوله : حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ ، قال الترمذي : وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول : لا نعرف للمطلب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ ، وقال : قال عبد الله : وأنكر عليٌّ ابن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس ، قال المناوي : قال القرطبي : الحديث غير ثابت وقال ابن حجر : في إسناده ضعف ، لكن له شواهد وللقاضي أحمد شاكر رحمه الله كلاماً قيماً في المطلب بن حنطب في « الرسالة » ص ٩٣ ـ ١٠٣ أجملوا في الطلب

(٢) رواه ابو داود رقم ١٤٧٤ في الصلاة : باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ، والدارمي رقم (٣٣٤٣) في فضائل القرآن : باب من تعلم القرآن ثم نسيه ، وإسناده ضعيف وذكره الهيثمي في « المجمع » ١٦٧/٧ في جملة حديث من حديث عبادة بن الصامت وقال : رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف .

عليه الإثم هو الترك للعمل به ، وأن النسيان في لسان العرب : الترك . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [الأنعام : ٤٤] أي : تركوا ، وقال : ﴿ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٩] أي تركوا طاعة الله فترك رحمتهم .

قال سفيان : وليس من اشتهر بحفظ شيء من القرآن وتفلّت منه بناس إذا كان يُحلّ حلاله ويحرم حرامه .

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذا تأويل حسن جداً ، وفيه توجيه ، إلا أن الله تعالى أثنى على من كان دأبه قراءة القرآن فقال : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فتهجَّد به نافلةً لَكَ ﴾ [الاسراء : ٧٩] أي بالقرآن ، وقال : ﴿ ومِنَ اللَّيْل فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَويلاً ﴾ [الإنسان : ٢٦] وسمى القرآن ذكراً ، وتواعد من أعرض عنه ، ومن تعلّمه ثم نسيه ، فقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً ، مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فِإنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيَامَةِ وِزْراً ، خَالِدِينَ فِيهِ وسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً ﴾ [طه : ٩٩] وقال بعد ذلك : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ [طه : ١٢٤ و١٢٥] فهذا ظاهره تلاوة القرآن ، وكذلك ظاهر الحديث . وإذا كان نسيان القرآن من الذنوب بهذا المحل ، فلا احتراز منه إلا بإدمان القرآن وقال ﷺ : « يَا أَهْلَ القُرْآنِ لَا تَوسدُوا القُرْآنَ ، واتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهارِ ، وَتَغَنَّوهُ وَتَقَنَّوهُ ، وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[1] .

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للبيهقي .

قال أبو عبيد : قوله : تغنوه : اجعلوه غناكم من الفقر ، ولا تعدوا الاقلال معه فقراً .

وقوله : وتقنوه : اقتنوه كما تقتنون الأموال .

* * *

الباب التاسع والثلاثون، التاسع والثلاثون

في تحذير أهل القرآن والعلم من العجب والرياء والغيبة والفحشاء

قال الله تعالى : ﴿ واعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء : ٣٦] وقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] وقال : ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَباطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥ و١٦] قيل : نزلت في أهل الرياء . وفي الخبر : أنه يقال لهم يوم القيامة : « صمتم وصليتم ، وتصدقتم ، وجاهدتم وقرأتم ليقال ، فقد قيل ذلك » خرجه مسلم في « صحيحه »، ومعناه ولفظه عن أبي هريرة ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قالَ : فَمَا عَمِلْتَ فيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كذبت ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ : جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمر بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعلَّمَهُ ، وَقَرَأَ القُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قالَ : فَمَا عَمِلْتَ فيهَا ؟ قالَ : تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ ، قالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِىءٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ سَبِيلًا تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ

فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ »(١) خرجه الترمذي بمعناه ، وقال فيه : عن أبي هريرة : ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي ، فقال : « يا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ »(٢) .

وخرج ابن المبارك في « رقائقه » عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عباس بن عبد المطلب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ حَتَّىٰ يُجَاوِزُ البِّحَارَ وَحَتَّىٰ تُخَاضُ البِحَارُ فِي الخَيْلِ فِي سَبِيلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، ثُم يَأْتِي أَقْوامٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ فَإِذَا قَرَؤُوهُ قَالُوا : مَنْ أَقْرأُ مِنَّا ؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟» ثُمَّ التفت إلى أصحابه فقال : « هَلْ تَرَوْنَ فِي أَوْلَئِكُمْ مِنْ خَيْرٍ ؟ » قالوا : لا ، قال : « أُوْلَئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُوْلَئِكَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَأُوْلَئِكَ هُمْ وُقُودُ النَّارِ » (٣) .

وروى أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهَ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا ليصيب بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيا لَمْ يَجِدْ عُرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ » يعني ريحها . قال الترمذي : حديث حسن (٤) .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩٠٥) في الامارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، ورواه أيضاً بمثله أحمد في «المسند » ٣٢٢/٢ والنسائي ٢٣/٦ و٢٤ في الجهاد باب من قاتل ليقال : فلان جريء .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٣٨٣) في الزهد : باب ما جاء في الرياء والسمعة ، وهو حديث حسن .

(٤) ورواه أيضاً البيهقي . وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف .

(٣) ليس هو عند الترمذي كما ذكر المصنف ، وقد رواه أبو داود رقم (٣٦٦٤) في العلم : باب الحديث عن بني إسرائيل ، وابن ماجه رقم (٢٥٢) في المقدمة : باب الانتفاع بالعلم

وروى الترمذي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله مِن جُبِّ الحَزَنِ » قالوا يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال :«وَادٍ في جَهَنَّم تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائَةَ مَرَّةٍ » . قيل : يا رسول الله ، ومن يدخله ؟ قال : « القُرَّاءُ المراؤ ون بِأَعْمَالِهِمْ » قال : هذا حديث غريب .

خرجه ابن ماجه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَعوذوا بالله مِنْ جُبَ الحزن » قالوا : يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال : « وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جهنم كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمائِةِ مَرَّةٍ » قيل : يا رسول الله ومن يدخله قال : « أُعِدَّ لِلْقُراء المُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وإن مِنْ أَبْغَضَ القُرَّاءِ إلىٰ الله الَّذِينَ يَزُورُونَ الأُمَرَاءَ » قال المحاربي : الجورة[1] وخرجه أسد بن موسى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال : « تعَوَّذُوا بالله مَنِ جَبِ الحَزَنِ » قيل : يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال : وادٍ في جَهَنَّم تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةَ أَعَدَّهُ الله لِلْقُرَّاءِ المُرائِينَ » وفي رواية « أَعَدَّهُ الله لِلَّذِينَ يُراؤُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ »

وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه عليه السلام قال : « إِنَّ فِي جَهَنَّم لَوَادِياً إنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ مِنْ ذَلْكَ الوَادِي كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، إنَّ فِي

والعمل به ، وهو حديث صحيح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٣٣٨ وابن ماجه ، والبيهقي ، والحاكم ١/٨٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وله شواهد من حديث جابر وكعب بن مالك عند الحاكم .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٨٤) في الزهد : باب ما جاء في الرياء والسمعة .
ورواه ابن ماجه رقم (٢٥٦) في المقدمة : باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٤٥٩) .

ذَلْكَ الوَادِي لجباً ، إنَّ جَهَنَّمَ والوَادِي لَيَتَعَوَّذَانِ مَنْ شَرِّ ذلْكَ الجُبِّ ، وَإن فِي ذلكَ الجُبِّ لَحَيَّةٌ ، إنَّ جَهَنَّمَ والوَادِي وذَلْكَ الجُبَّ لَيَتَعَوَّذُونَ بِالله مِنْ شَرِّ تَلْكَ الحَيةِ ، أَعَدَّها الله لِلاشْقِيَاءِ مِنْ حَمَلَةِ القُرآنِ »[1] .

وأنبأنا الشيخ الفقيه الامام المحدث أبو القاسم عبد الله ، عن أبيه الشيخ الفقيه الامام المحدث أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف بن معروف الكوفي[2] قال : قرىء ، على الشيخة الصالحة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهرواني في منزلها وأنا حاضر أسمع ذلك في التاسع من رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة قيل لها : أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالي سنة اثنين وتسعين وأربعمائة فأقرت به وقالت : نعم قال : أنا أبو الحسن محمد بن زرقويه البزاز قال : ثنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصفار قال : ثنا أبو يحيى زكريا بن يحيى بن أسد المروزي قال : حدثنا معروف الكرخي قال : قال بكر بن خنيس : «إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات ، وإن في ذلك الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات ، وإن في الجب لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحية كل يوم سبعاً ، يبدأ بفسقة حملة القرآن، فيقولون : أي رب ! بدىء بنا قبل عبدة الأوثان ، قيل : ليس من يعلم كمن لا يعلم » .

وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتاب « الديباج » ، حدّثني أبو عبد الله بن مردويه، قال : سمعت الفضيل يقول : يا بني لكل شيء ديباج ، وديباج القراءة ترك الغيبة .

* * *

---

(۱) وهو حديث ضعيف .

(۲) في نسخة : ابن مغروز الكرمي ، ولينظر .

البابُ الأربعُون

في التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وآيه ، وذكر ما ورد من الأخبار في فضل سوره وآيه ، وذكر بعض منافعه

لا التفات لما وضعه الواضعون ، واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال ، وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال ، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي ، ومحمد بن عكاشة الكرماني ، وأحمد بن عبد الله الجويباري وغيرهم . قيل لأبي عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة .

قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب « علوم الحديث » له :
وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب،عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة سورة : وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه ، وأن أثر الوضع عليه لبين ، ولقد أخطأ الواحدي المفسر ، ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم [2] ،

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : وقد اقحم الناس في فضل القرآن

---

(١) علوم الحديث ص : ٩١ ط النمنكاني .

(٢) كالزمخشري في الكشاف ، والبيضاوي وأبي السعود العمادي في « ارشاد العقل السليم لمزايا الكتاب الكريم » وغيرهم وقد خرج الحافظ ابن حجر أحاديث الكشاف وابن الملقن أحاديث البيضاوي .

وسوره أحاديث كثيرة ، منها ضعيف لا يعول عليه ، ومنها ما لم ينزل الله بها من سلطان ، وأشبه ما جمع في ذلك كتاب ابن أبي شيبة ، وكتاب أبي عبيد ، وفيها باطل عظيم ، وحشو كثير .

وقد ذكر الحاكم وغيره من شيوخ المحدثين : أن رجلاً من الزهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن وسوره ، فقيل له : لم فعلت هذا ؟ فقال : رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه ، فقيل : فإن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[٣] . فقال : أنا ما كذبت عليه ، إنما كذبت له !!

قال المؤلف رضي الله عنه : فلو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء ، ورواها الأئمة الفقهاء ، لكان لهم في ذلك غنية ، وخرجوا عن تحذير نبيهم ﷺ حيث قال :

---

(١) حديث متواتر رواه البخاري ١/١٧٨ - ١٨٠ في العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ من حديث علي والزبير وأنس وسلمة بن الأكوع ، ومسلم رقم (٣٠٠٤) في الزهد باب التثبت في الحديث ، وأحمد في « المسند »١/ ٧٠ و٧٨ من حديث عثمان و١/ ١٣٠ من حديث علي و١/ ٣٨٩ و٤٠٢ و٤٠٥ و٤٣٦ و٤٥٤ من حديث ابن مسعود و٢/ ١٥٨ و١٥٩ و١٧١ و٢٠٢ و٢١٤ من حديث عبد الله بن عمرو و٢/ ٣٢١ و٣٦٥ و٤١٠ و٤١٣ و٤٦٩ و٥٠١ و٥١٩ من حديث أبي هريرة و٣/ ٣٩ و٤٤ من حديث أبي سعيد الخدري و٣/ ٤٢٢ من حديث قيس بن سعد بن عبادة و٤/ ٤٧ و٥٠ من حديث سلمة بن الأكوع و٤/ ١٠٠ من حديث معاوية و٤/ ١٥٦ و٢٠١ من حديث عقبة بن عامر و٤/ ٢٤٥ من حديث المغيرة و٤/ ٣٣٤ من حديث أبي موسى الغافقي و٤/ ٣٦٧ من حديث زيد بن أرقم و٥/ ٢٩٢ من حديث خالد بن عرفطة و٥/ ٢٩٧ من حديث أبي قتادة ، ورواه أبو داود رقم (٣٦٥١) في العلم : باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ من حديث الزبير ، والترمذي رقم (٢٦٦١) و(٢٦٦٢) و(٢٦٦٣) في العلم : باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ من حديث ابن مسعود وعلي بن أبي طالب وأنس بن مالك .

انظر « جامع الأصول » رقم (١١٤) و(١٦٩) و(٤٧٠) و(٥٨٥٠) و(٥٨٦٩) و(٦١١١) و(٨٠٦٥) و(٨٢٠٣) و(٨٢٠٥) و(٨٢٠٦) و(٨٥٨٥)

« اتَّقُوا الحَدِيث [عنِّي] إلاَّ ما عَلِمْتُمْ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[1] .

قال علماؤنا رحمهم الله : فتخويفه ﷺ بالنار على الكذب دليل على أنه كان يعلم أنه سيكذب عليه .

فحذار مما وضعه أعداء الدين ، وزنادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك . وأعظمهم ضرراً قوم منسوبون إلى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا ، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم ، وركوناً إليهم ، فضلوا وأضلُّوا .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١/٢٩٣ و ٣٢٣ و ٣٢٧ ، والترمذي رقم (٢٩٥٢) في التفسير : باب ما جاء في الذي يفسر برأيه ، وهو حديث حسن .

ذكر ما ورد من الأخبار في فضل سور القرآن وآيه
وذكر بعض منافعها

من ذلك :

﴿سورة الفاتحة﴾ .

وقد تقدم في فضلها حديث أبي سعيد بن المعلَّي ، وحديث أبي هريرة ، وأُبي بن كعب في الباب السادس[1] ، وذكرنا من أسمائها أربعة عشر أسماً في كتاب « جامع أحكام القرآن »[2] وذلك مما يدل على فضلها وشرفها .

وذكر ابن الأنباري في كتاب « الرد » له : حدثني أبي ، قال حدّثني أبو عبيد الله الوراق، قال: ثنا أبو داود، قال : ثنا شيبان، عن منصور، عن مجاهد قال : إن إبليس لعنه الله رن أربع رنات : حين لعن ، وحين أهبط من الجنة ، وحين بعث محمد ﷺ ، وحين أُنزلت فاتحة الكتاب ، وأُنزلت بالمدينة[3] .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : قول مجاهد : وأُنزلت بالمدينة ، فقد روي ذلك عن أبي هريرة ، وعطاء بن يسار ، والزهري ، وقيل : نزلت

---

(١) ص (٤٥) .

(٢) تفسير القرطبي ١/ ١١١ .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١/ ٣ مختصراً أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة ونسبه لابن أبي شيبة في المصنف وأبي سعيد بن الأعرابي في « معجمه » والطبراني في « الأوسط » من طريق مجاهد عن أبي هريرة موقوفاً ، وذكره الهيثمي في « المجمع » ٦/ ٣١١ وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » شبيه المرفوع ، ورجاله رجال الصحيح .

بمكة ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، وأبو العالية ، وهو أصح ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ العَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] والحجر : مكية بإجماع ، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ، وما حفظ أنه كان في الإسلام صلاة قط بغير ﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ ﴾ . وقد زدنا هذا المعنى بياناً في مقدمة « جامع أحكام القرآن » [1] .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عباس قال : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ ، سمع نقيضاً[2] من فوقه ، فرفع رأسه فقال : « هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلَّا اليَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إلَىٰ الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلَّا اليَوْمَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ ، فَاتِحَةُ الكِتَابِ ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إلَّا أُوتِيتَهُ »[3] .

فهذا الحديث يدل على أنها مدنية ، وأن جبريل لم ينزل بها ، وليس كذلك ، بل نزل بها جبريل عليه السلام بمكة ، لقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرَّوْحُ الأَمِينُ علىٰ قَلْبكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] وهذا يقتضي جميع القرآن ، فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة ، ونزل الملك بفضلها وثوابها بالمدينة ، فتتفق الآثار . وقد قيل : إنها مكية مدنية ، نزل بها جبريل عليه السلام مرتين ، حكاه الثعلبي وغيره ، وما ذكرناه أولى ، والله أعلم .

ومن فضلها : حديث الرقية رواه الأئمة واللفظ للبخاري قال : ثنا

---

(١) تفسير القرطبي ١/١٣١ .

(٢) النقيض : الصوت .

(٣) رواه مسلم رقم (٨٠٦) في صلاة المسافرين : باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ورواه أيضاً النسائي ٢/١٢٨ في افتتاح الصلاة : باب فضل فاتحة الكتاب .

سيدان بن مضارب أبو محمد الباهلي ، قال : أنا أبو معشر يوسف بن يزيد البرَّاء ، قال : ثنا عبيد الله بن الأخنس أبو مالك ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، أَنَّ نَفَراً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغٌ ، أَوْ سَلِيمٌ ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَاءِ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ ؟ إنَّ فِي المَاءِ رَجُلًا لَدِيغاً أَوْ سَلِيماً ، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَرَأَ بِـ ﴿ فَاتِحَةِ الكِتَابِ ﴾ عَلَىٰ شَاءٍ [فَبَرأَ]، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ ، وَقَالُوا : أَخَذْتَ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ أَجْراً ، حَتَّىٰ قَدِمُوا المَدِينَةَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذَ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ أَجْراً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْراً كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (١) .

ورواه البخاري أيضاً ، ومسلم ، من حديث أبي سعيد الخدري ، وفيه : فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء ، وأنهم سألوا النبي ﷺ ، فضحك وقال : « مَا أَدْرَاكَ أَنَّها رُقْيَةٌ ؟ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ » (٢) .

ورواه الدارقطني ، وأبو داود ، والترمذي ، عن أبي سعيد الخدري قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ثلاثين راكباً ، فنزلنا على قوم من العرب ، فسألناهم أن يضيفونا ، فأبوا ، فلدغ سيد الحي ، فأتونا فقالوا : أفيكم أحد يرقي من العقرب ؟ ـ في رواية ابن قتة ـ إن الملك يموت ـ قال أبو سعيد : قلت : نعم أنا ، ولكن لا أفعل حتى تعطونا ، قالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين

---

(١) رواه البخاري ١٠/١٦٩ في الطب : باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب .

(٢) رواه البخاري ١٠/١٧٨ في الطب : باب النفث في الرقية : وباب الرقى بفاتحة الكتاب ، وفي الإجارة : باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، وفي فضائل القرآن : باب فاتحة الكتاب ، ومسلم رقم (٢٢٠١) في السلام : باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، وتقدم تخريجه ص ١٦٩ .

شاة ، قال : فقرأت عليه ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ سبع مرات .

وفي رواية سليمان بن قتة عن أبي سعيد : فأفاق وبرأ ، وبعث بالنزل ، وبعث إلينا بالشاء ، فأكلنا الطعام أنا وأصحابي ، وأبوا أن يأكلوا من الغنم ، حتى أتينا رسول الله ﷺ ، فأخبرته الخبر ، فقال : « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّها رُقْيَةٌ » ؟ قلت : يا رسول الله شيء ألقي في روعي ، فقال : « كُلُوا وَأَطْعِمُونَا مِنَ الغَنَمِ » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[1] .

* * *

ومن ﴿سورة البقرة﴾ .

جاء في فضلها وفضل آيات منها أحاديث من ذلك :

حديث أبي أمامة الباهلي ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقْرَؤُوا سُورَةَ ﴿ البَقَرِةِ ﴾ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُها حَسْرَةٌ ، وَلا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ » قال معاوية[2] : بلغني أن البطلة : السحرة[3] .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، فَإِنَّ

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤١٨) و (٣٤١٩) في البيوع : باب كسب الأطباء ، ورقم (٣٩٠٠) في الطب : باب كيف الرقى ، والترمذي رقم (٢٠٦٤) و (٢٠٦٥) في الطب : باب ما جاء في أخذ الأجرة على التعويذ ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٢٢٥٦) في التجارات : باب أجر الراقي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٢) هو معاوية بن سلام أحد رواه الحديث عند مسلم .

(٣) رواه مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين : باب فضل القرآن وسورة البقرة ، وأحمد في « المسند » ٥/٢٤٩ ، والحاكم ١/٥٦٤ في فضائل القرآن .

الشَّيْطَانَ يَنْفُرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ » رواه مسلم [١] .

وروى الدارمي أبو محمد في « مسنده » : عن عبد الله قال : مَا مِنْ بَيْتٍ يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ ﴿ البَقَرَةِ ﴾ إلَّا خَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ [٢] . وقال : إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَناماً ، وَإنَّ سَنَامَ القُرْآنِ سُورَةَ البَقَرَةِ ، وَإنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لباباً ، وَإنَّ لبابَ القُرْآنِ سُورَ المُفَصَّلِ [٣] . قال الدارمي : اللباب : الخالص .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وقول عبد الله : إن لكل شيء سناماً ، روي مرفوعاً ، خرجه الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ ، وَإنَّ سَنَامَ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ ، وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ أيِ القُرْآنِ : هِيَ آيَةُ الكُرْسِيِّ » . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير ، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه [٤] .

وخرجه أبو حاتم محمد بن حبان البستي في المسند الصحيح له ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَاماً ، وَإنَّ سَنَامَ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةُ ، وَمَنْ قَرَأَها فِي بَيْتِهِ لَيْلاً لَمْ يَدْخِلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاثَ لَيالٍ ، وَمَنْ قَرَأَها نَهاراً ، لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاثَةَ أيَّامٍ » [٥] .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٥٢) رقم (٦) .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٣٧٨) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة البقرة موقوفاً ، وإسناده حسن .

(٣) رواه الدارمي رقم (٣٣٨٠) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة البقرة موقوفاً ، وإسناده حسن .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٨٨١) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد بمعناه يقوى بها .

(٥) رواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (١٧٢٧) « موارد » ، وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٩٣١) .

قال أبو حاتم البستي : قوله ﷺ : « لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ » ، أراد مردة الشياطين .

وروى الترمذي ، عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد ، فاستقرأهم ، فاستقرأ كل واحد منهم - يعني : ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سِنّاً ، فقال : ما معك يا فلان ؟ قال : معي كذا وكذا ، وسورة ﴿ البقرة ﴾ ، قال : أمعك سورة ﴿ البقرة ﴾ ؟ قال : نعم ! قال : « اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ » . فقال رجل من أشرافهم : والله يا رسول الله ، ما منعني أن أتعلم سورة ﴿ البقرة ﴾ إلا خشية أن لا أقوم بها ، فقال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّمُوا القُرْآنَ ‹فاقْرَؤُوهُ› واقْرِؤُوهُ فإنَّ مَثَلَ القُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَه فقَرَأَهُ [وَقَامَ بِهِ] كَمَثَلِ جِرَابٍ مُحْشُوٍ مِسْكاً يَفُوحُ رِيحَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ : وُكِيءَ[1] عَلَى مِسْكٍ » قال : حديث حسن[2] .

وخرج الوائلي أبو نصر بإسناده ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ البَقَرَةِ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ إيماناً وَاحْتِسَاباً جَعَلَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ جَنَاحَيْنِ مُضَرَجَيْنِ بالدُّرِ وَاليَاقُوتِ يَطِيرُ بهمَا عَلَى الصِّرَاطِ أَسْرَعَ مِنَ البَرْقِ » .

قال الوائلي : وهذا حديث غريب الإسناد والمتن .

وروى الدارمي في « مسنده » عن الشعبي قال : قال عبد الله : مَنْ قَرَأَ

---

(١) وكي : أي ربط ، وأصل الوكاء : خيط يربط به فم القربة بعد ملئها .

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٩) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، وابن ماجه رقم (٢٠٧) وابن حبان رقم (١٧٨٩) « موارد » وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٤٥١) .

عَشْرَ آياتٍ مِنَ سُورَةِ ﴿ البَقَرَةِ ﴾ فِي لَيْلَةٍ ، لَمْ يَدْخُلِ البَيْتَ شَيْطَانٌ تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّىٰ يُصْبِحَ ، أَرْبعاً مِنْ أَوَّلها ، وَآيَةَ الكُرْسِيِّ ، وآيتين بَعْدَها ، وَثَلاثَ خَوَاتِيمِهَا ، أَوَّلَها : ﴿ للهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[1] .

وعن الشعبي عنه : لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ، ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق[2] .

وقال المغيرة بن سبيع : ـ وكان من أصحاب عبد الله ـ : لم ينس القرآن . وقال إسحاق بن عيسى : لم ينس ما قد حفظه ، قال أبو محمد الدارمي : منهم من يقول : المغيرة بن سميع .

وفي الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري ، أنه كانت له سَهْوَةٌ فيها تَمْرٌ ، فكانت تجيء الغُولُ ، فتأخذ منه ، قال : فشكا ذلك للنبي ﷺ ، قال : « اذْهَبْ فَإِذَا رَأَيْتَها فَقُلْ : بِسْمِ اللهِ ، أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ » ، قال : فأخذها ، فحلفت أن لا تعود ، فأرسلها ، فجاء إلى النبي ﷺ فقال : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ » ؟ قال : حلفت أن لا تعود ، فقال : « كَذَبَتْ وَهِيَ مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ » ، قال : فأخذها مرة أخرى ، فحلفت أن لا تعود ، فأرسلها ، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ » ؟ قال : حلفت أن لا تعود ، فقال : « كَذَبَتْ وَهِي مُعَاوِدَةٌ لِلْكَذِبِ » ، فأخذها فقال : ما أنا بتاركك حتى

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٣٨٥) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة البقرة ، من حديث الشعبي عن عبد الله بن مسعود ، والشعبي لم يسمع من عبد الله بن مسعود فهو منقطع .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٣٨٦) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة البقرة ، وهو من رواية الشعبي عن عبد الله بن مسعود ، وإسناده منقطع أيضاً .

أذهب بك إلى النبي ﷺ . فقالت : إني ذَاكِرَةٌ لك شيئاً آية الكرسي ، إقرأها في بيتك ، فلا يقربنك شيطان ولا غيره ، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ » ؟ قال : فأخبرته بما قالت ، قال : « صَدَقَتْ وَهِي كَذُوبٌ » قال : حديث حسن غريب . وفي الباب عن أبي بن كعب[1] .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وخرجه البخاري فقال : وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو : حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة . قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إني محتاج وعلي عيال[2] ،ولي حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال رسول الله ﷺ : « يَا أَبا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ » ؟ قال : قلت : يا رسول الله شكا لي حاجة شديدة ، وعيالاً ، فرحمته وخليت سبيله ، فقال : « أما إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ » ، فعرفت أنه سيعود لقوله ﷺ : إنه سيعود ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني فاني محتاج ، وعلي عيال ، لا أعود ، فرحمته ، فخليت سبيله . فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ » ؟ قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً ، فرحمته ، فخليت سبيله قال : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ » فرصدته الثالثة ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذه آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٨٣) في ثواب القرآن : باب رقم ٣ ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٤٢٣ ، وهو حديث حسن .

(٢) في المطبوع : مال والتصحيح من البخاري .

تعود ، قال : دعني [فإني] أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ . . . ﴾ حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ » ؟ فقلت : يا رسول الله ! إنه زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله ، فقال : « مَا هِيَ » ؟ قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ، ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ . . . ﴾ وقال : لن يزال عليك من الله حافظ[1] ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيءٍ على الخير ، فقال النبي ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » ؟ قال : لا ، قال : « ذَاكَ شَيْطَانٌ »[2] .

---

(١) في المطبوع : حافظاً وهو خطأ .

(٢) رواه البخاري تعليقاً ٣٩٦/٤ و٣٩٨ في الوكالة باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ؛ وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز ، قال البخاري : وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه . . . فذكره ، قال الحافظ في « الفتح » : هكذا أورد البخاري هذا الحديث هنا ولم يصرح فيه بالتحديث ، وزعم ابن العربي أنه منقطع ، وأعاده كذلك في صفة إبليس ، وفي فضائل القرآن لكن باختصار ، وقد وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم من طريق إلى عثمان المذكور ، وذكرته في تعليق التعليق من طريق عبد العزيز بن منيب ، وعبد العزيز بن سلام ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ؛ وهلال بن بشر الصواف ، ومحمد بن غالب الذي يقال له : تمتام ، وأقربهم لأن يكون البخاري أخذ عنه إن كان سمعه من ابن الهيثم هلال بن بشر ، فإنه من شيوخه ، أخرج عنه في جزء القراءة خلف الإمام ؛ وله طريق أخرى عند النسائي أخرجها من رواية أبي المتوكل الناجي . عن أبي هريرة ، ووقع مثل هذا لمعاذ بن جبل أخرجه الطبراني وأبو بكر الروياني . نقول : وحديث معاذ ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٢١/٦ و٣٢٢ ونسبه للطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح ، قال الهيثمي : وهو صدوق إن شاء الله تعالى كما قال =

وفي « مسند الدارمي » أبي محمد ، ثنا أبو نعيم ، عن أبي عاصم الثقفي ، عن الشعبي ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن ، فصارعه ، فصرعه الإنسي ، فقال له الإنسي : إني لأراك ضئيلاً شخيتاً[1] ، كأن ذريعتيك ذريعتي[2] كلب ، فكذلك أنتم معشر الجن ، أم أنت من بينهم كذلك ؟ قال : لا والله إني من بينهم لضليع ، ولكن عاودني الثانية ، فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك به ، قال. نعم، فصرعه، قال: أتقرأ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؟ قال : نعم . قال : فإنك لا تقرؤها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج ، كخبج الحمار ، ثم لا يدخله حتى يصبح[3] .

قال الدارمي : الضئيل : الدقيق ، والشخيت[4] : المهزول والضليع : جيد الأضلاع ، والخبج : الريح .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : قال أبو عبيد : الخبج : الضراط ، وهو الحبج أيضاً بالحاء ، ذكره في غريب حديث عمر فقال : حدثنا أبو معاوية ، عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي ، عن عبد الله . . . الحديث[5] قال : فقيل لعبد الله : أهو عمر ؟ فقال : ما عسى أن يكون إلا عمر !!

= الذهبي ، قال ابن أبي حاتم : وقد تكلموا فيه ، وبقية رجاله وثقوا ، وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في فوائد الحديث في « الفتح » ٤/٣٩٨ .

(١) في المطبوع : سخيباً ، وهو تصحيف .

(٢) تصغير ذراع ، وفي المطبوع : كأن ضريعتك ضريعتي كلب .

(٣) رواه الدارمي رقم (٣٣٨٤) في فضائل القرآن : باب في فضل أول سورة البقرة وآية بالكرسي ، وإسناده منقطع ، فإن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ، وإنما كان يرسل عنه .

(٤) في المطبوع : والسخيب ، وهو تصحيف .

(٥) وهو منقطع أيضاً ، لأن الشعبي لم يسمع من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وروى الأئمة عن أُبيٍّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِن كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ »؟قلت : ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ﴾ قال : فضرب في صدري ، وقال : « لِيَهْنِكَ العِلْمُ يَا أَبَا المُنْذِرِ » متفق عليه وقد تقدم(١) .

وزاد الترمذي الحكيم أبو عبد الله في « نوادر الأصول » : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ لِهَذِهِ الآيَةِ لَلِساناً وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ المَلِكَ عِنْدَ سَاقِ العَرْشِ »(٢) قال أبو عبد الله الترمذي : فهذه الآية أنزلها الله عز وجل ذكره ، وجعل ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً ، فأما في العاجل ، فهي حارسة لمن قرأها من جميع الآفات .

وروي عن نوف البكالي(٣) أنه قال : آية الكرسي تدعى في التوراة ولية الله ، ويدعى قارئها في ملكوت السموات عزيزاً .

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي في زوايا بيته الأربع ، معناه : كأنه يلتمس بذلك أن تكون له حارساً من جوانبه الأربع ، وأن تنفي عنه الشيطان من زوايا بيته .

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه صارع جنياً ، فصرعه عمر ، فقال له الجني : خل عني حتى أعلمك ما تمتنعون به منا ، فخلَّى عنه وسأله ، فقال : إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم رقم (٨١٠) في صلاة المسافرين : باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وليس في البخاري كما هو المطبوع ، فهو وهم من المصنف رحمه الله ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (١٤٦٠) في الصلاة : باب ما جاء في آية الكرسي . .

(٢) وهذه الزيادة عند أحمد في « المسند » ٥/١٤١ و١٤٢ وهي زيادة حسنة .

(٣) في المطبوع : وروي عن عوف البكائي ، وهو تحريف .

وروي : أن المؤمنين ندبوا إلى المحافظة على قرائتها في دبر كل صلاة .

وعن أنس رفع الحديث إلى النبي ﷺ قال : « أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ : مَنْ دَاوَمَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ آيَةِ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَعْطَيْتُهُ قُلُوبَ الشَّاكِرِينَ ، وَأَجْرَ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْمَالَ الصِّدِّيقِينَ ، وَبَسَطْتُ عَلَيْهِ يَمِينِي بالرَّحْمَةِ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِ مَلِكُ المَوْتِ » قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ! مَنْ سَمِعَ بِهَذَا أَلَا يَدَاوُمُ عَلَيْهِ ؟ ! قَالَ : إِنِّي لَا أُعْطِيهِ مِن عِبَادِي إِلَّا «إِلَىٰ» نَبِيٍّ أَوْ صِدِّيقٍ أَوْ رَجُلٍ أُحِبُّ ، أَوْ رَجُلٍ أُرِيدُ قَتْلَهُ فِي سَبِيلِي »[1] .

وعن أُبي بن كعب قال : قال الله تعالى : يا موسى ! من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء .

قال أبو عبد الله : معناه عندنا : أنه يعطى ثواب عمل الأنبياء ، فأما ثواب النبوة ، فليس لأحد إلا للأنبياء .

وذكر أبو نصر الوائلي ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول : مَا أَرَى رَجُلًا وُلِدَ في الإِسْلَامِ أَوْ أَدْرَكَ عَقْلُهُ

---

(١) ذكره ابن كثير في «التفسير» ٥٤٦/١ ونسبه لابن مردويه من حديث أبي موسى الأشعري وقال : وهذا حديث منكر جداً ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ونسبه لابن النجار من حديث ابن عباس، وذكره ابن كثير في«التفسير» من روايةابن مردويه عن أبي أمامةبلفظ: «من قرأ دبر كل صلاة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » وقال : وهكذا رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (١٠٠) وابن حبان في « صحيحه » .

قال المناوي في « الفيض » : قال ابن القيم : وروي من عدة طرق كلها ضعيفة لكنها إذا انضم بعضها لبعض مع تباين طرقها واختلاف مخرجيها ، دل على أن له أصلاً ، وقال الدمياطي : له طرق كثيرة إذا انضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة .

انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٩٧٢) .

الإِسْلَامَ - يَبِيتُ أَبَداً حَتَّى يَقْرَأَ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا هِيَ ؟ إِنَّمَا أُعْطِيهَا نَبِيُّكُمْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ ، وَلَمْ يُعْطِهَا أَحَدٌ قَبْلَ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، مَا بِتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، أَقْرَأُهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ الآخِرَةِ ، وَفِي وِتْرِي ، وَحِينَ آخُذُ مَضْجَعِي مِنْ فِرَاشِي (١) .

قال الوائلي : وأخبرنا عبد الوهاب بن عثمان بن الحسن ، قال : ثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق السراج ، قال : ثنا معاذ بن المثنى العنبري ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : حدّثني عبد الله بن لهيعة ، عن أبي قبيل ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَتَوَلَّ قَبْضَ رُوحَهُ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » قال : وهذا حديث غريب بصري الطريق (٢) .

وقد روي عن أبي أمامة نحوه ، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحاج قال : ثنا الحسين بن أحمد بن محمد المقابري ، قال : ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، قال : ثنا هارون بن داود الطرسوسي ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا محمد بن زياد الألهاني ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ » قال : وهذا شامي الطريق حسن (٣) .

وقال الإمام أبو محمد بن عطية في « تفسيره » : وهذه الآية تضمنت التوحيد والصفات العلى ، وهي خمسون كلمة ، وفي كل كلمة خمسون

---

(١) رواه الدارمي مختصراً رقم (٣٣٨٧) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، وفي سنده جهالة ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣٢٤/٣ وزاد نسبته لأبي عبيد وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن الضريس .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » ٦ / ١٧٤ وإسناده ضعيف .

(٣) وهو حديث صحيح بشواهده كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٩٧٢) .

بركة ، وهي تعدل ثلث القرآن ، ورد بذلك الحديث [١] .

وقال ابن عباس : أشرف آية في القرآن آية الكرسي . سمعت شيخنا الاستاذ المقرىء ، أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي رحمه الله يقول : إنما كانت أشرف آية لأنه تكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمر وظاهر ثمان عشرة مرة ، وليس يوجد ذلك في غيرها .

قال : قال أبو الحسن بن بطال في « شرح البخاري » له : وفي كتاب وهب بن منبه : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر ، فيدقه بين حجرين ، ثم يضربه بالماء ، ويقرأ فيه آية الكرسي ، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل فيه ، فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى ، وهو جيد للرجل اذا حبس عن أهله .

وفي « الصحيحين » عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الآيَتَيْن مِن آخِرِ سُورَة البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ » لفظ مسلم ، وخرجه الترمذي وقال فيه : حديث حسن صحيح [١] . ومعنى كفتاه . قيل : من قيام الليل ، وقيل : من شر الشيطان ، فلا يكون له عليه سلطان .

وروى الترمذي قال : ثنا بندار [٢] قال : أنبأنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا حماد بن سلمة عن أشعث بن عبد الرحمن الجرمي ، عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الجرمي ، عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الله كَتَبَ كتاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْض بِأَلْفَيْ عَام أَنْزَلَ مِنْهُ آيتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَة ، وَلاَ يُقْرَآنِ في دَارٍ ثَلاَثَ لَيالٍ فَيقْرَبُهَا شَيطَانٌ » قال : هذا

---

(١) جاء في حديث رواه أحمد في « المسند » وابن ابي شيبة ، وأبو الشيخ ، أنها تعدل ربع القرآن ، وفي سنده سلمة بن وردان ، وهو ضعيف .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٨٨) رقم (١) .

(٣) في المطبوع : ثنا بندار ، ثنا محمد بن يسار ، قال : أنبأنا عبد الرحمن بن مهدي ، والتصحيح من نسخ الترمذي المطبوعة .

حديث غريب [1] .

وخرجه أبو عمرو الداني المقرىء ، في كتاب « البيان » له باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَن تَخْلُقَ السَّمَوٰاتُ والأَرْضُ بِأَلْفَيْ عَامٍ ، وَأَنْزَلَ مِنْهُ هَذِهِ الثلاثِ آياتٍ الَّتِي خَتَمَ بِهِنَّ سُورَةَ البَقَرَةِ ، مَنْ قَرَأَهُنَّ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَقْرَبِ الشَّيْطانُ بَيْتَهُ ثَلاثَ ليالٍ » [2] وقد تقدم نزول الملك بها في سورة الفاتحة مع الفاتحة .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « أُوتِيتُ هَذِهِ الآياتِ مِن آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كِنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُؤْتَهُنَّ بَنِيٌ قَبْلي » [3] وهذا صحيح يدل على صحة نزول الملك بها مع الفاتحة ، وفي هذه السورة آية عظمى جعلها الله تعالى ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين لما جمعته من المعاني المباركة وهي قول الله تعالى : ﴿ إنَّا لله وإنَّا إليْهِ رَاجِعونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

قال سعيد بن جبير : لم يعط هذه الكلمات نبيٌّ قبل نبينا ولو عرفها يعقوب لما قال : يا أسفي على يوسف [4] .

---

(١) رقم (٢٨٨٥) في ثواب القرآن : باب رقم ٤ ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٢٧٤ والدارمي رقم (٣٣٩٠) في فضائل القرآن : باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ، ورواه الحاكم ١/ ٥٦٢ وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » من حديث شداد بن أوس ونسبه للطبراني وقال : رجاله ثقات . فالحديث صحيح كما قال الألباني في «صحيح الجامع » (١٧٩٥) .

(٢) وهو بمعنى الذي قبله .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٥/ ٣٨٣ ورواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » من حديث حذيفة ورواه أحمد في « المسند » ٥/ ١٥١ و١٨٠ من حديث أبي ذر ، ورواه أيضاً أحمد من حديث عقبة بن عامر الجهني ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٤٨٢) .

(٤) رواه ابن جرير الطبري بنحوه رقم ٢٣٣١ وإسناده إلى سعيد بن جبير صحيح وذكره السيوطي في « الدر المنثور » وزاد نسبته لوكيع وعبد بن حميد والبيهقي في « شعب الايمان » .

وفي « صحيح مسلم » عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما مِنْ عَبْدٍ تُصيبهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إنَّا لله وَإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . اللَّهُمَّ أجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا ، إلاَّ أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا »[(1)] .

وفي البخاري قال عمر : نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ الَّذِين إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قَالُوا إنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُون ﴾[(2)] .

أراد بالعدلين : الصلوات والرحمة ، وبالعلاوة : الاهتداء ، قيل : إلى استحقاق الثواب وإجزال الأجر . وقيل : إلى تسهيل المصائب ، وتخفيف الحزن ، والله أعلم .

* * *

من سورة آل عمران

ورد أيضاً فيها آثار وأخبار ، فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات ، وكنز للصعلوك ، وأنها تحاج عن قارئها في الآخرة ، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩١٨) في الجنائز : باب ما يقال عند المصيبة ورواه أيضاً « الموطأ » ٢٣٦/١ في الجنائز : باب جامع الحسبة في المصيبة ، وأبو داود رقم (٣١١٩) في الجنائز : باب ما يستحب أن يقال عند الميت من الكلام ، والترمذي رقم (٣٥٠٦) في الدعوات : باب رقم ٨٨ ، وأحمد في « المسند » ٣٠٩/٦ و٣١٣ و٣١٧ و٣٢١ .

(٢) رواه البخاري تعليقاً ١٣٧/٣ و١٣٨ في الجنائز : باب الصبر عند الصدمة الأولى ، قال الحافظ في « الفتح » : وهذا الأثر وصله الحاكم في « المستدرك » من طريق جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر ، وهكذا أخرجه البيهقي عن الحاكم ، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره من وجه آخر عن منصور من طريق نعيم بن أبي هند عن عمر نحوه ، وقال الحافظ : وقد روي نحو قول عمر مرفوعاً أخرجه الطبراني في « الكبير » من حديث ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت شيئاً لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ إلى قوله : ﴿ المهتدون ﴾ » .

ذكر الدارمي أبو محمد في « مسنده » قال : ثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدّثني عبيد الله الأشجعي ، قال : ثنا مسعر ، قال : حدّثني جابر قبل أن يقع فيما وقع فيه ، عن الشعبي ، قال : قال : قال عبد الله : نِعْمَ كنْزُ الصُّعْلُوكِ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ يَقُومُ بِها في آخِرِ اللَّيْلِ (١) .

ثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن الجريري ، عن أبي السليل قال : أصاب رجل دماً ، فأوى إلى وادي مَجَنَّةٍ لا يمشي فيه أحد إلا أصابته جِنَّة ، وعلى شفير الوادي راهبان ، فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه : هلك والله الرجل ، قال : فافتتح سورة آل عمران ، قالا : فقرأ سورة طيبة لعله سينجو . قال : فأصبح سليماً (٢) .

وأسند عن مكحول قال : من قرأ ﴿ سورة آل عمران ﴾ يوم الجمعة ، صلت عليه الملائكة الى الليل (٣) .

وخرج مسلم ، عن النواس بن سمعان الكلابي قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يُؤْتَى بالقرآن يَوْمَ القِيامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذينَ كَانُوا يَعْمَلُون بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَان » وضرب رسول الله ﷺ لهما ثلاثة أمثال ما نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ ، قال : « كَأَنَّهُما غَمامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْداوَانِ بَيْنَهُما شَرْقٌ ، أَوْ كَأَنَّهُما حِزْقانِ (٤) مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا »(٥) .

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٤٠١) في فضائل القرآن : باب في فضل آل عمران ، وإسناده منقطع ، فإن الشعبي لم يسمع من عبد الله بن مسعود .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٤٠١) في فضائل القرآن : باب في فضل آل عمران ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه الدارمي رقم (٣٤٠٠) في فضائل القرآن : باب في فضل آل عمران ، وإسناده صحيح إلى مكحول .

(٤) في المطبوع : فرقان والتصحيح من « صحيح مسلم » المطبوع .

(٥) رواه مسلم رقم (٨٠٥) في صلاة المسافرين : باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٨٨٦) في ثواب القرآن : باب ما جاء في سورة آل عمران ، وأحمد في « المسند » ٤/١٨٣ .

وخرج أيضاً عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقْرَؤُوا القُرْآن، فإنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القيامةِ شَفِيعاً لأَهْلِهِ[1]، اقْرَؤوا الزَّهْرَاوَيْنِ : البَقَرَةَ وَآلِ عِمْرَانَ ، فَإنهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ [كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ] كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ ،فإنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَها حَسْرَةٌ ، وَلاَ تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ » قال معاوية : بلغني : أن البطلة : السحرة[2] .

فصـل

للعلماء في تسمية ﴿ البقرة﴾ و﴿ آل عمران ﴾ بالزهراوين ثلاثة أقوال .

الأول : أنهما النيرتان ، مأخوذ من الزهر ، والزهرة ، فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهران من أنوارهما ، أي : من معانيهما .

وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة ، وهو القول الثاني .

الثالث : سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم ، كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال : « اسْمُ الله الأَعْظَمُ في هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَه وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيم ﴾ والتِّي في ﴿ آل عمران ﴾ ﴿ اَللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴾ » أخرجه ابن ماجه أيضاً في التفسير[3] .

---

(١) في نسخ مسلم المطبوعة : « فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٣١) رقم (٣) .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٤٩٦) في الصلاة : باب الدعاء ، وابن ماجه رقم (٣٨٥٥) في الدعاء : باب اسم الله الأعظم ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/٤٦١ ، والترمذي رقم (٣٤٧٢) في الدعوات باب جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ، والدارمي رقم (٣٣٩٢) في =

والغمام : السحاب الملتف ، وهي الغمامة إذا كانت قريبة من الرأس ، وهي الظلة أيضاً .

والمعنى : أن قارئهما في ظل ثوابهما ، كما جاء « الرجل في ظل صدقته » .

وقوله : تحاجان : أي : يخلق الله عز وجل من يجادل عن قارئهما بثوابهما ملائكة ، كما روي من حديث أنس ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ عِنْدَ مَنَامِهِ ﴿ شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨] خَلَقَ الله لَهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرونَ لَهُ إلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ » (١) .

وقوله : بينهما شرق . قيل : بسكون الراء وفتحها ، وهو تنبيه على الضياء ، لأنه لما قال : سوداوان ، قد يتوهم أنهما مظلمتان ، فنفى ذلك بقوله : بينهما شرق ، ويعني بكونهما سوداوان ، أي : من كثافتهما التي بسببهما حالتان من تحتهما ، وبين حرارة الشمس وشدة اللهب ، والله أعلم ، وقد أشبعنا هذا القول في كتاب « التذكرة » (٢) .

* * *

آية ﴿شَهِدَ الله ﴾

قال كعب الأحبار : بلغني أن من أراد أن لا يتخم من طعام أو شراب ، فليقرأ إذا طعم ﴿ شَهِدَ الله أَنَّهُ لَا إلَهَ إلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وأُولُوا العِلْم قَائِماً بِالقِسْطِ لا إله إلاَّ هو العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[آل عمران :١٨] فإنه لا يتخم إن شاء الله تعالى .

وذكر الوائلي أبو نصر في حديث الزبير بن العوام قال : سمعت رسول الله ﷺ حين تلا هذه الآية ﴿ شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ والملائِكَةُ وَأُولوا العِلْم قائماً بالقِسْطِ لا إله إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ قال : « وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الله لَا إلَهَ

= فضائل القرآن : باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(١) لم نجده بهذا اللفظ .

(٢) التذكرة للقرطبي ص : ٣٠ .

إلَّا أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ »[1] .

وروى غالب القطان قال : أتيت الكوفة في تجارة ، فنزلت قريباً من الأعمش ، فكنت أختلف إليه ، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة ، قام فتهجد من الليل ، فقرأ بهذه الآية : ﴿ شَهِدَ الله أَنَّه لا إلَهَ إلَّا هُوَ والمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قائماً بالقِسْط لا إله إلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ، إنَّ الدينَ عِنْدَ الله الإسلام ﴾ قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة ، وإن الدين عند الله الإسلام ، قالها مراراً ، فغدوت إليه ، وودعته ، وقلت : إني سمعتك تقرأ هذه الآية ، فما بلغك فيها ؟ أنا عندك منذ سنة لم تحدثني به ؟ قال : والله لا حدثتك به سنة ، قال : فأقمت ، وكتبت على بابه ذلك اليوم ، فلما مضت السنة قال : حدّثني أبو وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ القيامَةِ ، فَيَقُولُ الله تَعالَى : عَبْدِي عَهِدَ إليَّ وَأَنا أَحَقُّ مَنْ وَفَّى ، ادْخِلُوا بِعَبْدِي الجَنَّةَ » .

قال أبو الفرج بن الجوزي : غالب القطان : ـ هو غالب بن خطاف القطان ، يروي عن الأعمش حديث شهد الله ، وهو معضل . وقال ابن عدي : الضعف على حديثه بين . وقال أحمد بن حنبل : غالب بن خطاف ثقة ثقة . وقال ابن معين : ثقة . وقال أبو حاتم : صدوق .

قال المؤلف رضي الله عنه : ويكفيك من عدالته وثقته أن خرَّج له البخاري ومسلم في كتابيهما وحسبك [2] .

* * *

(١) ورواه أحمد في « المسند » ١ / ١٦٦ والطبراني وابن أبي حاتم وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٣٥) واسناده ضعيف وقد ساق الحافظ ابن كثير أسانيده في تفسيره ٢/٢١، ٢٢ .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » ٧/١٩٣ وابن عدي والبيهقي في « شعب الإيمان » وضعفه ، وابن النجار والطبراني في « الأوسط » ، وفي سنده عمر بن المختار وهو ضعيف ، قال =

آية : ﴿قُل اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾ [آل عمران : ٢٦]

تقدم أنها معلقة بالعرش ، وآية الكرسي ، وشهد الله ، وفاتحة الكتاب ، ليس بينهن وبين الله حجاب .

وروي من حديث علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَما أرادَ الله تَعالَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ ﴿فَاتِحَةَ الكِتَابِ﴾ و﴿آيَةَ الكُرْسِيِّ﴾ و﴿شَهِدَ الله﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ﴾ إلى قوله : ﴿ بغَيْر حِسَابٍ ﴾ ، تَعَلَّقْنَ بِالْعَرْشِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الله حِجَابٌ وَقُلْنَ : يَا رَبِّ تَهْبط بِنَا إلى دارِ الذُّنُوبِ ، وَإِلَىٰ مَنْ يَعْصِيكَ ؟ فقال الله عز وجل : وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي ، لاَ يَقْرَؤُكُنَّ عَبْدٌ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ إلاَّ أَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ القُدْسِ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَإلاَّ نَظَرْتُ إلَيْهِ بِعَيْنِي المَكْنُونَةِ في كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّة ، وإلاَّ قَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً ، أَدْناها المَغْفِرَةَ ، وإلاَّ أَعَذْتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍ وَنَصَرْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلاَّ أَن يَمُوتَ » (١) .

وقال معاذ بن جبل : احتبست يوماً عن النبي ﷺ : فلم أصلِّ معه الجمعة، فقال : «يَا مُعَاذُ!مَا حَبَسَكَ عَنْ صَلاَةِ الجُمْعَةِ؟»قلت: يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي عندي أوقية من تبر ، وكان على بابي يرصدني ، فاشفقت أن يحبسني دونك ، قال : « أَتُحِبُّ يَا مُعَاذُ أَنْ يَقْضِي الله دَيْنَكَ ؟ » قلت : نعم ! قال : « قُلْ كُلَّ يَوْمٍ : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ﴾ إلى قوله :

= ابن عدي : روى الأباطيل ، وذكره الذهبي في « الميزان » في ترجمة غالب القطان فقال : وهو حديث معضل ، روى هذا الحديث عنه عمر بن مختار البصري وقال الذهبي : والآفة من عمر ، فإنه متهم بالوضع .

(١) روه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٥ [illegible] [illegible]ناده ضعيف .

﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، رَحْمَنُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَرَحِيمُهُما ، تُعْطِي مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءَ ، اقْضِ عَنِّي دَيْنِي ، فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِلءَ الأَرْضِ ذَهَباً لأَدَّاهُ الله عَنْكَ »(١) .

وخرجه أبو نعيم الحافظ عن معاذ قال : علّمني رسول الله ﷺ آيات من القرآن ، وكلمات ما على الأرض مسلم يدعو بهن وهو مكروب ، أو غارم ، أو ذو دين إلا قضى عنه ، وفرج همه ، ﴿ قُلِ : اللَّهُمَّ ﴾ .. فذكره(٢) .

آية ﴿أَفَغَيْر دِينَ الله تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ في السَّمَواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وإليْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

روى مجاهد ، عن ابن عباس قال : اذا استصعبت دابة أحدكم ، أو كانت شموساً ، فليقل في أذنها : ﴿ أَفَغَيْر دِينِ الله يَبْغُون وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ في السمواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وإليهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) رواه الطبراني في «معجمه الصغير» وفي سنده ضعف وانقطاع ، ورواه الطبراني أيضاً في « معجمه الصغير » من حديث أنس بلفظ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأداه الله عنك ، قل يا معاذ : اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، رحمان الدنيا والآخرة ، تعطيهما من تشاء،وتمنع منهما من تشاء ، إرحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك » قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/١٨٦ : رواه الطبراني في « الصغير » ورجاله ثقات .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » ٥/٢٠٤ واسناده ضعيف .

(٣) قال ابن علان في «الفتوحات» ٥/١٥٢ : قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي في « التفسير » بسنده من طريق الحكم عن مجاهد عن ابن عباس . وروى ابن السني رقم(٥١٠) باب ما يقول على الدابة الصعبة من حديث يونس بن عبيد قال : ليس يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها : ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليها يرجعون ﴾ إلا وقفت بإذن الله تعالى . قال ابن علان في « شرح الأذكار » قال الحافظ : هو خبر مقطوع راويه عن يونس بن عبيد المنهالُ بن عيسىَ ، قال أبو حاتم : مجهول .

آية ﴿ حَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] تقال عند الشدائد

روى البخاري ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الَّذين قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فزادهم إيماناً وَقالُوا حَسْبُنا الله وَنِعمَ الوَكيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس : ﴿ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيماناً وَقَالُوا حَسْبُنا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ [1] .

وقال عقبة بن عامِرٍ [2] قال لي رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تَعَالَىٰ يَلُومُ عَلَىٰ العَجْزِ ، وَلَكِنْ عليك بالكَيِّسِ ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ » ذكره الحَليمي في كتاب « منهاج الدين » له [3] .

وقـال عبد الله بن عمرو : إنما نجا إبراهيم عليه السلام بقوله : حسبنا الله ونعم الوكيل [4] .

* * *

خاتمتها عشر آيات

خرج الوائلي أبو نصر ، من حديث سليمان بن موسى ، قال : حدّثنا

---

(١) رواه البخاري ١٧٢/٨ في تفسير سورة آل عمران : باب قوله : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ .

(٢) الذي في « مسند أحمد » ، وأبي داود و « عمل اليوم والليلة » لابن السني : عوف بن مالك الأشجعي ، وهو الصواب .

(٣) ورواه أحمد في « المسند » ٢٥/٦ وأبو داود رقم (٣٦٢٧) في الأقضية : باب الرجل يحلف على حقه ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٣٤٩) باب ما يقول إذا غلبه امر من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ، وفي سنده سيف الشامي لم يوثقه غير العجلي وابن حبان ، وباقي رجاله ثقات . وقد حسنه الحافظ في تخريج الأذكار كما ذكر ابن علان في « شرح الأذكار » ٤/ ٢٥ .

(٤) قال ابن كثير في « التفسير » ٢/ ٣٠٠ قال عبد الرزاق : قال ابن عيينة : وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال : هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، رواه ابن جرير .

مظاهر بن أسلم المخزومي ، قال : أخبرني سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ عَشْرُ آياتٍ مِن آخِرِ آلِ عَمْران كُلَّ لَيْلَةٍ »[1] .

وفي « مسند الدارمي » أبي محمد عن عثمان بن عفان قال : مَنْ قَرَأَ آخر آلِ عَمْرَان في كُلِّ لَيْلَةٍ كَتَبَ الله لَهُ قِيَامَ لَيْلةٍ ، وفي طريقه ابن لهيعة[2] .

وخرج الوائلي أبو نصر : من حديث يونس عن ابن وهب ، أن مالكاً حدثه عن مخرمة بن سليمان ، عن كريب مولى ابن عباس ، أن ابن عباس أخبره وذكر . . . كلاماً . . . وبعده : فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه ، ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران . . . وذكر الحديث .

قال يونس: لم يظهر لمالك عن هذا الشيخ إلا هذا الحديث .

قال الوائلي : أخرجه البخاري وأبو داود عن القعنبي عن مالك[3] . وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك[4] .

* * *

(١) ورواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٨٨) باب ما يستحب ان يقرأ في اليوم والليلة ، وابن مردويه وابن عساكر وأبو نعيم ، وإسناده ضعيف ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ العشر الخواتيم من سورة آل عمران إذا قام من الليل كما جاء ذلك في « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٣٩٩) في فضائل القرآن : باب فضل آل عمران ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البخاري ٣/٥٧ و٥٨ في أبواب العمل في الصلاة : باب استعانة اليد في الصلاة ، وأبو داود رقم (١٣٦٧) في الصلاة باب في صلاة الليل .

(٤) رواه مسلم رقم (١٨١) في صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ورواه مالك في « الموطأ » ١/١٢١ في صلاة الليل : باب صلاة النبي ﷺ في الوتر .

روي من حديث الإمام علي بن الامام موسى الرضى ، قال : حدّثني أبي موسى بن جعفر قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر في طلبها يوم الخميس ، وليقرأ إذا خرج من منزله الخمس آيات من آخر سورة آل عمران وآية الكرسي ، وإنا أنزلناه ، وأم الكتاب ، فإن فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة .

ومن سورة النساء

قال المؤلف غفر الله لنا وله : لا أعلم فيها حديثاً يروى في فضلها إلا حديثاً يشمل جميع السور ، وهو ما ذكره الترمذي ، عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ يَقْرَأُ سُورَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ إلَّا وَكَّلَ الله بِهُ مَلَكاً فَلا يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ » (١) .

وخرجه الوائلي أيضاً عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَخَذَ أَحَدُكُمْ مَضْجَعَهُ لِيَرْقُد فليقرأ بِأُمِ القُرْآنِ وَسُورَةٍ ،فإِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يوكِلُ بِهِ مَلَكاً يَهُبُّ مَعَهُ إذا هَبَّ » .

وخرج الوائلي أيضاً من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن الأسود وعلقمة قالا : قال عبدالله : من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ، ثم استغفر الله غفر له : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [النساء : ١١٠] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فاسْتَغْفَرُوا الله وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ (٢) . [النساء : ٦٣] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٠٤) في الدعوات باب رقم : ٢٣ وأحمد في « المسند » ٤/١٢٥ ، وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٢٢٢) .

(٢) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٢/٢١٩ ونسبه لعبد بن حميد .

ذكر النقاش عن أبي سلمة أنه قال : لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية ، قال : « يا عَلِيُّ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّه أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ المَائِدَةِ وَنِعْمَتْ الفَائِدَةِ » قال القاضي أبو بكر بن العربي : هذا حديث موضوع لا يحل لمسلم اعتقاده : أما إنا نقول : سورة المائدة ونعمت الفائدة ، ولا نأثره عن أحد ، ولكنه كلام حسن .

وقال ابن عطية : هذا عندي لا يشبه كلام النبي ﷺ .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « سُورَةُ المَائِدَةِ تُدْعَىٰ فِي مَلَكُوتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المُبْعَثَرَةُ تَنْقِذُ صَاحِبهَا مِن أَيْدِي مَلَائِكَةِ العَذَابِ »[1] .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : إنما كانت نعمت الفائدة لأنها آخر ما أنزل من القرآن ليس فيها منسوخ . وفيها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها ، وقد بيناها في كتاب « جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان»[1] ، والحمد لله .

سورة الأنعام

أسند أبو جعفر النحاس في كتاب « معاني القرآن » له ، حدّثنا محمد ابن يحيى بن عقبة ، قال : حدّثنا أبو حاتم روح بن الفرج مولى الحضارمة قال : ثنا أحمد بن محمد أبو بكر العمري ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : حدّثني محمد بن طلحة بن علقمة بن وقاص ، عن نافع أبي سهيل بن مالك ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أُنْزِلَتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ مَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ المَلَائِكَةِ سَدَّ مَا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ لَهُم زَجَلٌ بِالتَّسْبِيح ، والأَرْضُ لَهُمْ

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ ، قال الألوسي في « روح المعاني » : وتسمى سورة المائدة : العقود والمنقذة ، قال ابن الغرس : لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٦/ ٣٠ .

تَرْتجُ ورسول الله ﷺ يقول : سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيم ثلاث مرات »[1] .

وقال ابن عباس : نَزَلَتْ ﴿ سُورَةُ الأَنْعَامِ ﴾ جُمْلةً ليلاً بِمَكَّةَ وَمَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْأَرونَ بِالتَّسْبيحِ .

وقال سعيد بن جبير : لم ينزل شيء من الوحي إلا نزل مع جبريل عليه السلام ومعه أربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، وهو قوله تعالى ﴿ لَيعلم أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالات رَبِّهِمْ ﴾ إلَّا ﴿ الأنعام ﴾ فإنها نزلت معها سبعون ألف ملك ، ذكره الحليمي .

وروى في الخبر أنها نزلت جملة واحدة غير ست آيات ، وشيعها سبعون ألف ملك مع آية واحدة منها اثنا عشر ألف ملك ، وهي ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلَّا هُو ﴾ [الأنعام : ٥٩] فكتبوها من ليلتهم . ذكره الهروي[2] . وغيره .

وروى الدارمي في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : ﴿ الأنعام ﴾ من نواجب القرآن[3] وفيه عن كعب قال : فاتحة التوراة ﴿ الأنعام ﴾ وخاتمتها ﴿ هود ﴾[4] .

وذكر الثعلبي عن جابر عن النبي ﷺ قال :«مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/٢ ونسبه للطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في « الشعب » والسلفي في الطيوريات ، قال الهيثمي في « المجمع » : رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس ، عن أحمد بن أبي بكر السالمي ، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات .

(٢) وفي المطبوع : في المغربية المهدي .

(٣) رواه الدارمي رقم (٣٤٠٤) في فضائل القرآن : باب فضائل الأنعام والسور ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه الدارمي رقم (٣٤٠٥) في فضائل القرآن : باب فضائل الأنعام والسور ، وإسناده إلى كعب صحيح .

سُورَةِ الأَنْعَامِ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ وَكَّلَ اللهُ بِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبُونَ لَهُ مِثْلَ عِبَادَتِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَيَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَإِذَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوَسْوِسَ لَهُ يُوحِي فِي قَلْبِهِ شَيْئاً ضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَيَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَبْعُونَ حِجاباً ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : امْشِ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي ، وَكُلْ مِنْ ثِمَارِ جَنَّتِي ، وَاشْرَبْ مِنْ مَاءِ الكَوْثَرِ ، وَاغْتَسِلْ مِنْ مَاءِ السَّلْسَبِيلِ ، فَأَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ »(١) .

الست آيات

قال : المفسرون : ﴿ سورة الأنعام ﴾ مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه ﴾ [الأنعام : ٩١] ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات .

قال ابن عطية وغيره : وهي الآيات المحكمات .

وذكر ابن المبارك ، قال : أخبرنا عيسى بن عمر ، عن عمرو بن مرة أنه حدثهم قال : قال ربيع بن خيثم لجليس له : أيسرك أن تؤتي بصحيفة عن النبي ﷺ لم يفك خاتمها ؟ قال : نعم ! قال : فاقرأ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ فقرأ إلى آخر ثلاث آيات .

وقال كعب الأحبار : هذه الآية مفتاح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ . . . الآية .

---

(١) وذكره السيوطي في «الدر» ٣/٣ ونسبه للسلفي من حديث ابن عباس وقال: إسناده واه .

وقال ابن عباس : هذه الآيات المحكمات التي ذكرها الله في ﴿ سورة الأنعام ﴾ اجتمعت عليها شرائع الخلق ، ولم تنسخ قط في ملة .

وقيل : إنها العشر كلمات التي أنزلها الله عز وجل على موسى عليه السلام .

* * *

آية (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون)

ذكر الثعلبي : أنه رأى في بعض التفاسير أن هذه الآية ﴿ لِكُلِّ نَبَاءٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٧] نافعة من وجع الضرس إذا كتبت على كاغد ، ووضع على السن .

* * *

ومن ﴿ سورة الأعراف ﴾

ذكر الوائلي أبو نصر ، أخبرنا هبة الله بن إبراهيم ، قال : أنا علي بن الحسين ، قال : ثنا أبو عروبة ، قال : ثنا المسيب بن واضح قال : ثنا محمد ابن حمير ، عن محمد بن زياد ، عن عبد الله بن بشر المازني قال : خرجت من حمص[1] وآواني الليل إلى البقيعة ، قال : فنزلت ، فحضرني من أهل الأرض ، فقرأت هذه الآية من الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ والأَرْضَ . . . ﴾ الآية [الأعراف : ٥٤] ، قال بعضهم لبعض : احرسوه الآن حتى يصبح ، قال : فلما أصبحت ركبت وانطلقت إلى حاجتي .

قال الوائلي : أخبرنا الخصيب بن عبد الله ، قال : ثنا محمد بن موسى

---

(١) في نسخة حصن .

ابن فضالة، قال : ثنا أحمد بن أنس ، قال : ثنا هشام - يعني ابن عمار - قال : ثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن الحجاج ، عن الحسن بن علي قال : أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل شيطان مريد ، ومن كل سلطان ظالم ، ومن كل لص عاد ، ومن كل سبع ضار ، آية الكرسي ، وثلاث من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُم اللهُ الذي خَلَقَ ٱلسَّمٰوات والأرْض في ستَّةِ أَيَّام ﴾ وعشر آيات من الصافات ، وثلاث آيات من الرحمن ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا ﴾ وخواتيم سورة الحشر ، وآخر سورة براءة .

وروى أبو داود عن أبي الدرداء قال : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ : حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ ، كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقاً كَانَ فِيهَا أَوْ كَاذِباً[2] .

* * *

ومن ﴿سورة يونس﴾ عليه السلام

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرَ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ [يونس : ٨١] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : مَنْ أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةِ : ﴿ وقَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/٩٠ ونسبه لأبن أبي الدنيا في الدعاء والخطيب في «تاريخه» ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٨١) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، وابن السني رقم (٧١) موقوفاً على أبي الدرداء ، ورجاله ثقات ، لكن فيه زيادة منكرة : وهي « صادقاً بها أو كاذباً » .

عَمَلُ المُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨١] لَمْ يَضُرُّهُ كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلاَ تُكْتَبْ عَلَىٰ مَسْحُورٍ إلاَّ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ السِّحْرَ .

* * *

ومن سورة هود عليه السلام

أسند الدارمي في « مسنده » عن كعب الأحبار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اقْرَؤُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الجُمْعَةِ »(١) .

وروى مروان بن سالم ، عن طلحة بن عبد الله بن كريز ، عن الحسين ابن علي ، عن النبي ﷺ قال : « أَمَانٌ لأُمَّتِي مِنَ الغَرَقِ إذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ وما قَدَّرُوا اللهَ حقَّ قَدَرِهِ وَالأرْضُ جَمِيعَاً قَبضَته يوْمَ القِيامَةِ والسَّمٰواتُ مَطْويَّاتٌ بيَمِنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونْ ﴾ [الزمر : ٦٧] ﴿ بسْمِ اللهِ مَجْريها ومُرسيٰها إنَّ رَبِّي لَغفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [هود : ٤١](٢) .

* * *

ومن سورة الرعد

روى أبان ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ تَأْخُذُ الصَّاعِقَةُ ذاكرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(٣) .

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٤٠٧) في فضائل القرآن : باب فضائل الأنعام وسور ، وإسناده منقطع .

(٢) رواه ابن السني رقم (٥٠١) في « عمل اليوم والليلة » باب ما يقول إذا ركب سفينته ، ورواه أبو يعلى والطبراني وابن عدي وأبو الشيخ وابن مردويه . قال الهيثمي في « المجمع » ١٣٢/١٠ : رواه أبو يعلى عن شيخه جبارة بن مغلس وهو ضعيف ، ورواه أيضاً ابن أبي حاتم والطبراني ، وابن مردويه وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عباس قال الهيثمي في « المجمع » : رواه الطبراني في « الأوسط » و « الكبير » وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك .

(٣) وروى الطبراني من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً » . قال الهيثمي في « المجمع » ١٣٦/١٠ : وفيه يحيى بن كثير أبو النضر وهو ضعيف .

وقال أبو هريرة : كان النبي ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول : « سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلاَئِكَةُ مِن خِيفَتِهِ »[1] .

وقال ابن عباس : مَنْ سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ فَقَال : « سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِير » فَإِنْ أَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ فَعَلَيَّ دِيَتَهُ .

وذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي من حديث سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال : كنا مع عمر في سفر فأصابنا رعد وبرد ، فقال لنا كعب : من قال حين يسمع الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد ، فقلنا ، فعوفينا ، ثم لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت فيه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذا ؟ فقال : بردة أصابت أنفي فأثرت فيه ، فقلت : إن كعباً حين سمع الرعد قال لنا : من قال : حين يسمع الرعد : سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلاَئِكَةُ مِن خِيفَتِهِ ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد ، فقلنا فعوفينا ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفلا قلتم لنا حتى نقولها[2] ؟

ورواه من وجه آخر بهذا المعنى عن ابن عباس قال : كنا مع عمر في سفر بين المدينة والشام ، ومعنا كعب الأحبار ، قال : فأصابنا ريح ، وأصابنا رعد ومطر شديد وبرد ، وفرق الناس ، قال : فقال لي كعب : من قال حين

---

(١) رواه ابن جرير الطبري ١٣/٨٣ ورواه أيضاً ابن مردويه ، كما رواه مالك في « الموطأ » عن عامر بن عبد الله بن الزبير موقوفاً عليه .

(٢) وذكره ابن علان في « شرح الأذكار » ٤/ ٢٨٦ من رواية الطبراني وقال : قال الحافظ : هذا موقوف حسن الاسناد .

يسمع الرعد :﴿سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلاَئِكَةُ مِن خِيفَتِه﴾ عوفي مما يكون في ذلك السحاب من البرد والصواعق ، قال : فقلتها أنا وكعب ، فلما أصبحنا اجتمع الناس ، قلت لعمر : يا أمير المؤمنين ! كأنا كنا في غير ما كان فيه الناس ، قال : وما ذاك ؟ قال : فحدثته حديث كعب فقال : سبحان الله ، أفلا قلتم لنا فنقول كما قلتم ؟ ! ذكرها في روايات الصحابة عن التابعين رضي الله عنهم(١) .

* * *

من ﴿سورة إبراهيم﴾ عليه السلام

إذا سرقت لك سرقة فاكتب على رغيف عمل بغير ملح : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ ويَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بميِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَليلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾ [الفرقان : ٢٥] .

* * *

ومن ﴿سورة سبحان﴾(٢)

ذكر الوائلي أبو نصر ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن الوليد بن كثير ، عن ابن تدرس ، عن أسماء ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت : لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ جاءت العوراء أم جميل امرأة أبي لهب، ومعها فهر، ولها ولولة، حتى دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، قد أقبلت هذه وليس آمنها عليك ؟ قال : « كَلَّا إِنِّي أَقْرَأُ قُرْآناً أَعْتَصِمُ بِهِ مِنْهَا »

---

(١) وهو بمعنى الذي قبله .

(٢) هي سورة الإسراء .

فقرأ النبي ﷺ : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ﴾ [الإسراء : ٤٥] ، فجاءت حتى وقفت على أبي بكر ، فقالت : أين صاحبكم ؟ قال : لم يا أم جميل ؟ قالت : بلغني أنه هجاني ، قال : لا ، والله ما هجاك ، ولكن ربه هجاك ..

* * *

خاتمة سبحان

روى مطرف بن عبد الله ، عن كعب قال : افتتحت التوراة بفاتحة ﴿ الأنعام ﴾ وختمت بخاتمة هذه السورة . وفي الخبر : « أنها آيَةُ الْعِزِّ » . رواه معاذ بن أنس[1] عن النبي ﷺ[2] .

وروى عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ [الإسراء : ١١١][3].

وقال عبد الحميد بن واصل : سمعت رسول الله ﷺ قال : «مَن قَرَأَ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للَّه الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدا﴾ . . . الآية . كَتَبَ اللَّه لَهُ مِنَ الإجْرِ مِثْل الأَرْض وَالجِبَال ، لِإنَّ اللَّه تَعَالى يَقولُ فِيمَن زَعَمَ أنَّ لَهُ وَلَداً : ﴿تَكَادُ السَّمٰوات يَتَفَطَّرن مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتِخِرُّ الجِبَال هدّاً﴾ [مريم : ٩٠] .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ : أن رجلاً شكا إليه الدين ، فأمره أن

---

(١) في المطبوع : معاذ بن جبل وهو خطأ ، والتصحيح من « مسند أحمد » و « مجمع الزوائد » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٤٣٩ وإسناده ضعيف .

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٢٤) : باب ما يلقن الصبي إذا أفصح الكلام ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » عن عبد الكريم بن أمية ، وإسناده ضعيف .

يقرأ : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُو فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾ [الإسراء : ١١٠] إلى آخر السورة ، ثم يقول : تَوَكَّلْتُ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، ثلاث مرات .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده ، عن إسماعيل بن أبي فديك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ ! قُلْ : تَوَكَّلْتُ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتَ ، وَ ﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾[1] .

* * *

من ﴿سورة الكهف﴾

روي في فضلها أخبار وآثار ، فمن ذلك حديث البراء[2] قال : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ، إذ رأى دابته تركض ، فنظر ، فإذا مثل الغمامة أو السحابة ، فأتى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : « تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ ، أَوْ تَنَزَّلَتْ عَلَى القُرْآنِ » خرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وفي الباب عن أسيد بن حضير[3] وقد تقدم .

وخرج الترمذي أيضاً ، عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِن أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ »[4] . وقال : هذا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الفرج » والبيهقي في « الأسماء » عن إسماعيل بن أبي بن فديك مرسلاً ، وابن صرصري في أماليه عن أبي هريرة وهو حديث ضعيف اهـ ضعيف الجامع للألباني رقم (٥١٣٠) .

(٢) في المطبوع : أنس ، وهو خطأ ، والتصحيح من الترمذي وكتب الرجال .

(٣) تقدم تخريجه ص (١٢٤) رقم (٢) .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٨٨٨) في فضائل القرآن : باب ما جاء في فضل سورة الكهف وقد ضعف الألباني هذا الحديث في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٧٧) . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٥٨٢) .

حديث حسن صحيح . وخرجه مسلم أيضاً. وقال فيه : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ » . وفي رواية : « مِن آخِرِ الكَهْفِ »[1] . وفي « صحيح مسلم » أيضاً من حديث النواس بن سمعان « فَمَنْ أَدْرَكَهُ - يَعْنِي الدَّجَّالَ - فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ »[2] .

وذكر الثعلبي ، قال سمرة بن جندب : قال النبي ﷺ : « مَنْ قَرَأَ عَشْرُ آياتٍ مِن سُورَةِ الكَهْفِ حُفِظَ وَلَمْ تَضِرُّهُ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ ، وَمَنْ قَرَأَ السُّورَةَ كُلَّهَا دَخَلَ الجنَّةَ »[3].

وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة : إن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ سُورَةٍ شَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلف مَلَكٍ مَلَءَ عِظَمُها ما بَيْنَ الخَافِقَيْنِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، لِتَالِيها مِثْلُ ذَلِكَ » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « سُورَةُ أَصْحَابِ الكَهْفِ ، مَنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الجُمْعَةِ غَفَرَ اللهُ لَهُ إِلَىٰ الجُمْعَةِ الأُخْرَىٰ وَزِيادَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأُعْطِيَ نُوراً يَبْلُغُ السَّمَاءَ ، وَوُقِيَ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ » ذكره الثعلبي أيضاً[4] . قال المؤلف : ولا يصح .

قال البخاري في « التاريخ » : إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أبو سليمان مولى عثمان بن عفان ، مدني قرشي تركوه . قال لي أحمد بن أبي الطيب ، عن ابن أبي الفديك : مات سنة ست وثلاثين ومائة ، نهى أحمد بن حنبل عن حديثه .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٩) في صلاة المسافرين : باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي .

(٢) رواه مسلم رقم (٢١٣٧) في الفتن : باب ذكر الدجال ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٣٢١) في الملاحم : باب خروج الدجال .

(٣) لم نراه بتمامه، والشطر الاول منه صحيح بشواهده .

(٤) وفي سنده ضعف وانقطاع .

وفي « مسند الدارمي » ، عن أبي سعيد الخدري قال : « مَنْ قَرأَ سُورَةَ الكَهْفِ فِي لَيْلَةِ الجُمْعَةِ أَضاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ العَتِيقِ »[١] .

وقال الوائلي عنه : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له ما بين مقامه وبين البيت العتيق .

وقال معاذ بن أنس[٢] : قال النبي ﷺ : « مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الكَهْفِ وَآخِرَهَا كَانَتْ لَهُ نوراً مِن قَرْنِهِ إلَىٰ قَدَمِهِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا لَيلاً كَانَتْ لَهُ نُوراً مِنَ السَّمَاءِ إلَىٰ الأَرْضِ » ذكره الثعلبي[٣] .

وقال كعب : كان النبي ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات ، التي في الكهف : ﴿ إنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلوبهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وفي آذانِهِمْ وَقْراً وَإنْ تَدْعُهُمْ إلىٰ الهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إذاً أَبداً ﴾ [الكهف : ٥٧] والتي في النحل : ﴿ أُوْلٰئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وأبصَارِهِمْ وأُوْلٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُون ﴾ [النحل : ١٠٨] والآية التي في الشريعة[٤] : ﴿ أَفرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِه وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ . . . الآية [الجاثية ٢٣] .

قال كعب : فكان النبي ﷺ إذا قرأهنَّ يستتر من المشركين .

---

(١) رواه الدارمي موقوفاً على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رقم (٣٤١٠) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة الكهف ، وهو صحيح ، وهذا الموقوف في حكم المرفوع لأنه ليس للرأي فيه مجال .

(٢) في المطبوع : معاذ بن جبل وهو خطأ والتصحيح من « مسند أحمد » و « مجمع الزوائد » .

(٣) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣ / ٤٣٩ وإسناده ضعيف .

(٤) وهي سورة الجاثية .

قال كعب : فحدثت بهن رجلاً من أهل الشام فأتى أرض الروم فأقام بها زماناً ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه فقرأ بهن ، فصاروا يكونون معه في طريقه ولا يبصرونه .

قال الكلبي : وهذا الذي يروونه عن كعب فحدَّثتُ به رجلاً من أهل الري فأسر بالديلم فمكث فيهم زمناً ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه فقرأ بهن حتى جعلت ثيابه لتلمس ثيابهم فما يبصرونه .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وتزاد إلى هذه الآي الآية التي تقدم ذكرها في سبحان : ﴿ وإذا قَرَأتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حَجاباً مَسْتُوراً ﴾ . . [الإسراء : ٤٥] وأول سورة يس إلى قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصرونَ ﴾ على ما يأتي .

وقال عمرو بن دينار : أن مما أُخذ على العقرب أن لا يضر أحداً في ليله ولا في نهاره قال : ﴿ سلامٌ على نُوحٍ في ٱلْعَالَمينَ ﴾ [الصافات : ٧٩] ، وإن مما أُخذ على الكلب أن لا يضر من حمل عليه : ﴿ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذراعَيهِ بالوَصِيدِ ﴾ [الكهف : ١٧] .

وقال أشهب : قال مالك : ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وقال ابن وهب : قال لي حفص بن ميسرة : رأيت على باب وهب بن منبه مكتوباً : ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي موسى [1] : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟ » قال : بلى يا رسول الله : قال : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله إذا

---

(١) في المطبوع : لأبي هريرة ، وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح مسلم » .

قَالَها العَبْدُ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : أَسْلَمَ عَبْدِي واسْتَسْلَمَ » خرجه مسلم من حديث أبي موسى وفيه : فقال : « يَا أَبَا مُوسىٰ ، أَو يَا عَبْدَ الله بَن قَيْسٍ ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزُ الجَنَّةِ » ؟ وفي رواية : « عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ » ؟ قلت : ما هي يا رسول الله ؟ قال : « لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِالله » (١) .

وروي أنه من دخل منزله أو خرج منه فقال : بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله تناثرت عنه الشياطين من بين يديه ، وأنزل الله عليه البركات .

وقالت عائشة رضي الله عنها : إذا خرج الرجل من منزله فقال : بسم الله ، قال الملك : هديت ، وإذا قال : ما شاء الله ، قال الملك : كفيت ، وإذا قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الملك : وقيت . خرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ ـ يَعْنِي إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ـ بِسْمِ الله ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ الله ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِالله ، يُقَالُ لَهُ : كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

خرجه أبو داود أيضاً وزاد : « يقال له : هديت وكفيت ووقيت » (١) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٠٤) في الذكر والدعاء : باب استحباب خفض الصوت بالذكر ، ورواه أيضاً البخاري ١١/ ١٥٩ في الدعوات : باب الدعاء إذا علا عقبة ، وباب قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وفي أبواب عدة ، والترمذي (٣٣٧١) و(٣٤٥٧) في الدعوات : باب رقم ٣و٥٩ ، وأبو داود رقم (١٥٢٦) في الصلاة : باب الاستغفار ، وابن ماجه رقم (٣٨٢٤) في الأدب : باب ما جاء في « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٢) في الدعوات : باب ما يقول إذا خرج من بيته ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٥٠٩٥) في الأدب : باب ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول ، وهو حديث صحيح . قال ابن علان في « الفتوحات » ١/ ٣٣٦ : قال الحافظ : وجدت لحديث أنس شاهداً قوي الإسناد ، ولكنه مرسل عن عون بن عبد الله بن عتبة أن النبي ﷺ قال . . . فذكره .

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ ـ أَوْ بَابِ دَارِهِ ـ كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِهِ ، فَإِذَا قَالَ : بِسْمِ اللهِ قالاَ : هُدِيتَ ، وَإِذَا قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، قالاَ : وُقِيتَ ، فإذا قالَ : توكَّلْتَ عَلَى الله ، قَالاَ : كُفِيتَ . قال : فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولَانِ : مَاذَا تُرِيدَانِ مِنَ الرَّجُلِ ، قَدْ هُدِيَ وَوُقِيَ وَكُفِيَ ؟ »[1] .

وقال الحاكم أبو عبد الله في « علوم الحديث » : سئل محمد بن إسحاق بن خزيمة ، عن قول النبي ﷺ : « تَحَاجَتِ النَّاروالجنَّةُ ، فَقَالَتْ هَذِهِ ـ يَعْنِي الجَنَّةَ ـ تَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ » من الضعيف ؟ قال : الذي برأ نفسه من الحول والقوة ، يعني في اليوم خمسين ، أو عشرين مرة .

وقال أنس بن مالك : قال النبي ﷺ : « مَنْ رَأَى شَيْئاً فَأَعْجَبَهُ وَقَالَ : مَا شاءَ الله لَا قُوَةَ إِلَّا باللهِ لَمْ تَضِرُّهُ عَيْنٌ »[2] .

* * *

خاتمتها

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال له رجل : إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل ، فيغلبني النوم ؟ فقال : إذا أردت أن تقوم أي ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك : ﴿ قُل لو كانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكلمات رَبي . . . ﴾

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٨٨٦) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل اذا خرج من بيته وإسناده ضعيف . ولكن له شواهد بمعناه ، منها الذي قبله .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٠٧) باب ما يقول اذا رأى من نفسه وماله ما يعجبه ، ورواه أيضاً البزار والديلمي من رواية ابي بكر الهذلي ؛ وهو ضعيف جداً ، كما قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥ / ١٠٩ قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » قال بعض السلف ، من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة ـ يعني قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ .

إلى آخر السورة ، فإن الله يوقظك متى شئت من الليل . ذكره الثعلبي .

وفي « مسند الدارمي » أبي محمد ، أخبرنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن عبدة ، عن زر بن حبيش ، قال : من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقوم من الليل قامها ، قال : فجربناه ، فوجدناه كذلك [١] .

ومن ﴿سورة طه﴾

أسند الدارمي أبو محمد في « مسنده » وأبو نصر الوائلي في كتاب « الابانة » له ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالىٰ قرأ ﴿طَهَ﴾ و﴿ يس ﴾ قَبلَ أَنْ يَخْلُقُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ بِأَلْفَيْ عَامٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتِ المَلائِكَةُ القُرْآنَ قَالَتْ : طُوبَىٰ لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهَا هَذٰا ، وَطُوبَىٰ لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذٰا ، وَطُوبَىٰ لِأَلْسِنَةٍ تَتَكَّلمُ بِهَذَا » قال الوائلي : هذا حديث حسن غريب . ومخرجه من المدينة [٢] .

وأسند من حديث قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله قَرَأَ ﴿ طه ﴾ و﴿ يس ﴾ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ » . . . الحديث بمعناه [٣] قال : وهذا عزيز جداً ، ومخرجه من البصرة . قرأها هنا بمعنى : أسمع ، وأظهر ، وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة على ما أراد في الأوقات والأزمنة ، لا أن غير كلامه تعلق وجوده «في» مدة وزمان ، فإن كلامه سبحانه قديم ، والعرب تقول : قرأت الشيء : إذا تتبعه ، وتقول : ما قرأت هذه الناقة في رحمها نسلاً قط : أي ما ظهر منها ولد .

---

(١) رواه الدارمي في « مسنده » رقم (٣٤٠٨) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة الكهف ، وهو موقوف ضعيف .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٤١٧) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة طه ويس . وإسناده ضعيف وذكره السيوطي في « الدر » ونسبه للدارمي وابن خزيمة في « التوحيد » والعقيلي في « الضعفاء » والطبراني في « الأوسط » وابن عدي وابن مردويه والبيهقي في « الشعب » .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر » ٤ / ٢٨٨ ونسبه للديلمي في « مسند الفردوس » وهو بمعنى الذي قبله .

فعلى هذا يكون الكلام سابقاً ، ويكون قراءته إسماعه وإفهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها ، وهو معنى قولنا : قرأنا كلام الله ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ فاقْرؤ وا٠ما تَيسَّر منهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] . قال ابن فديك وغيره : وخرج الوائلي من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، قال : قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أول سورة تعلمت من القرآن كلها بأسرها طه ، فكنت إذا قرأتها عند رسول الله ﷺ فقلت : ﴿ مَا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ قال : « لَاشَقَيْتِ يَا عَائِشَةَ »[(٢)] . قال : وهذا حديث غريب شامي الطريق حسن .

* * *

وفيها آية تدخل في باب الرقى وهي : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُها قَاعاً صَفْصَفاً لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ﴾ [طه : ١٠٧] ترقى به الثآليل ، وهي التي تسمى عندنا بالبراويق ، واحدها : بروقة ، وقد تطلع في الجبين ، وأكثر ذلك في اليد ، فيؤخذ ثلاثة أعواد من تبن الشعير يكون في طرف كل عود عقدة ، تمر كل عقدة على الثآليل ، وتقرأ الآية مرة ، ثم تدفن الأعواد الثلاثة في مكان بدوّ عقد الثآليل ، فلا يبقى لها أثر ، جربت ذلك في نفسي ، وفي غيري ، فوجدته نافعاً ، والحمد لله .

* * *

ومن سورة الأنبياء عليهم السلام

وفيها آية : ﴿ لَا إِله إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمين ﴾ [الأنبياء: ٨٧] روى الترمذي[(٢)] عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ قال: « دَعَاءُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الحُوتِ : لَا إِلهُ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر » ٤ / ٢٨٩ ونسبه لابن عساكر .

(٢) في المطبوع : روى أبو داود ، وهو خطأ .

الظَّالِمِينَ ، لَمْ يَدْعُ الله بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ في شَيْءٍ إلَّا اسْتُجِيْبَ لَهْ »(١) .

وفي هذه الآية سر لله بأن يجيبه كما أجابه ، وينجيه كما نجاه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٨] وليس هنا دعاء صريح ، إنما هو مضمون قوله : ﴿ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فاعترف بالظلم ، فكان تلويحاً بالدعاء ، والله أعلم .

* * *

﴿سورة الحج ﴾

جاء في فضلها ، ما رواه الترمذي ، وأبو داود ، والدارقطني ، عن عقبة بن عامر قال : قلت : يا رسول الله ! فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ؟ قال : « نَعَمْ ! وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا فَلَا يَقْرَأْهُمَا » لفظ الترمذي وقال : هذا حديث ليس إسناده بالقوي (٢) .

* * *

ومن ﴿سورة المؤمنون﴾ (٣)

خاتمتها

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً ﴾ [المؤمنون : ١١٥] إلى آخرها .

روى الثعلبي والوائلي بإسنادهما من حديث ابن لهيعة ، عن أبي هبيرة ، عن حنش بن عبد الله (٤) الصنعاني ، أن رجلاً مصاباً مُرَّ به على ابن مسعود ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٠) في الدعوات : باب رقم ٨٥ ، وأحمد في « المسند » ١ / ١٧٠ ، ورواه الحاكم ١ / ٥٠٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ بن حجر في « أمالي الأذكار » كما في « الفتوحات الربانية » ٤ / ١١ والألباني في تخريج الكلم » رقم (١٢٢) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٥٧٨) في الصلاة : باب ما جاء في السجدة في الحج ، وأبو داود رقم (١٤٠٢) في الصلاة : باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن وأحمد في « المسند » ٤/١٥١ و ١٥٥ ، والحاكم ٢ / ٣٩٠ ، والدّارقطني ١/ ٤٠٨ في سجود القرآن . وهو حديث حسن بشواهده ، وقد ذكر له ابن كثير شواهد في « التفسير » ثم قال : فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً .

(٣) في الأصل : المؤمنين .

(٤) في المطبوع : حنش بن عبيد الله ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الرجال .

فرقاه في أذنه بهذه الآية : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ حتى ختم السورة ، فبرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَاذَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ ؟ » فأخبره ، فقال النبي ﷺ : « والذي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ رَجُلاً مُوقِناً قَرَأَهَا عَلَىٰ جَبَلٍ لَزَالَ » (١) .

ولفظ الوائلي عن حنش ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه مرَّ بمصاب مبتلى ، فقرأ في أذنه ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾ ، فذكره بلفظه ومعناه .

* * *

ومن ﴿سورة الروم﴾

﴿ فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] الى قوله : ﴿ وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم : ١٩] .

روى أبو داود ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ قالَ حِينَ يُصْبِحُ : ﴿فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَذٰلَكَ تُخْرَجُون ﴾ أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ مِنْ يَوْمِهِ ذٰلِكَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ » (٢) .

* * *

﴿سورة آلم تنزيل السجدة﴾

ثبت في « الصحيحين » عن أبي هريرة (٣)، عن النبي ﷺ : « أَنَّهُ كَانَ

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » ١/٧ وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٣١) باب ما يقرأ على من يعرض له في عقله ، والحكيم الترمذي ، وأبو يعلى ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه جميعاً من حديث ابن لهيعة ، وهو ضعيف . انظر « الفتوحات » ٤/٤٦ و « الدر » ٥/١٧ .

السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧٩) باب ثواب من قال ذلك ، والطبراني ، وابن مردويه ، وإسناده ضعيف ، وقال ابن علان في « الفتوحات الربانية » ٣/١١٨ : قال الحافظ بعد تخريجه : حديث غريب .

(٣) في المطبوع : ابن عباس ، وهو خطأ ، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند مسلم فقط ، والذي في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما أثبتناه .

يَقْرَأُ في صَلاةِ الفَجْرِ يَوْمَ الجُمْعَةِ ﴿ آلم تَنْزِيلُ ﴾ ، و﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنْسَانِ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ [1] .

وخرج الدارمي في « مسنده » ، والترمذي في « جامعه » ، عن جابر بن عبد الله قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرَأَ ﴿ آلَمْ تَنْزِيلُ السَّجْدَةُ ﴾ و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ ﴾ [2] .

قال الدارمي : وأخبرنا أبو المغيرة قال : ثنا عبدة ، عن خالد بن معدان[3] قال : « اقْرَؤُا المُنَجِّيَةَ ، وَهِيَ ﴿ آلم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ ﴾ فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها ، ما يقرأ شيئاً غيرها ، وكان كثير الخطايا ، فنشرت جناحها عليه وقالت : رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي ، فشفعها الرب فيه ، وقال : « اكْتُبُوا لَهُ بِكُلِّ خَطِيئَةٍ حَسَنَةٍ ، وَارْفَعُوا لَهُ دَرَجَةً »[4] .

وخرج الحافظ أبو نعيم بإسناده عن عمران بن خالد الخزاعي قال : كنت عند عطاء الخراساني جالساً ، فجاء رجل فقال : يا أبا محمد ، إن طاوساً يزعم أن من صلى العشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ فيهما في الأولى ﴿ آلم تنزيل السجدة ﴾ ، وفي الثانية ﴿ تبارك ﴾ كتب له قنوت مثل ليلة القدر

---

(١) رواه البخاري ٢/٣١٤ في الجمعة : باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ، ومسلم رقم (٨٨٠) في الجمعة : باب ما يقرأ يوم الجمعة ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم رقم (٨٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وانظر « جامع الأصول » رقم (٣٤٣٦) و(٣٤٣٧) .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٤١٤) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ، والترمذي رقم (٣٤٠١) في الدعوات : باب رقم ٢٢ ، وأحمد ٣/٣٤٠ وأبو عبيد في فضائله ، وعبد بن حميد والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧٠٦ ـ ٧٠٩) والحاكم وصححه وابن مردويه ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٥٨٥) .

(٣) في المطبوع : عن خالد عن معدان ، وهو تحريف .

(٤) رواه الدارمي رقم (٣٤١١) في فضائل القرآن باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ، وإسناده إلى خالد بن معدان صحيح ، وهو موقوف عليه .

فقال عطاء : صدق طاوس ، ما تركتهما[1] .

* * *

ومن ﴿سورة الأحزاب﴾

فيها آيتان : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً ﴾ [الأحزاب : ٣٨] ، من قالهما عند مصيبة أو شدة ، هانت عليه تلك الشدة أو المصيبة ، وعوضه الله خيراً منها إن شاء الله ، كما مضى في ﴿ البقرة ﴾ .

* * *

﴿سورة يس﴾

روى أبو داود ، عن معقل بن يسار ، قال : قال النبي ﷺ : « اقْرَؤُا يَس عَلَىٰ مَوْتَاكُمْ المُحْتَضِرين »[2] .

ذكره الآجري في كتاب « النصيحة » له من حديث أم الدرداء عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يُقْرَأُ عَلَيْهِ سُورَةَ ﴿يس﴾ إلاَّ هُوِّنَ عَلَيْهِ »[3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » ٤/٧ وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣١٢١) في الجنائز باب القراءة عند الميت ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٧٢٠) وابن ماجه رقم (١٤٤٨) في الجنائز : باب ما يقال عند المريض إذا حضر وإسناده ضعيف ، فيه مجهولان ، وضعفه النووي في « الأذكار » ، رقم (٤٤٥) قال ابن علان في « الفتوحات » : قال الحافظ : ووجدت لحديث معقل شاهداً عن صفوان بن عمرو عن المشيخة أنهم حضروا غضيف بن الحارث حين اشتد سوقه ، فقال : هل فيكم أحد يقرأ ﴿يس﴾ قال : فقرأها صالح بن شريح السكوني ، فلما بلغ أربعين آية فيها قبض ، فكان المشيخة يقولون : إذا قرئت عند الميت خفف عنه بها ، قال الحافظ : هذا موقوف حسن ، والمشيخة الذين نقل عنهم لم يسموا ، لكنهم ما بين صحابي وتابعي كبير ، ومثل هذا لا يقال بالرأي فله حكم الرفع ، وأخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي الشعثاء جابر بن زيد وهو من ثقات التابعين أنه يقرأ عند الميت سورة الرعد ، وسنده صحيح . انظر « الإرواء » للألباني رقم (٦٨٨) .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر » ٢٥٧/٥ ونسبه لابن مردويه والديلمي ، وهو بمعنى الذي قبله .

وفي « مسند الدارمي » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يَس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ غُفِرَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ »[١] . خرجه أبو نعيم الحافظ أيضاً . وروى الترمذي أيضاً، عن أنس قال: رسول الله ﷺ : « إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً ، وَقَلْبُ القُرْآنِ يسٓ ، وَمَنْ قَرَأَ يسٓ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِقِرَاءَتِها قِرَاءَةَ القُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ » قال : هذا حديث غريب ، وفي إسناده هارون أبو محمد شيخ مجهول[٢] وفي الباب عن أبي بكر رضي الله عنه ، ولا يصح حديث أبي بكر من قبل إسناده وإسناده ضعيف .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ : قال : « إنَّ في القُرْآنِ لَسُورَةً تَشْفَعُ لِقَارِئِها ، وَتُكَفِّرُ لِمسْتَمِعِها ، أَلَا وَهِي سُورَةُ يسٓ ، تُدْعَى فِي التَّوْرَاةِ : المعمَّة » قيل : يا رسول الله ! وما المعمَّة ؟ قال : « تَعِمُّ صَاحِبَها بِخَيْرِ الدُّنْيا ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ أَهَاوِيلُ الآخِرَةِ ، وَتُدْعَى الدَّافِعَةُ والقَاضِيَةُ » ، قيل : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : « تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِها كُلَّ شَيْءٍ وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ ، وَمَنْ قَرَأَها عَدَلَتْ لَهُ عِشْرِينَ حِجَّةٍ ، وَمَنْ سَمِعَها كَانَتْ لَهُ كَأَلْفِ دِينَارٍ تَصَّدَقَ بِها فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ كَتَبَها وَشَرِبَها أَدْخَلَتْ جَوْفَهُ أَلفَ دَوَاءٍ ، وَأَلْفَ نُورٍ ، وَأَلْفَ يَقِينٍ ، وَأَلْفَ رَحْمَةٍ ، وَأَلْفَ هُدىً ، وَنُزِعَ عَنْهُ كُلَّ ذِي غُلٍّ » ذكره الثعلبي[٣] من حديث عائشة ، والترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » من

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٤٢٠) في فضائل القرآن: باب في فضل يس ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » ٢ / ١٥٩ وأبو يعلى وابن السني رقم (٦٧٤) من حديث أبي هريرة ، وابن حبان من حديث جندب بن عبد الله البجلي ، وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٨٠٠) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٨٩) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل يس ، ورواه أيضاً الدارمي رقم (٣٤١٩) في فضائل القرآن: باب في فضل يس ، قال الألباني في « موضوع .

(٣) في المطبوع : الترمذي ، وهو تحريف ، وقد وقع للمؤلف في تفسيره « جامع لأحكام القرآن » الثعلبي .

حديث أبي بكر رضي الله عنه[1] .

وفي « مسند الدارمي » ، عن شهر بن حوشب قال : قال ابن عباس : مَنْ قَرَأَ ﴿ يٓس ﴾ حِينَ أَصْبَحَ أُعْطِيَ يُسْرَ يَوْمِهِ حَتَّىٰ يُمْسِي ، وَمَنْ قَرَأَها فِي لَيْلَتِهِ أُعْطِيَ يُسْرَ لَيْلَتِهِ حَتَّىٰ يُصْبِحَ[2] .

وذكر أبو جعفر النحاس عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لكل شيء قلب ، وقلب القرآن يس ، من قرأها نهاراً كفي همه ، ومن قرأها ليلاً غفر ذنبه .

وقال شهر بن حوشب : يقرأ أهل الجنة طه ويس .

قال المؤلف : رفع هذه الاخبار الثلاثة أبو الحسن الماوردي في « العيون » له : فقال : روى الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قلباً ، وَإِنَّ قَلْبَ القُرْآنِ سُورَةَ يَسٓ ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ أُعطِيَ يَسْرَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي يَوْمٍ أُعْطِيَ يُسْرَ ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَإِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يُرْفَعُ عَنْهُمُ القُرْآنَ ، فَلَا يَقْرَؤُنَ شَيْئاً إِلَّا طَهٓ ويسٓ »[3] .

وقال يحيى بن أبي كثير : بلغني أن من قرأ سورة ﴿ يس ﴾ ليلاً لم يزل

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٥٦ وزاد نسبته لسعيد بن منصور والبيهقي، وقال السيوطي : قال البيهقي : تفرد به محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني عن سليمان بن مرقاع وهو منكر ، ورواه الخطيب في « تاريخه » ٢/٢٨٧ من حديث أنس ، وقال الخطيب : وهذا الحديث بهذا الاسناد باطل ، وإنما يحفظ من حديث محمد بن عبد الرحمن الجدعاني ، عن سليمان بن مرقاع ، عن هلال ، عن الصلت عن أبي بكر الصديق ، ولا أعلم يروي هذا الحديث إلا من طريق الجدعاني وفي آسناده غير واحد من المجهولين .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٤٢٢) في فضائل القرآن باب في فضل يس ، وإسناده ضعيف .

(٣) ورواه الدارمي مختصراً رقم (٣٤٢٢) في فضائل القرآن باب في فضل يس ، وإسناده ضعيف .

في فرج حتى يصبح ، ومن قرأها نهاراً حين يصبح لم يزل في فرج حتى يمسي ، ولقد حدثني من جربها . ذكره الثعلبي وابن عطية . قال ابن عطية : ويصدق ذلك التجربة .

وذكر الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » حدثنا عبد الأعلى : ثنا محمد بن الصلت ، عن عمرو بن ثابت ، عن محمد بن مروان ، عن أبي جعفر قال : من وجد قلبه قساوة فليكتب في جام سورة يس بزعفران ثم يشربه [(١)] .

وأسند عن محمد بن علي قال : قال رسول الله ﷺ : ... الحديث ، وفيه : « وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللهِ لَسُورَة تَدْعَىٰ القَرِيرَةُ ، يُدْعَىٰ صَاحِبُهَا : الشَّرِيفُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا أَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرُ ، وَهِي سُورَةُ يٓس »[(٢)] .

وذكر الثعلبي عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : « مَنْ دَخَلَ المَقَابِرَ فَقَرَأَ سُورَةَ يٓس ، خَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ يَومَئِذٍ ، وَكَانَ لَهُ بِعَدَدِ مَا فِيها حَسَنَاتٍ »[(٣)] .

وذكر ابن اسحاق في هجرة النبي ﷺ ومقام علي بن أبي طالب على فراشه قال : وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ، وأخذ الله على أبصارهم ، فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس ﴿يٓس * وَٱلْقُرْآنِ الحَكِيمِ * إِنَّكَ لِمِنَ المُرْسَلِين﴾ حتى بلغ ﴿ فَهُمْ لَا يُبصِرُون ﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ،

---

(١) وذكره السيوطي في « الدر » ٥/٢٥٧ وزاد نسبته للبيهقي والحاكم (٤٢٨/٢) .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر » ٥/٢٥٧ ونسبه لأبي نصر السجزي في « الإبانة » وحسنه عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) ذكره السيوطي في كتابه « شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور » ص / ١٣٠ ونسبه لعبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس ، ولم نقف على سنده حتى نتبينه ، ونكاد نجزم بأنه لا يصح .

ولم يبقى رجل منهم إلا وقد وضع على رأسه تراب ، ثم انصرف إلى حيث أراد[1] .

وفي رواية قال محمد بن اسحاق : جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل ،وأمية بن خلف، يراصدون النبي ﷺ ليبلغوا منه أذاه فخرج عليهم ﷺ وهو يقرأ يس ، وفي يده تراب ، فرماهم به ، وقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا منْ بَيْنِ أيديهم سَدًّا ومِنْ خلفهم سَدًّا ، فأَغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ فأطرقوا حتى مر عليهم رسول الله ﷺ .

ومن فضائل ﴿يس﴾ أنها تكتب في تربيع ورقة ، من قوله ﴿يٓس﴾ ، إلى قوله : ﴿فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ مفرقة الحروف ، فإنها يرد بها العبد الآبق والجارية الآبقة ، يغرس في وسط الورقة في قلب اسم الآبق إبرة ، ويعلق حيث كان يأوي ، فإنه يعود ، مجرب إن شاء الله تعالى ، نقله بعض العلماء .

* * *

ومن ﴿سورة الصافات﴾

أولها عشر آيات ، وقد تقدَّم ذكرها . وذكر أبو عمر في « التمهيد » ، عن سعيد بن المسيب قال : بلغني أنه من قال حين يمسي : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي العَالَمِينَ ﴾ لم يلدغه عقرب .

* * *

خاتمتها

روي من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان يقرأ قبل أن يسلم ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ* وسَلَامٌ على المُرْسَلِينَ*

---

(١) ذكره ابن هشام في « السيرة » ٢/١٢٧ أن ابن إسحاق قال : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي . . . فذكره ، وهو مرسل صحيح . وذكره السيوطي في «الدر» ٢٥٨/٥ وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأبي نعيم في «الدلائل» عن محمد بن كعب القرظي .

والحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمينَ ﴾ ذكره الثعلبي[١] .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : أخبرنا الشيخ المحدث الحافظ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالحيرة قبالة المنصورة قراءة عليه بها ، قال : أَخبرتنا الحرة أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشعري بنيسابور في المرة الأولى ، قالت : أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن أَبي بكر القاري ، قال : ثنا أبو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي ، قال : ثنا أَبو سهل بشر بن أحمد الاسفراييني ، قال : ثنا أبو سليمان داود بن الحسن البيهقي ، قال : حدثنا أبو زكريا يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاة أو حين ينصرف : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَىٰ المُرْسَلِينَ * وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾[٢] .

وذكر الماوردي : وروى الشعبي قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُكْتَالَ بِالمكيال الأَوْفَى مِنَ الأَجْرِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَلْيَقُلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ : ﴿ سُبْحَانَ ربِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَىٰ المُرْسَلِينَ * وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ »[٣] ذكره الثعلبي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً[٤] .

---

(١) ذكره ابن كثير في « التفسير » من رواية أبي يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقال : إسناده ضعيف ونسبه في « الدر » ٥/٢٩٥ لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن مردويه .

(٢) وإسناده ضعيف .

(٣) ذكره ابن كثير من رواية أبي حاتم عن الشعبي مرسلا .

(٤) ذكره السيوطي من رواية الديلمي عن علي مرفوعاً ، وأورده ابن كثير في « التفسير » من رواية البغوي في « تفسيره » ٤٣/٦ عن علي موقوفاً ، وإسناده ضعيف في الموقوف .

من ﴿سورة الزمر﴾

روى الترمذي ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ لاَ يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرَأَ ﴿ الزمر ﴾ و ﴿ بني إسرائيل ﴾ »[1] وقد تقدم سنده

وفيها آية ﴿قُل اللَّهُمَّ فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ . . .﴾ [الزمر: ٤٦] .

في «صحيح مسلم »، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال : سألت عائشة أم المؤمنين ، بأي شيء كان النبي ﷺ يستفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[2] .

ولما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهم قرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰواتِ والأَرْضِ عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٤٦] .

وقال سعيد بن جبير : إني لأعرف موضع آية ، ما قرأها أحد قط ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٠٢) في الدعوات : باب رقم ٢٢ وأحمد ٦/٦٨ و ١٢٢ والحاكم ٢/٤٣٤ ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٦٤١) ، وتقدم حديث جابر ص (٢٧٢) رقم (٢) .

(٢) رواه مسلم رقم (٧٧٠) في صلاة المسافرين: باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٧٦٧) في الصلاة : باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، والترمذي رقم (٣٤١٩) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل ، والنسائي ٢/٢١٢ ـ ٢١٣ في قيام الليل : باب بأي شيء تستفتح صلاة الليل ، وابن ماجه رقم (١٣٥٧) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ، وأحمد في « المسند » ٦/١٥٦ .

فسأل الله شيئاً إلا أعطاه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ . وفيها آية أمان من الغرق ، وقد تقدم ، وهو قوله تعالى : ﴿ ومَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه ﴾ وقد تقدم في هود .

ومن ﴿سورة غافر﴾ فاتحتها

قال ثابت البناني : كنت إلى جانب سرادق مصعب بن الزبير في مكان لا يمر فيه الدواب ، فاستفتحت ﴿ حَم* تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ ، فمر عليَّ رجل على دابة ، فلما قلت : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴾ ، قال : قل : يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي ، فلما قلت : و ﴿ قَابِلِ التَّوْبِ ﴾ قال : قل : يا قابل التوب اقبل توبتي ، فلما قلت : ﴿ شَدِيدِ العِقَابِ ﴾ قال : قل : يا شديد العقاب اعف عني ، فلما قلت : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ، قال : قل : يا ذا الطول تطول علي بخير ، فقمت إليه ، فأخذ ببصري فالتفت يميناً وشمالاً ، فلم أر شيئاً . ذكره الثعلبي[1] .

وأنبأناه شيخنا الإمام أبو القاسم عبد الله عن أبيه الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف الكومي ، قال : أنبأنا الشيخ الإمام الحافظ العدل أبو الفضل أحمد بن صالح الحليمي إجازة ومناولة ، قال : أنبأنا الشيخ الإمام أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي بقراءتي عليه في صفر سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، قال : أنبأنا الشيخ الفقيه أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن سليمان الواسطي فيما أذن لنا في روايته عنه ، وكتب لنا بذلك خطه في جمادى الأولى في سنة ثمان وستين

(١) وذكر السيوطي في « الدر » ٥/٣٤٥ ونسبه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم .

وأربعمائة . قال : أنا أبو أحمد محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي قراءة عليه،وأنا أسمع فأقر به،قال:أنا جعفر محمد بن نصير بن القاسم الخواص المعروف بالجلدي قراءة عليه في يوم السبت لعشر بقين من جمادي الأولى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، قال : ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي الصوفي ، قال : ثنا أبو جعفر محمد بن الحسين البرجلاني ، قال : ثنا مالك بن عبد العزيز ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، قال : كنت في سرادق مصعب بن الزبير بمنى في مكان لا يمر فيه الدواب فاستفتحت : ﴿ حٰمٓ* تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ* غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ قال : فمر شيخ على بغلة شهباء فقال : يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي ، يا قابل التوب تقبل توبتي ، يا شديد العقاب اعف عن عقابي ، يا ذا الطول تطول علي بخير ، ثم ذهب ، فالتفت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً .

وذكر الوائلي أبو نصر عبيد الله ، قال : أنبأنا الخطيب بن عبد الله قال : أنا محمد بن إبراهيم المرواني ، قال : ثنا عمر بن الحسن ، قال : ثنا محمد ابن قدامة ، ثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن زرارة بن مصعب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ ،وآيةً مِن أَوَّلِ ﴿ حٰم المؤمن ﴾ حُفِظَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِي ، وَمَنْ قَرَأَها حِينَ يُمْسِي حُفِظَ في لَيْلَتِهِ حَتَّىٰ يُصْبِحَ »[1] .

* * *

(١) وإسناده ضعيف ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٨٨٢) في ثواب القرآن: باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، وإسناده ضعيف أيضاً وقال : هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه . ورواه أيضاً البزار ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » .

آية ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ بَصيرٌ بِالعِبَادِ ﴾

روي في الخبر أنه قال : من قال : ﴿ وأُفوِّض أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ ﴾ أمن من مكر الناس ، قال الله تعالى : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾ .

ما جاء في الحواميم

روى الدارمي في « مسنده » ، قال : حدثنا جعفر بن عون ، عن مسعر ، عن سعد بن إبراهيم ، قال : إنَّ الحواميم يسمين العرائس(١) .

وروي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « الحَوامِيمُ دِيباجُ القُرْآنِ » (٢) .

وروى ابن مسعود قوله (٣) .

وروي أن النبي ﷺ قال : « لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةً ، وَإِنَّ ثَمرَةَ القُرْآنَ حَمَ ، هُنَّ رَوْضَاتٌ (٤) حِسَانٌ مُخْصَبَاتٌ (٥) مُتَجَاوِراتٌ ، فَمَنْ أَحبَّ أَنْ يَرْتَعَ في رِيَاضِ الجَنَّةِ فَلْيَقْرَأْ الحَوامِيمُ »(٦) .

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٤٢٥) في فضائل القرآن : باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات . وإسناده إلى سعد بن إبراهيم صحيح .

(٢) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ونسبه لأبي الشيخ في « الثواب » وأبي نعيم ، والديلمي .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » ٤٣٧/٢ وسكت عنه هو والذهبي وكذا رواه أيضاً ابن الضريس والبيهقي في « شعب الإيمان » من قول ابن مسعود .

(٤) في المطبوع : رضوان وهو تحريف والتصحيح من « جامع أحكام القرآن » للمصنف .

(٥) في المطبوع : محصنات ، وما أثبتناه من « جامع أحكام القرآن » للمصنف .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » في جملة حديث طويل ونسبه لابن الضريس من حديث إسحاق بن عبد الله قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : . . فذكره . وإسناده منقطع .

وقال النبي ﷺ : « مَثَلُ الحَوامِيمُ في القُرْآنِ كَمَثَلِ الحَبَراتِ[1] فِي الثِّيَابِ » ذكرهما الثعلبي .

وقال أبو عبيد : حدّثني حجاج بن محمد ، عن أبي معشر[2] عن محمد بن قيس[3] قال : رأى رجل سبع جوار حسان مزينات[4] في النوم ، فقال : لمن أنتن بارك الله فيكن ؟ فقلن : نحن لمن قرأنا ، نحن الحواميم .

سورة الدخان

في « مسند الدارمي » أبي محمد ، عن أبي رافع قال : « مَنْ قَرَأَ ﴿ الدُّخان ﴾ في لَيْلَةِ الجُمْعَةَ أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ ، وَزُوِّجَ مِنَ الحُورِ العِين »[5] .

رفعه الثعلبي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ ﴿الدخان﴾في لَيْلَةِ الجُمْعةِ غُفِرَ لَهُ » .

وفي الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ ﴿الدخان ﴾ فِي لَيْلَةِ الجُمْعَةِ غُفِرَ لَهُ » وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهشام أبو المقدام يضعف ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة[6] .

---

(١) في المطبوع : الجران ، ولا معنى لها هنا ، والتصحيح من « جامع أحكام القرآن » للمؤلف رحمه الله .

(٢) في المطبوع : ابن أبي مسعر ، والتصحيح من «جامع احكام القرآن » للمصنف .

(٣) هو محمد بن قيس المدني قاضي عمر بن عبد العزيز .

(٤) في المطبوع : مريشات .

(٥) رواه الدارمي رقم (٣٤٢٤) في فضائل القرآن : باب في فضل حم الدخان ، وإسناده إلى أبي رافع صحيح .

(٦) رواه الترمذي رقم (٢٨٩١) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل حم الدخان . وابن السني رقم (٦٧٩) وفي سنده ضعف وانقطاع .

وقال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ ﴿ حم الدخان ﴾ في لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » . وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمرو بن أبي خثعم يضعف ، قال محمد [1]: هو منكر الحديث [2] .

وذكر الثعلبي عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ ﴿ الدخان ﴾ لَيْلَةَ الجُمْعَةِ أَوْ يَوْمَ الجُمْعَةِ بُنِيَ له بَيْتٌ في الجنَّة » [3] .

قال القاضي أبو بكر بن العربي في « سراج المريدين » له : حم الدخان حديثها منكر لا يلتفت اليه أحد أصلاً .

* * *

خاتمة ﴿الأحقاف﴾

قال ابن عباس : أذا عسر على المرأة ولدها ، يكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ، ثم يغسل ويسقى منها وهي : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾ لا إلَه إلاَّ الله العَظِيمُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ ، سُبْحَانَ الله ربِّ السَّمٰواتِ وَرَبِّ العَرْشِ الكَريم ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُون لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنَ نَهارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

﴿سورة الفتح﴾

في « الصحيحين » [4]، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه، أن رسول الله

---

(١) يعني محمد بن اسماعيل البخاري الإمام صاحب الصحيح .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٠) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل حم الدخان وإسناده ضعيف .

(٣) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦٨/٢ ونسبه للطبراني في « الكبير » وقال الهيثمي : وفيه فضالة بن جبير وهو ضعيف جداً .

(٤) هو عند البخاري فقط وليس عند مسلم كما ذكر المصنف .

ﷺ كان يسير في بعض أسفاره [1] وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شيء ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله ، فلم يجبه ، ثم سأله ، فلم يجبه . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثكلتك أمك يا عمر ، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات [2] كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت دابتي ، ثم تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن ، فما نشبت أن جئت رسول الله ﷺ ، فسلمت عليه ، فقال : « لقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ سُورَةٌ وَهِي أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ » ثم قرأ : ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبيناً ﴾ لفظ البخاري [3] .

وقال الترمذي : حديث حسن غريب صحيح [4] .

وخرجه مسلم عن قتادة عن أنس بن مالك حدثهم قال : لما نزلت ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لكَ فَتْحاً مُبيناً ﴾ إلى قوله : ﴿ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ مرجعه من الحديبية ، وهم مخالطهم الحزن والكآبة ، وقد نحر الهدي بالحديبية ، فقال : « لقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيةَ هِي أحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً » [5] .

وقال المسعودي : بلغني أنه من قرأ ﴿ سورة الفتح ﴾ في أول ليلة من

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» : هذا السياق صورته الارسال ، وإن الاسماعيلي والبزار أخرجاه من طريق محمد بن خالد عثمة عن مالك بصريح الاتصال ، ولفظه : عن أبيه عن عمر ... وانظر « الفتح » ٥٣/٩ .

(٢) أي ألححت عليه وبالغت في سؤاله .

(٣) رواه البخاري ٥٢/٩ في فضائل القرآن : باب فضل سورة الفتح ، ورواه أيضاً مالك في « الموطأ » ١/ ٢٠٣ و٢٠٤ في القرآن : باب ما جاء في القرآن .

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٢٥٨) في التفسير : باب ومن سورة الفتح ،وإسناده صحيح .

(٥) رواه مسلم رقم (١٧٨٦) في الجهاد : باب صلح الحديبية في الحديبية ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٢٥٩) في التفسير : باب ومن سورة الفتح .

رمضان في صلاة التطوع ، حفظه الله ذلك العام .

* * *

﴿سورة الرحمن﴾ جل وعلا

روى علي كرم الله وجهه : أن رسول الله ﷺ قال : « لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ وعَرُوس القُرْآنِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ »[1] .

وقال العلماء : هذه سورة عدد الله فيها النعم ، وخاطب تعديدها الثقلين كليهما : الجن والانس ، فقال في ذكر كل نعمة ﴿ فبأَيِّ آلآء رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ ﴾ فكان في هذا القول سؤال يحتاج الى رد الجواب، وكذلك لما قرأها رسول الله ﷺ على الجن قالوا : ولا بشيء من نعمة ربنا نكذب ، فلك الحمد .

خرجه الترمذي من حديث جابر قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : « لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَىٰ الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رداً ، كُلَّما أَتَيْتُ عَلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ فبأي آلآءِ رَبِكُما تُكَذِّبانِ ﴾ قالُوا : وَلَا بِشَيْءٍ مِن نِعْمَةِ[2] رَبِّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ » قال : حديث غريب[3] .

وأثنى ﷺ على الجن حين تلا عليهم السورة بحسن ردهم الجواب ، وفيما بلغنا عمن تقدم أن فيها آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الرجل وهي ﴿ يا معشر الجِنِّ والإِنْسِ إنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ

---

(١) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ونسبه للبيهقي في « الشعب » . وقال المناوي في « الفيض » : وفيه علي بن الحسن دبيس عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين ، وقال الدارقطني : ليس بثقة .

(٢) في نسخ الترمذي المطبوعة : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٢٨٧) في التفسير : باب ومن سورة الرحمن ، ورواه الحاكم ٤٧٣/٢ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أيضاً ابن المنذر وأبو الشيخ في « العظمة » وابن مردويه والبيهقي في « الدلائل » وله شاهد من حديث ابن عمر ، رواه البزار وابن جرير الطبري .

وَالأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] فإنه لا يؤذيه باذن الله تعالى .

* * *

﴿سورة الواقعة﴾

ذكر ابن وهب قال : ثنا السري بن يحيى عن أبي شجاع ، حدثه عن أبي ظبية ، عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً » [1] قال وكان أبو ظبية لا يدعها أبداً .

وذكر أبو عمر في كتاب « التمهيد » والثعلبي في « تفسيره » أنعثمان رضي الله عنه دخل على ابن مسعود رضي الله عنه يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقال : ما تشتكي ؟ فقال : ذنوبي ، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ، قال : أفلا ندعو لك طبيباً ؟ قال له : الطبيب أمرضني ، قال : أفلا نأمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، حبسته عني في حياتي ، وتدفعه لي عند مماتي . قال : يكون لبناتك من بعدك ، قال: أفتخشى على بناتي الفاقة من بعدي! إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة،فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً » .

وقال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ، ونبأ أهل

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١٥٣/٦ ونسبه لأبي عبيد في «فضائله» وابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » وأبي يعلى ، قال المناوي في « فيض القدير » ٢٠١/٦ : وفيه أبو شجاع ، قال في « الميزان » : نكرة لا يعرف ، ثم أورد هذا الخبر من حديثه عن ابن مسعود . وقال المناوي ، قال ابن الجوزي في « العلل » . قال أحمد : هذا حديث منكر ، وقال الزيلعي تبعاً لجمع : هو معلول من وجوه: أحدها :الانقطاع كما قاله الدارقطني وغيره ، والثاني : نكارة متنه كما ذكره أحمد ، والثالث : ضعف رواته كما قاله ابن الجوزي ، والرابع : اضطرابه ، وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابنه ، والدارقطني وغيرهم انظر « الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (٢٨٩) .

الجنة ، ونبأ أهل النار ، ونبأ أهل الدنيا ، ونبأ أهل الآخرة ، فليقرأ سورة الواقعة . ذكره الثعلبي .

رواه شريح بن يونس ، قال : ثنا عبيدة ، قال : ثنا منصور عن هلال بن يساف ، قال : قال مسروق : من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين ، وعلم الدنيا والآخرة ، فليقرأ سورة الواقعة .

* * *

﴿المسبحات﴾

روى الترمذي : عن العرباض بن سارية : إنَّ النبِّيَّ ﷺ ، كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرَأَ المُسَبِّحاتِ ، ويَقُولُ : « فِيها آيَةٌ خَيْرٌ مِن أَلْفِ آيَةٍ » ، قال : هذا حديث حسن غريب أخرجه أبو داود أيضاً (1) .

يعني بالمسبحات : ﴿ الحديد ﴾ و﴿ الحشر ﴾ و﴿ الصف ﴾ و﴿ الجمعة ﴾ و﴿ التغابن﴾ .

* * *

﴿سورة المجادلة﴾

ذكر في فضلها : أنها ليس فيها آية إلا وفيهااسم الله تعالى متلوٌّ ، وذلك لا يوجد في غيرها .

* * *

خاتمة﴿سورة الحشر ﴾

روي عن أبي هريرة قال : سألت خليلي أبا القاسم رسول الله ﷺ ، عن اسم الله الأعظم ، فقال : « يَا أَبا هَرَيْرَة ! عَلَيْكَ بِآخِرِ سُورِةِ الحَشْرِ » ، فأعدت عليه ، فأعاد عليَّ .

وروي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ

---

(1) رواه الترمذي رقم (٣٤٠٣) في الدعوات : باب رقم ٢٢ وأبو داود رقم (٥٠٥٧) في الأدب : باب ما يقال عند النوم ، أحمد في « المسند » ٤/١٢٨ ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧١٣ ـ ٧١٤) ، وابن السني رقم (٦٨٢) وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

الحَشْرِ فِي لَيْلٍ أَو فِي نَهَارٍ فَقَبَضَه الله تَعَالَىٰ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَوْ في ذٰلِكَ اليَوْمِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ الله لَهُ الجَنَّةَ »(١).

وروى « الترمذي » عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ ، وَكَّلَ الله بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُمْسيَ ، وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ مَاتَ شَهِيداً ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يُمْسِيَ فَكَذٰلِكَ » قال : حديث حسن غريب(٢).

وذكر الثعلبي عن يزيد الرقاشي عن أنس ، أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ الحَشْرِ ﴿ لَوْ أَنْزَلنا هٰذَا القُرْآن على جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً ﴾ [الحشر : ٢١] فَمَاتَ فِي لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيداً(٣).

* * *

﴿سورة الملك﴾

روى الترمذي ، عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خِبَاءَهُ على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ضربت خِبَائي على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، وإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخه » ١٢/٤٤٤ وإسناده ضعيف ، ورواه أيضاً ابن عدي وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٧٨٢) : ضعيف جداً .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٣) في ثواب القرآن : باب في فضل آخر سورة الحشر ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٢٦ والدارمي رقم (٣٤٢٨) في فضائل القرآن : باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ، وابن السني (٨٠) ابن الضريس والبيهقي في « شعب الإيمان » وفي سنده خالد بن طهمان ، وهو صدوق اختلط قبل موته بعشر سنين .

وساق الذهبي له هذا الحديث في « الميزان » وقال لم يحسنه الترمذي ، وهو حديث غريب جداً . انظر « الإرواء » رقم (٣٤٢) .

(٣) رواه ابن السني بنحوه في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧١٨) باب ما يقول إذا أخذ مضجعه ، قال الحافظ : حديث غريب وسنده ضعيف جداً ، من أجل يزيد بن أبان الراوي للحديث عن أنس .

ختمها ؟ فقال النبي ﷺ : « هِيَ المَانِعَةُ ، هِي المُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ »(١) قال : هذا حديث حسن غريب .

وعنه ﷺ : « وددت أن ﴿تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾ في كل مؤمن » ذكره الثعلبي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسوّل الله ﷺ : « إنَّ سُورَةً مِنَ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ إنَّما هِيَ ثلاثون آيةً شَفَعَتْ لرجلٍ حَتَّى أَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ وَهِي سُورَةُ تَبَارَكَ » خرجه الترمذي بمعناه قال فيه : حديث حسن (٢) .

وقال ابن مسعود : إذا وضع الميت في قبره ، فيؤتى من قبل رجليه ، فيقال : ليس لكم عليه سبيل ، فإنه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ، ثم يؤتى من قبل رأسه ، فيقول لسانه : ليس لكم عليه سبيل ، فإنه كان يقرأ سورة الملك ، ثم قال : هي المانعة من عذاب الله .

وفي التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب (٣) .

وروي : أنه من قرأها في كل ليلة لم يضره الفتان .

* * *

سورة ﴿ والضحى ﴾ و﴿ التين ﴾ و ﴿ القدر ﴾ و﴿ إذا زلزلت ﴾

إذا أردت أن ترى في النوم شيئاً مما يشكل عليك أمره ، فصل بعد

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٢) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل سورة الملك وإسناده ضعيف ، ورواه أيضاً الحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقي في « الدلائل » .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٣) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل سورة الملك ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٢٩٩ و٣٢١ وابن ماجه رقم (٣٧٨٦) في الأدب : باب ثواب القرآن، والحاكم ٢/٤٩٧ و٤٩٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، رواه أيضاً ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » ٢/٤٩٨ وصححه ووافقه الذهبي وابن الضريس والطبراني والبيهقي في « شعب الإيمان » .

العشاء الآخرة أربع ركعات تقرأ في الأولى بعد الفاتحة : ﴿ والضحى ﴾ . وفي الثانية : ﴿ والتين ﴾ ، وفي الثالثة : ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ، وفي الرابعة : ﴿ إذا زلزلت ﴾ ولا تتكلم بعد هذه الصلاة ، وتكتب ﴿ إذا زلزلت ﴾ إلى آخرها في رقعة ، وتجعلها تحت رأسك ، وتقول عند النوم : اللهم أرني في منامي الخير في كذا وكذا ، وتسمي ما تريد ، فإنك تراه إن شاء الله تعالى .

* * *

سورة ﴿ لم يكن ﴾

قال القاضي أبو بكر ابن العربي : روى إسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي ، عن مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لَوْ يَعْلَمِ النَّاسَ مَا فِي ﴿ لَمْ يَكُنَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ لَعَطَّلُوا الأهْلَ والمَالَ ولَتعَلَّمُوها » وهذا حديث باطل ، وإنما الحديث الصحيح ، ما روي عن أنس ، أن النبي ﷺ قال لأُبي : « إنَّ الله أَمَرَني أَنْ أَقْرَأ عَلَيك ﴿ لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ » قال : وَسَمَّانِي لَكَ؟ قال : « نَعَمْ » فبكى .

قال المؤلف رضي الله عنه : الحديث متفق عليه خرجه البخاري ومسلم وغيرهما [1] .

وفيه من الفقه : قراءة العالم على المتعلم . قال بعضهم : إنما قرأ النبي ﷺ على أُبي ، ليعلِّم الناس التواضع ، لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة .

وقيل : إن أُبياً كان أسرع في أخذ الألفاظ من رسول الله ﷺ ، فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ، ويقرأ كما سمع منه ، ويعلم غيره .

---

(١) رواه البخاري ٥٥٨/٨ في تفسير سورة ﴿ لم يكن ﴾ ومسلم رقم (٧٩٩) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بن كعب ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٣٠/٣ و١٣٧ و١٨٥ و٢١٨ و٢٣٣ و٢٧٣ و٢٨٤ ورواه ابن سعد وابن مردويه .

وفيه فضيلة عظيمة لأبيّ ، إذ أُمر رسول الله ﷺ أن يقرأ عليه .

* * *

سورة ﴿ إذا زلزلت ﴾

روى الترمذي ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ ﴿ إذا زُلْزِلَتْ ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِنِصْفِ القُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ يا أَيُّها الكَافِرُون ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبْعِ القُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بثلث القرْآنِ » (١) . قال : حديث غريب ، وفي الباب عن ابن عباس (٢) .

وذكر أبو نصر الوائلي السجزي في كتاب « الإبانة » له من حديث ابن وهب ، قال : حدّثنا عبد الله بن عياش ، وعمرو بن الحارث ، وسعيد بن أبي أيوب (٣) ، أن عياش بن عباس (٤) ، حدثه عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرئني يا رسول الله . قال : « اقْرَأْ ثَلاثاً مِنْ ذَوَاتِ ﴿ آلر ﴾ » قال الرجل : كبر سني ، وثقل لساني ، قال : « فاقْرَأْ ثلاثاً مِن ذَواتِ ﴿سبح ﴾ » ، فقال الرجل مثل ذلك ، ولكن يا رسول الله أقرئني سورة جامعة فأقرأها ، قال : ﴿ إذا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَها ﴾ حتى أتى على آخرها ، ﴿ فمنْ يَعْمَلْ مثْقالَ ذرَّةٍ خَيْراً يره ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ شَرًّاً يَرَهْ ﴾ . فقال الرجل : والذي بعثك بالحق نبياً ، ما أبالي أن لا أزيد عليها حتى ألقى الله عز وجل . . . وذكر الحديث ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٥) في ثواب القرآن : باب ما جاء في إذا زلزلت . ورواه أيضاً ابن مردويه والبيهقي وإسناده ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم . نقول : والحسن بن سلم مجهول .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٦) في ثواب القرآن : باب ما جاء في ﴿ إذا زلزلت ﴾ وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة ، ورواه الحاكم ١/٥٦٦ وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : قلت : يمان ضعفوه .

(٣) في المطبوع : سعيد بن أيوب ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٤) في المطبوع : عياش بن عياش ، وهو تصحيف ، والتصحيح من كتب الرجال .

وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « أَفْلَحَ الرَّجُلُ » (١) .

* * *

سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾

روى أبو داود عن فروة بن نوفل، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال لنوفل: «اقْرَأْ ﴿ قُل يا أَيُّها الكَافِرُون ﴾ ، ثُمَّ نَمْ عَلَىٰ خَاتِمَتِهَا ، فَإِنَّها بَراءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ » قال الترمذي : رواه إسرائيل وزهير عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن أبيه . ورواه شعبة عن أبي إسحاق عن رجل عن فروة بن نوفل أنه أتى النبي ﷺ ولم يقل : عن أبيه ، والأول أصح ، وقد رواه عبد الرحمن بن نوفل عن أبيه ، وعبد الرحمن هو أخو فروة بن نوفل (٢) .

وقال ابن عباس : ليس في القرآن أشد غيظاً لإبليس من ﴿ قُلْ يا أَيُّها الكَافِرُون ﴾ لأنها توحيد وبراءة من الشرك .

قال الأصمعي : كان يقال لـ﴿ قُلْ يَا أَيُّها الكَافِرُون ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ﴾ المقشقشتان . أي : انهما يبرئان من النفاق .

وقال أبو عبيدة : كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه .

وقال ابن السكيت : يقال للقرح والجدري إذا يبس وتعرق ، وللجرب

---

(١) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/١٦٩ وأبو داود في « سننه » رقم (١٣٩٩) في أبواب شهر رمضان : باب تحزيب القرآن وابن حبان (٤٧٢) وإسناده حسن . ونسبه السيوطي في « الدر » ٦/٣٧٩ ، وزاد نسبته للنسائي والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٠٥٥) في الأدب : باب ما يقال عند النوم ، والترمذي رقم (٣٤٠٠) في الدعوات : باب رقم ٣٢ وأحمد في « المسند » ٥/٤٥٦ والحاكم ١/٥٦٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي في « الدر المنثور » ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة والنسائي وابن الأنباري في « المصاحف » وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » . فالحديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٧٢) .

في الابل إذا قفل : توسف جلده ، وتقش جلده ، وتقشقش جلده ، هنأت البعير أهنؤه : إذا طليته بالهناءة .

وروى الوائلي من حديث جابر بن عبد الله ، أن رجلاً قام فركع ركعتي الفجر ، فقرأ في الركعة الأولى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾ حتى ختم السورة ، فقال النبي ﷺ : « هَذَا عَبْدٌ آمَنَ بِرَبِّهِ » ، ثم قرأ في الثانية ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ حتى انقضت السورة ، فقال النبي ﷺ : هَذَا عَبْدٌ عرف رَبَّهُ » قال طلحة : فأنا أحب أن أقرأ هاتين السورتين في هاتين الركعتين .

وروي من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ يَا أَيُّها الكافِرُون ﴾ تَعْدِلُ رَبْعَ القُرْآنِ » خرجه أبو بكر [بن] الأنباري في كتاب « الرد » له ، أخبرنا عبد الله بن ناجية قال : ثنا يوسف قال : ثنا القعنبي وأبو نعيم ، عن سلمة بن وردان [1] عن أنس [2] .

* * *

﴿ سورة النصر ﴾

وتسمى سورة التوديع ، وهي آخر سورة نزلت جميعاً . قاله ابن عباس في « صحيح مسلم »[3] .

وروى الترمذي : قال : حدثنا عقبة بن مكرم العمي البصري ، قال : حدثني ابن أبي فديك ، قال : أخبرني سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « هَلْ تَزَوَّجْتَ يَا فُلَانُ » ؟ قال : لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ، وَلَا عِنْدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ ، قال : « أَلَيْسَ مَعَكَ

---

(١) في المطبوع : موسى بن وردان ، وهو تحريف ، والتصحيح من كتب الرجال .

(٢) وإسناده ضعيف ، وفي الباب عن ابن عباس .

(٣) رواه مسلم رقم (٣٠٢٤) في التفسير .

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ؟ قال : بلى ! قال : « ثُلُثُ القُرْآنِ » . قال : « أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ﴾ ؟ قال : بلى ! قال : « رُبْعُ القُرْآنِ » ، قال : « أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿ قُلْ يَا أَيُّها الكَافِرُونَ ﴾ ؟ قال : بلى ؟ قال : « رُبْعُ القُرْآنِ » قال : « أَلَيْسَ مَعَكَ : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ ؟ ق ل : بلى ، قال : « رُبْعُ القُرْآنِ » قال : « تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ » !! قال أبو عيسى : هذا حديث حسن[1] .

* * *

﴿سورة الإخلاص﴾

وفيها أحاديث كثيرة . منها : ما ثبت في البخاري ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رجلاً سمع رجلاً يقرأُ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ : « وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ »[2] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَتِهِ » ؟ فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : « اللهُ الواحد الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ »[3] .

وخرجه مسلمٌ من حديث أبي الدرداء بمعناه[4] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٧) في ثواب القرآن : باب ما جاء في إذا زلزلت . وفي سنده سلمة بن وردان وهو ضعيف ، ومع ذلك فقد قال الترمذي : هذا حديث حسن قال الحافظ في « الفتح » : فلعله تساهل فيه لكونه من فضائل الأعمال .

(٢) رواه البخاري ٩/٥٣ في فضائل القرآن باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . وفي أبواب عدة ، و« الموطأ » ١/٢٠٨ في القرآن : باب ما جاء في قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، وأبو داود رقم (١٤٦١) في الصلاة : باب في سورة الصمد ، والنسائي ٢/١٧١ في الافتتاح : باب الفضل في قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ . ولشيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله كتاب « جواب أهل العلم والإيمان » و« تفسير سورة الإخلاص » .

(٣) رواه البخاري ٩/٥٤ في فضائل القرآن :

(٤) رواه مسلم رقم (٨١١) في صلاة المسافرين : باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

وخرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احْشِدُوا[1] فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ القُرْآنِ » فحشد من حشد[2] فخرج نبي الله ﷺ فقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : إني أرى هذا خبراً جاءه من السماء ، فذاك الذي أدخله ، ثم خرج فقال : « إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ : سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ القُرْآنِ ، أَلَا إِنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ »[3] .

قال بعض العلماء : إنما عدلت ثلث القرآن لأجل هذا الاسم الذي هو الصمد ، فإنه لا يوجد في غيرها من السور ، وكذلك أحد .

وقيل : إن القرآن أنزل أثلاثاً ، ثلثاً منه أحكام ، وثلثاً منه وعد ووعيد ، وثلثاً منه أسماء وصفات ، وقد جمعت ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الثلث ، وهو الأسماء والصفات .

ودل على هذا التأويل ما في « صحيح مسلم » من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ ، فَجَعَلَ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ جُزْءاً مِنْ أَجْزَاءِ القُرْآنِ »[4] .

وهذا نص ، وبهذا المعنى سميت سورة الاخلاص ، والله أعلم .

وروى مسلم عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ : بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ » ؟

---

(١) في المطبوع ، احشروا ، وهو تحريف . ومعنى احشدوا : اجتمعوا .

(٢) في المطبوع : فحشر من حشر ، وهو تحريف .

(٣) رواه مسلم رقم (٨١٢) في صلاة المسافرين : باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، والترمذي رقم (٢٩٠٢) في ثواب القرآن : باب ما جاء في سورة الإخلاص .

(٤) رواه مسلم رقم (٨١١) في صلاة المسافرين : باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّهُ »[1] .

وروى الترمذي ، عن أنس بن مالك : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قُباءَ ، وكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها في الصلاة ، افتتح بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فكلمه أصحابه ، فقالوا : إنك تقرأ بهذه السورة ، ثم لا ترى أنها تجزئك ، فتقرأ سورة أخرى ؟ فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت ، وإن كرهتم تركتكم ، وكانوا يرونه أفضلهم ، وكرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه بالخبر ، فقال : « يَا فُلَانُ مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ؟ . فقال : يا رسول الله إني أحبها ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ » قال : حديث غريب صحيح[2] .

قال القاضي أبو بكر ابن العربي : فكان دليلاً على أنه يجوز تكرار سورة في كل ركعة ، وقد رأيت على باب الأسباط قيِّماً إماماً يقرب منه من جملة الثمانية والعشرين ، كان يصلي فيه التراويح في رمضان بالانزال ، فيقرأ في كل ركعة ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ بالعَالَمِينَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، حتى يتم التراويح تخفيفاً عليه ورغبة في فضلها ، وليس من السنة ختم القرآن في رمضان .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وهذا نص قول مالك . قال مالك :

---

(١) رواه مسلم رقم (٨١٣) في صلاة المسافرين : باب قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ؛ ورواه أيضاً البخاري ١٣ / ٣٠١ في التوحيد في فاتحته .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٣) في ثواب القرآن : باب ما جاء في سوة الإخلاص ، وهو حديث صحيح .

وليس ختم القرآن في المساجد سنة . وروى الترمذي عن أبي هريرة[1] قال : أقبلت مع النبي ﷺ ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿ قلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : « وَجَبَتْ » ، قلت : ما وجبت ؟ قال : « الجَنَّةَ » ، قال : هذا حديث حسن صحيح[2] .

قال الترمذي : ثنا مروان بن مرزوق البصري[3] : ثنا حاتم بن ميمون أبو سهل ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَتِي مَرَّةٍ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ مَحا اللهُ عَنْهُ ذُنُوب خَمْسِينَ سَنَةً إلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ »[4] .

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ فَنَامَ عَلَىٰ يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ مِائَةَ مَرَّةَ ، فَإذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ادْخُلْ عَلَىٰ يَمِينِكَ الجَنَّةُ » قال : هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس[5] .

وفي «مسند الدارمي» أبي محمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله

---

(١) في المطبوع : أنس بن مالك وهو خطأ والتصحيح من « سنن الترمذي » المطبوعة .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٩) في ثواب القرآن : باب ما جاء في سورة الإخلاص ورواه مالك في « الموطأ » ١/٢٠٨ بزيادة في القرآن : باب ما جاء في قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، والحاكم ١/٥٦٦ وصححه ووافقه الذهبي وهو حديث ضعيف . انظر « الأحاديث الضعيفة » رقم (٣٠٠) و « الميزان » رقم (١٦٠١) و (١٨٢٦) .

(٣) في المطبوع : النصري ، وهو تصحيف .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٠) في ثواب القرآن : باب ما جاء في سورة الإخلاص ، وفي سنده حاتم بن ميمون الكلابي أبو سهل البصري صاحب السقط وهو ضعيف .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٠) في ثواب القرآن : باب ما جاء في سورة الإخلاص وإسناده ضعيف .

ﷺ : « مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خَمْسِينَ مَرَّةً غَفِرَتْ لَهُ ذُنُوبَ خَمْسِينَ سَنَةٍ »[1].

قال : وحدثنا عبد الله بن يزيد ، قال : حدثني حيوة ، قال : أخبرني أبو عقيل ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبي الله ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ بُنِي لَهُ قَصْرٌ فِي الجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَها عِشْرِينَ مَرَّةً بُنِيَ لَهُ بِها قَصْرَانِ فِي الجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلاَثِينَ مَرَّةً بُنِيَ لَهُ ثَلاَثَ قُصُورٍ فِي الجَنَّةِ » ، فقال عمر : يا رسول الله إذاً لنكثرن قصورنا ! فقال رسول الله ﷺ : « اللهُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ » . قال الدارمي : أبو عقيل : زهرة بن معبد ، وزعموا أنه كان من الأبدال[2] .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وقال البخاري في « التاريخ » : زهرة بن معبد أبو عقيل القرشي سمع جده عبد الله بن هشام ، وأباه ، وابن المسيب . روى عنه حيوة . قال قتيبة عن الليث عن زهرة بن معبد قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : أين تسكن من مصر؟ قلت : الفسطاط . وسمع منه سعيد بن أبي أيوب وأبو معن .

وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب « الحلية » من حديث أبي العلاء يزيد ابن عبد الله بن الشخير ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فِي مَرَضِهِ الَّذي يَمُوتُ فِيهِ لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ ، وَأَمِنَ مِن ضَغْطَةِ القَبْرِ ، وَحَمَلَتْهُ المَلاَئِكَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَكُفِّها حَتَّى تُجِيزُهُ مِنَ الصِّرَاطِ إِلَى الجَنَّةِ »

---

(١) رواه الدارمي رقم (٣٤٤١) في فضائل القرآن : باب في فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه الدارمي رقم (٣٤٣٢) في فضائل القرآن : باب في فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ عن سعيد بن المسيب مرسلاً ، وإسناده منقطع .

قال : هذا حديث غريب من حديث يزيد ، تفرد به نصر بن حماد البجلي[1] .

وذكر أبو بكر الخطيب [أحمد بن علي] بن ثابت الحافظ ، عن عيسى ابن أبي فاطمة الرازي ، قال : سمعت مالك بن أنس يقول : إذا نقس بالناقوس ، اشتد غضب الرحمن ، فتنزل الملائكة ، فيأخذون بأقطار الأرض ،فلا يزالون يقرؤون﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾حتى يسكن غضبه عز وجل[2] .

وخرج عن محمد بن خالد بن الجندي[3] ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دَخَلَ يَوْمَ الجُمْعَةِ المَسْجِدَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ﴿ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ ﴾ وَخَمْسِينَ مَرَّةً ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فَذَلِكَ مَائَتَا مَرَّةٍ فِي أَرْبَعِ رَكْعَاتٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ يُرَى لَهُ »[4] .

قال أبو عمر مولى جرير بن عبد الله البجلي ، عن جرير قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ نَفَتَ الفَقْرُ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ المَنْزِلَ وَعَنِ الجِيرَانِ »[5] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » ٣/٢١٣ ورواه أيضاً الطبراني ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : ولا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وفيه نصر بن حماد الوراق وهو متروك .

(٢) ورواه أيضاً الطبراني من طريق أبي بكر البردعي ، حدثنا أبو زرعة وأبو حاتم ، قالا : حدثنا عيسى بن أبي فاطمة الرازي قال : سمعت مالك بن أنس . . . فذكره .

(٣) في المطبوع : الجهني ، والتصحيح من « جامع أحكام القرآن » للمصنف .

(٤) واسناده ضعيف .

(٥) رواه الطبراني ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/١٢٨ : فيه مروان بن سالم الغفاري وهو متروك .

وعن سهل بن سعد الساعدي قال : شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الفقر وضيق المعيشة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إِذَا دَخَلْتَ البَيْتَ فَسَلِّمْ إن كَانَ فِيهِ أَحَدٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ فَسَلِّمْ عَلَيَّ وَاقْرَأْ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً » ففعل الرجل ذلك ، فأدرَّ الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه .

المعوذتان

« مسلم » عن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ »(١) خرجه الترمذي(٢) وقال : حديث حسن صحيح(٣) .

وروى النسائي عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو راكب ، فوضعت يدي على قدميه ، فقلت : اقرأ في ﴿ سورة يوسف ؟ ﴾ فقال لي : « لَنْ تَقْرَأَ شَيْئاً أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِن ﴿قُلْ أَعُوذُ بربِّ الفَلَقْ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾(٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ يَقْرَأُ عَلَىٰ نَفْسِهِ المَعُوذَّاتِ وَيَنْفُثُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ ، كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرْكَتِهَا » متفق عليه(٥) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨١٤) في صلاة المسافرين : باب فضل قراءة المعوذتين ورواه أيضاً النسائي ٢ /١٥٨ في الافتتاح باب الفضل في قراءة المعوذتين .

(٢) رقم (٢٩٠٤) في ثواب القرآن : باب ما جاء في المعوذتين .

(٣) وهو كما قال .

(٤) رواه النسائي ٢ /١٥٨ في افتتاح الصلاة : باب الفضل في قراءة المعوذتين واسناده صحيح .

(٥) رواه البخاري ١٠ /١٧٨ في الطب : باب النفث في الرقية ، وفي فضائل القرآن : باب فضل المعوذات ، ومسلم رقم (٢١٩٢) في السلام : باب رقية المريض بالمعوذات .

- وعنها « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا ، فَقَرَأَ بِـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ ، وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »[1].

وذكر أبو عمر في كتاب « الإستذكار » رقى رسول الله ﷺ من العقرب بالمعوذتين ، وكان يمسح الموضع بماءٍ فيه ملح .

قال المؤلف رضي الله عنه : وقد تقدم في ﴿ الفاتحة ﴾ من حديث أبي سعيد الخدري أنه رقى سيد الحي من العقرب بـ ﴿ فاتحة الكتاب ﴾ فبرأ .

* * *

(١) رواه البخاري ٩/٥٦ في فضائل القرآن : باب فضل المعوذات ، ومسلم رقم (٢١٩٢) السلام : باب رقية المريض بالمعوذات و « الموطأ » ٢/٩٤٢ و٩٤٣ في العين : باب التعوذ والرقية في المرض، والترمذي رقم (٣٣٩٩) في الدعوات : باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام، وأبو داود رقم (٣٩٠٢) في الطب : باب كيف الرقى .

فصل في فضل آيات من القرآن ومنافعها زيادة على ما تقدم .

قال الله تعالى : ﴿ ونُنَزِّلَ مِنَ القُرآن ما هو شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ لِلمؤْمنين ﴾ [الإسراء : ٨٦] .

خرج الدارقطني في كتاب « المدبج » له ، من حديث السري بن يحيى ، قال : حدثني المعتمر بن سليمان ، عن ليث بن أبي سليم ، عن الحسن ، عن أبي أمامة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَنْفَعُ بِإذْنِ اللهِ تَعالَى مِنَ البَرَصِ وَالجُنُونِ وَالجُذَامِ وَالبَطْنِ وَالسِّلِّ وَالحُمَّى وَالنَّفَسِ : أَنْ يُكْتَبَ بِزَعْفَرَانٍ أَوْ عُشْقٍ - يعني المغرة - : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا ، مَنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَالهَامَّةِ ، وَمِنْ شَرِّ العَيْنِ اللاَّمَّةِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ ، وَمِنْ شَرِّ أَبي مُرَّدةَ وَمَا وَلَدَ » كذا قال : ولم يقل : من شر أبي مرة .

وقال : « ثلاثة وثلاثون من الملائكة أتوا ربهم عز وجل ، فقالوا : وصب بأرضنا . فقال : خذوا بتربة أرضكم ، فامسحوا بها نواصيكم - أو قال : نوصيكم رقية محمد ﷺ : لا أفلح من كتمها أبداً ، أو أخذ عليها صفداً[1] . ثم تكتب فاتحة الكتاب ، وأربع آيات من البقرة ، والآية التي فيها تصريف الرياح ، وآية الكرسي ، والآيتين من بعدها ، وخواتيم سورة البقرة من قوله : ﴿ للهِ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ إلى آخرها ، وعشر آيات من أول سورة آل عمران ، وعشراً من آخرها ، وأول آية من النساء ، وأول آية من المائدة ، وأول آية من الأنعام ، وأول آية من الأعراف ، والآية التي في الأعراف ﴿ إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٥٤]

---

(١) أي : عطاء .

حتى يختم الآية ، والآية التي في ﴿ يونس ﴾ ﴿ قَالَ مُوسَىٰ : ما جِئْتُمْ بِهِ ٱلسِّحْر ﴾ [يونس : ٨١] إلى آخر الآية ، والآية التي في طه ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ إلى ﴿ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] ، وعشراً من أول الصافات ، ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين ، تكتب في إناءٍ نظيف ، ثم يغسل ثلاث مرات بماءٍ نظيف ، ثم يحسو منه الوجيع ثلاث مرات ، ثم يتوضأ منه كوضوئه للصلاة ، ويتوضأ قبله وضوءه للصلاة حتى يكون على طهر قبل أن يتوضأ منه ، ويصب على رأسه وصدره وظهره . ولا يستنجي به ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستشفى الله تبارك وتعالى ، فيفعل ذلك ثلاثة أيام قدر ما يكتب في كلِ يوم كتاباً .

وفي رواية : من شر أبي فترة وما ولد ، وقال : امسحوا بوصيكم ولم يشك (١) .

وخرج أبو النصر الوائلي السجزي في كتاب « الابانة » له ، من حديث بقية بن الوليد ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن أبي جناب الكلبي ، عن زيد الأيامي ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن أخي وجيع ، قال : « وَمَا وَجَع أَخِيكَ ؟ قال : به لمم ، قال : « أئْتِنِي بِهِ » ، قال : فسمعته يعوذه ، فقرأ بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول سورة البقرة ، وآيتين من وسطها ، ﴿ وَإِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وثلاث آيات من آخرها ، وآية من آل عمران ، وآية من الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضِ ﴾ إلى آخر الآية ، وآية من المؤمنين ﴿ فَتَعَالَى الله المَلِكُ الحَقُّ لا إله إلَّا هُوَ ربُّ العَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ، [المؤمنون : ١٦] ، وعشر

(١) وإسناده ضعيف .

آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿ هُوَ اللهُ الَّذي لا إلٰهَ إلَّا هُوَ ﴾ وآي من ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿جدُّ رَبِّنا ﴾ [الجن : ١ -٣] و﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، والمعوذتين ، فبرأ الرجل [١] .

وروي انه من لم يكن له ولد ، فأراد أن يكون له ولد ذكر ، وعزم على ذلك استعان بالله تعالى ، وصلى ركعتين لله عزّ وَجلّ مخلصاً قبل أن يجامع ، وقرأ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ثلاث مرات ،و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ مرة واحدة ، والحمد لله بعد ذلك سبع مرات ، ثم قرأ ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً . . . ﴾ الآية [الفرقان : ٥٤] . والآية التي في الحج ﴿ وتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فإذَا أَنْزَلْنا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وأَنَّهُ يُحْيي المَوْتَى وأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٥] ، والآية التي في الروم ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إليهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً في إنَّ ذٰلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] ، ﴿ الله خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٦٢ ، ٦٣] ، ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ* إنَّهُ على رَجْعِهِ لَقَادِرٌ*يَوْمُ تُبْلَى السَّرائِرُ ﴾ [الطارق : ٧ ، ٩] ، يخرج من بين فرث ودم ولد [٢] طاهر . ﴿ إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمةٍ مِنْ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً منَ الصَالِحينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] ، ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] ،

---

(١) وإسناده ضعيف .

(٢) كذا في المطبوع : يخرج من بين فرث ودم ولد طاهر ، ولا معنى لها .

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ [مريم : ٢٤] ، ﴿ والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ وتقرأ هذه الآيات قبل أن تجامع زوجتك ، وتكتبها على فخذك الأيمن (١) وتجامع أول النهار ، ويكون ذلك نهار الأحد ، فإن المرأة تأتي بولد طاهر مبارك ذكر من غير شك ولا ريب بحول الله تعالى (٢) .

وذكر الوائلي الحافظ في كتاب « الإبانة » بإسناده ، عن أبي دجانة قال : شكوت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله بينما أنا مضطجع (٣) في فراشي ، إذ سمعت في داري صويراً كصوير الدجاج ، ودوياً كدوي النحل ، ولمعاناً كلمعان البرق ، فرفعت رأسي فزعاً مرعوباً، فإذا أنا بظل أسود مولٍّ يعلو ويطول في صحن داري ، فأهويت إليه ، فمسست جلده ، فإذا جلده كجلد القنفذ ، فرمى في وجهي شرار النار ، فظننت أنه قد أحرقني وأحرق داري ، فقال رسول الله ﷺ : « عامِرُ دارِ سُوءٍ يا أبا دُجَانَةَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، وَمِثْلُكَ يُؤْذَى يا أبا دُجَانَة ! » ثم قال : « ائْتُونِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ » فأتي بهما ، فناوله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : « اكْتُبْ يا أبا الحَسَنَ » . فقال : وما أكتب ؟ قال : اكْتُبْ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُول رَبِّ العَالَمِينَ ، إلىٰ مَنْ طَرَقَ الدَّارَ مِنَ العُمَّار وَالزُّوَارِ والصَّالِحِينَ، إلَّا طارقاً يَطْرُقُ بِخَيْر يا رَحْمَنُ ، أَمَّا بَعْدِ : فَإِنَّ لِنَازِلِكُمْ فِي الحَقِّ سَفَهاً (٤) ، فَإِنْ تَكُ عَاشِقاً مُولَّعاً أَوْ فاجِراً مُقْتَحِماً ، أَوْ بَاغِياً (٥) حَقَّاً

---

(١) هذا مما يدل على بطلان هذه الرواية ، فانه لا يجوز كتابة القرآن على الفخذ .

(٢) رواية باطلة وفيها مخالفات صريحة .

(٣) في المطبوع : مضطجعاً .

(٤) في المطبوع : باغ .

(٥) في الأصل : سفه ، ولم يتبيّن لنا المعنى .

مُبْطلًا ، هَذَا كِتَابُ الله يَنْطُقُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِالحقِّ ، وَرُسُلُنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ، اتْرُكُوا صَاحِبَ كِتَابِي هَذا ، وَانْطَلِقوا إلىٰ عَبَدَةِ الأَصْنَامِ ، وَإلىٰ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّ مَعَ الله إآلهاً آخرَ ، ﴿ لا إلَهَ إلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الحُكْمَ وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] تغلبون ، ﴿ حم ﴾ [غافر : ١] لا يَنْصَرُونَ ، ﴿ حمعسق ﴾ تَفَرَقَ أَعْدَاءُ الله ، وَبَلَغَتْ حُجَّة الله ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بالله ، ﴿ فَسَيَكْفِيكُهُمُ الله وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

قال أبو دجانة : فأخذت الكتاب ، فأدرجته ، وحملته إلى داري ، وجعلته تحت رأسي ، ونمت ليلتي ، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول : يا أبا دجانة أحرقتنا واللات والعزى ، فبحق صاحبك لما رفعت عنا هذا الكتاب ، فلا عودة لنا في دارك ، ولا في جوارك ، ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب .

قال أبو دجانة : لا وحق صاحبي رسول الله ﷺ ، لا رفعته حتى أستأمر رسول الله ﷺ ، قال أبو دجانة : فلقد طالت عليَّ ليلتي لما سمعت من أنين الجن وصياحهم وبكائهم حتى أصبحت، فغدوت، فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ ، وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتي ، وبما قلت لهم ، فقال لي : « يا أَبا دُجَانَةَ ! ارْفَعْ عَنِ القَوْمِ فَوالَّذي بَعَثَنِي بالحَقِّ نَبِياً إنهم لَيَجِدُونَ أَلَمَ العَذَابِ إلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ » .

فصل

في بيان معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] وحكم متبع متشابه القرآن وفي الإيمان به . وهو خاتمة الكتاب ، وبه تكمل فائدته وتعظم منفعته .

روى مسلم عن عائشة. قالت : تلا رسول الله ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قلت : قال رسول الله ﷺ : « إذا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ الله فَاحْذَرُوهُمْ »[١] . كذلك قال عمر : قال رسول الله ﷺ : « إذا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِين سَمَّاهُمُ الله فَاحْذَرُوهُمْ » .

واختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة .

فقال جابر بن عبد الله وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما :

المحكمات أي من القرآن : ما عرف تأويله ، وفهم معناه وتفسيره .
والمتشابه : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه .

قال بعضهم : وذلك مثل وقت قيام الساعة ،وخروج يأجوج ومأجوج ، والدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ونحو الحروف المقطعة التي في أوائل السور .

قال المؤلف رحمه الله : هذا أحسن ما قيل في المتشابه والمحكم ، وقد بسطنا أقوال العلماء في ذلك في كتاب « جامع أحكام القران »[٢] في سورة آل عمران .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٦٥) في العلم : باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ، ورواه أيضاً البخاري ٨/١٥٧ في تفسير سورة آل عمران في فاتحتها ، والترمذي رقم (٢٩٩٦) و(٢٩٩٧) في التفسير : باب ومن سورة آل عمران ، وأبو داود رقم (٤٥٩٨) في السنة : باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن .

(٢) انظر « جامع أحكام القرآن » ٤/١٣ .

ثم متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلباً للتشكيك في القرآن ، وإضلال العوام ، كما فعلته الزنادقة والقرامطة والطاعنون في القرآن ، أو طلباً لاعتقاد ظواهر المتشابه ، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهرة الجسمية حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسم مجسم ، وصورة مصورة ، وذات وجه ، وغير ذلك من يد وعين ، وجنب وأصبع ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلها ، أو إيضاح معانيها ، أو كما فعل صبيغ [1] حين أكثر على عمر فيه من السؤال .

فهذه أربعة أقسام .

الأول : لا شك في كفرهم ، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة .

الثاني : الصحيح : القول بتكفيرهم ، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ، ويستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد .

الثالث : اختلف في جواز ذلك بناءٍ على الاختلاف في جواز تأويلاتها ، وقد عرف أن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلاتها مع قطعهم باستحالة ظواهرها ، فيقولون : أمِرُّوها كما جاءت ، وذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها ، وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين محتمل منها .

الرابع : الحكم فيه الأدب البليغ ، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ .

قال أبو بكر الأنباري : وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن

---

(١) هو صبيغ بن عسل ، وسيأتي في قصته مع عمر رضي الله عنه .

تفسير الحروف المشكلة من القرآن ، لأن السائل إن كان يبتغي بسؤاله تجديد البدعة ، وإثارة الفتنة ، فهو حقيق بالنكير ، وأعظم التعزيز ، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترح من الذنب ، إذا وجد المنافقين والملحدين في ذلك الوقت سبيلاً إلى أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن عن منهاج التنزيل وحقائق التأويل .

فمن ذلك : ما حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، قال : أنا سليمان ابن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن يزيد بن حازم ، عن سليمان بن يسار ، أن صبيغ بن عسل قدم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، وعن أشياء ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، قال : فبعث إليه وأحضره ، وقد أعد له عراجين من عراجين النخل ، فلما حضر قال له عمر : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، فقال : وأنا عبد الله عمر، ثم قام إليه فضربه بعرجون ، فشجه ، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، فقد والله ذهب مني ما كنت أجد في رأسي .

وقد اختلفت الروايات في أدبه ، ثم إن الله تعالى ألهمه التوبة ، وقذفها في قلبه ، فتاب وحسنت توبته [١] .

واختلف العلماء في الراسخين في العلم ، هل هي ابتداء كلام مقطوع مما قبله معطوف على ما بعده ، فتكون الواو للجميع ؟ فالذي عليه الأكثر ، أنه مقطوع مما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله : ﴿ إلَّا الله ﴾ .

هذا قول ابن عمر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعروة بن الزبير، وعمر بن

---

(١) ورواه الدارمي رقم (١٤٦) في المقدمة : باب من هاب الفتيا وكره التنطع والبدع من طريق سليمان بن يسار ، ونافع مولى ابن عمر ، ورواه الخطيب البغدادي وابن عساكر من طريق أنس ، والسائب بن يزيد ، وأبي عثمان النهدي ، وانظر « الإصابة في تمييز الصحابة » للحافظ ابن حجر ، فإنه ذكر هذه الروايات رقم (٤١١٨) جـ ١٦٨/٥ ـ ١٦٩ .

عبد العزيز وغيرهم ، وهو مذهب الكسائي ، والأخفش ، والفراء ، وأبي عبيد .

قال أبو نهيك الأسدي : إنكم تصلون هذه الآية ، وإنها مقطوعة ، وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ .

وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز .

وحكى الطبري نحوه عن يونس ، عن أشهب عن مالك بن أنس ويقولون : علي هذا خبر الراسخين .

قال الخطابي : وقد جعل الله تعالى آية كتابه الذي أمرنا بالإيمان به ، والتصديق بما فيه على قسمين ، محكماً ومتشابهاً ، فقال عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ﴿إلىٰ قوله﴾ : ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] .

فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه ، فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله على الراسخين في العلم ، بأنهم يقولون : ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، ولولا صحة الايمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه ، ومذهب أكثر العلماء : أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا الله ﴾ . وأن ما بعده استئناف كلام آخر ، وهو قوله : ﴿ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ﴾ .

وروي ذلك عن ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وابن عباس ، وعائشة .

وإنما روي عن مجاهد أنه نسق[1] الراسخين على ما قبله ، يعلمونه ، واحتج له بعض أهل اللغة فقال : معناه : والراسخون في العلم يعلمونه قائلين : ﴿ آمنَّا بِهِ ﴾ وزعم أن موضع « يقولون » نصب على الحال ،

---

(١) نَسَقَ : عطف ، والنسق العطف في اصطلاح قدماء

وعامة أهل اللغة ينكرونه ، ويستبعدونه لأن العرب لا تضم الفعل والمفعول معاً ، ولا تذكر حالاً إلا مع ظهور الفعل ، فإذا لم يظهر فعل ولا حال ، ولو جاز ذلك ، لجاز أن يقال : عبد الله راكباً ، بمعنى : أقبل عبد الله راكباً . وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل ، كقولك : عبد الله يتكلم يصلح بين الناس ، فكان يصلح حالاً له ، كقول الشاعر : أنشدنيه أبو عمرو قال : أنشدنا أبو العباس ثعلب (١) :

أَرْسَلْتُ فِيهَا رَجُلاً لِكَالْكَا يَقْصُرُ يَمْشِي وَيَطُولُ بَارِكاً

فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده .

وأيضاً فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ، فيكون له في ذلك شريك .

ألا ترى إلى قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوات والأَرْضِ الغَيْبَ إلَّا الله ﴾ [النمل : ٦٥] وقوله : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] فكان هذا كله مما استأثر الله به ، فلا يشاركه فيه غيره ، وكذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا الله ﴾ [آل عمران : ٧] . ولو كانت الواو في قوله : ﴿ والرَّاسِخُونَ في العِلْم ﴾ [آل عمران : ٧] . معنى للنسق ، لم يكن لقوله : ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنا ﴾ [آل عمران : ٧] فائدة ،

---

(١) الذي في اللسان :

أرسلت فيها قطِمًا لكالكا من الذريحيّات ، جعداً آركا
يقصر مشياً ، ويطول باركا كأنه مجلل درانكا

قال أبو عبيد : واللكالك : العظيم من الجمال .

والله أعلم .

قال المؤلف رحمه الله : وما حكاه الخطابي ، من أنه لم يقل بقول مجاهد غيره ، فقد روي عن ابن عباس ، أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل ، وأنهم داخلون في علم المتشابه ، وأنهم مع علمهم به يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وقاله الربيع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، والقاسم بن محمد وغيرهم . ويقولون على هذا التأويل : نصب على الحال من الراسخين ، كما قال :

الـرِّيـح تَـبْـكِـي شَـجْـوَهُ والـبَّـرْقُ يَـلْمَـعُ فِـي الغَـمَـامِ

وهذا البيت يحتمل المعنيين ، فيجوز أن يكون : والبرق مبتدأ ، والخبر يلمع على التأويل الأول ، فيكون مقطوعاً عما قبله ، ويجوز أن يكون معطوفاً على الريح ، و« يلمع » في موضع الحال على التأويل الثاني ، أي : لامعاً .

واحتج قائلو هذه المقالة أيضاً ، بأن الله سبحانه وتعالى مدحهم بالرسوخ والعلم ، فكيف يمدحهم وهم جهال ؟!

وقد قال ابن عباس : أنا ممن يعلم تأويله .

وقرأ مجاهد هذه الآية وقال : أنا ممن يعلم تأويله ، حكاه عنه إمام الحرمين أبو المعالي .

فإن قال قائل : قد أشكل على الراسخين بعض تفسيره حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا أدري ما « الأوَّاهُ » ولا ما « غِسْلين » قيل له : هذا لا يلزم ، لأن ابن عباس قد علم بعد ذلك تفسيره على ما وقف عليه .

وجواب أقطع من هذا ، وهو سبحانه وتعالى لم يقل لكل راسخ ، فيجب على هذا القول إذا لم يعلمه أحدهم علمه الآخر . ورجح ابن فورك ،

أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل ، وكذلك القاضي أبو بكر بن الطيب ، وأبو محمد مكي بن أبي طالب وغيرهم .

وفي قوله ﷺ لابن عباس : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » (١) ، ما يبين لك ذلك ، أي علِّمْه معاني كتابك ، والوقف على هذا يكون عند قوله : ﴿ والرَّاسِخُون فِي العِلْمِ ﴾ . وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمرو : وهو الصحيح ، فإن تسميتهم راسخين بأنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع ، ولكن المتشابه يتنوع ، فمنه ما لا يعلم البتة ، كأمر الروح والساعة ، وهذا لا يتعاطى علمه أحد ، لا ابن عباس ، ولا غيره ، فمن قال من العلماء الحذاق : إن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه ، إنما أراد هذا النوع .

وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ، فمباح في كلام العرب ، فيتأول ويعلم تأويله المستقيم ، ويزال ما فيه عما عسى أن يتعلق بتأويل غير مستقيم ، كقوله تعالى في عيسى عليه السلام : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] إلى غير ذلك ، فلا يسمى أحد راسخاً إلا أن يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ما قدر له ، والله أعلم .

والرسوخ : الثبوت في الشيء ، وكل ثابت : راسخ ، وأصله في الاجرام : أن يرسخ الجبل والشجر في الأرض ، ورسخ الإيمان في قلب فلان يرسخ رسوخاً . وحكى بعضهم : رسخ الغدير : نضب (٢) ماؤه ، فهو من

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١/٢٦٦ و٢١٤ و٣٢٨ و٣٣٥ والطبراني ، وهو حديث صحيح .

(٢) في المطبوع نصب ، وهو تصحيف .

الأضداد ، حكاه ابن فارس في « المجمل » . ورسخ ورضخ ورسب ، كله ثبت إلي .

وسئل النبي ﷺ عن الراسخين في العلم فقال : هُوَ مَنْ بُرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، واسْتَقَامَ قَلْبُهُ (١) .

فإن قيل : كيف كان في القرآن متشابه والله تعالى يقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] فكيف لم يجعله كله واضحاً .

قيل له : الحكمة في ذلك والله أعلم : أن يظهر فضل العلماء ، لأنه لو كان كله واضحاً لم يظهر فضل بعضهم على بعض ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي أَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] . وأولو الأمر : هم أولو العلم والفقه في قول الحسن وقتادة وغيرهما ، والله عز وجل أعلم .

* * *

وجاء في آخر النسخة الخطية التي طبع عنها الكتاب الطبعة الأولى ما يأتي :

تم بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه ، وصلواته على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وصفيه وحبيبه ونجيه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه

---

(١) رواه ابن جرير والطبري رقم (٦٦٣٧) من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة ، ورقم (٦٦٣٧) من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك ، ورواه أيضاً الطبراني من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة ابن الأسقع وأنس بن مالك جميعاً من طريق عبد الله بن يزيد بن آدم الأودي قال الذهبي في « الميزان » : قال أحمد : أحاديثه موضوعة وقال الجوزجاني : أحاديثه منكرة .

وذرياته وسلم بعدد كل حرف جرى به القلم على يد العبد الفقير المعترف بالتقصير ، الراجي عفو ربه القدير ، عمر بن أحمد بن عمر المعروف والده بالصفدي اللخمي نسباً ، والشافعي مذهباً ، والمصري المولد والدار .

وكان ذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ٧٨٨ أحسن الله عاقبتها .

* * *

فهرس الأحاديث والآثار النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الكتب

الأيام

فهرس الملل والنحل

فهرس الأماكن

فهرس القبائل والأرهاط والعشائر

محتويات الكتاب